عمالة

عبـــاس العقـــاد

للفكر الغربي

دراسة تحليلية نقدية

بقلم

محمد بن جلال القصاص

قرأه وقدّم له الشيخ الدكتور

هشام عبد القادر عقدة

بسم الله الرحمن الرحيم

$ # " !

مقدمة

بقلم الشيخ الدكتور / هشام عقدة

حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد..

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا بمثابة منظومة فكريّة صافية تمثل العقلية الإسلامية الناضجة التي يشع منها نور الاعتقاد الصافي، وصِدْق الولاء لله ولرسوله ﷺ وللذين آمنوا، والاعتزاز بالإسلام، وهو أيضًا قد كشف الطرق المعوجّة والأفكار الزائغة التي يروّجها أو يسلكها المنهزمون المستغرِبون ويمسخون بها الدين والدنيا..

ولذا فهو كتاب مؤثّر في الأخذ بيد المسلم إلى الجادّة، وحمايته من لوثات الأفكار المنحرفة التي تلبس ـ بهتانًا وزورًا ـ عباءة الفكر الإسلامي، وهي في الحقيقة مسخ للفكر الإسلامي. وقد أجاد الكتاب في بيان حال العقاد إجمالاً من خلال ما نقل عنه وأنه بعيد عن النموذج الإسلامي الصافي السوي، وهذه فائدة تضاف إلى الفائدة الأعظم التي أشرت إليها؛ وهي البناء الفكري القوي للمسلم، من خلال عقيدة صافية يتحقق فيها الولاء والبراء والاعتزاز بالإسلام والارتباط بالنصّ القرآني والنصّ النبوي.

وأما بيان حال العقاد تفصيلاً فالنتائج فيه ظنّية في كثير من المواضع؛ لكون المنقول فيها عن العقاد مختصرًا أو بالمعنى المستنبط، وإن كان ذلك على كل حال لا يخلّ بالنتيجة

الإجمالية التي ذكرتها، لا سيما إذا أضيف إلى ذلك التوعية الفكرية في الكتاب والتوجيه الإيماني للاعتزاز بالإسلام وتحقيق الولاء لله تعالى ورسوله ﷺ وللمؤمنين، والحماية للمسلم من طرق التفكير والاستنباط المعوجّة التي يتم من خلالها تحريف الدين.. وما أشد حاجة الأجيال المعاصرة لذلك!!

فأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب حجّة وشاهدًا لكاتبه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين..

أبو عاصم، هشام عبد القادر عقدة
دمنهور
مساء الخميس 26 شوال 1430هـ
15 أكتوبر 2009م

$ # " !

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن أحبه واتبع هديه، وبعد..

تجمعت أشياء جعلتني أكتب هذه الدراسة عن عباس العقاد في الوقت الذي أوقفتُ فيه نفسي على التصدي للمدّ النصراني في مصر خصوصًا وغيرها عمومًا.

كانت البداية من التنصير نفسه، ذلك حين رأيت زكريا بطرس يستشهد بعباس العقاد[1] ويثني عليه هو ومضيفة البرنامج ناهد متولي، وهي ممن اشتهر في الصد عن سبيل الله ودعوة الناس للكفر بربهم، فجاءت معالجة عباس العقاد ضمن معالجة مصادر الاستدلال عند الكذاب اللئيم زكريا بطرس تحديدًا وغيره من النصارى عمومًا.

واشتد عزمي على تتبعه وإبراز زيفه للناس حين نازعني فيه نفرٌ من المنتسبين للتوجهات الإسلامية غير السلفية والسلفية، وتكرر ذلك الأمر مرارًا .. تكرر مرارًا منازعتي في عباس العقاد من قِبل الطيبين، فقلت: قد آن!

عباس.. قراءة جديدة للشريعة:

عباسُ العقاد يُقدَّمُ للناس كأديب، والحقيقة أن عباس العقاد كشخص ونتاج لم يكن أديبًا إلا قليلاً، فجُل ما تركه لنا أطروحات فكرية، بل لا أكون مبالغًا إذا قلتُ: إن

---

(1) برنامج أسئلة عن الإيمان، الحلقة 18، د/10، وتوجد نسخة مكتوبة بموقع بطرس.

عباس العقاد أعاد صياغة الشريعة الإسلامية من جديد، حاول إخراج الإسلام في ثوبٍ جديد! فما عباس العقاد إلا قراءة جديدة للشريعة، لا أراه غير ذلك، ومن قدَّمه لنا يعرفون ذلك بل ويقصدونه، يقول صاحب دار الكتاب بدولة لبنان في تقديمه للمجلد الخامس والأخير من موسوعة العقاد الإسلامية: (يتألف هذا القسم من نتاج العقاد، والذي دعوناه بـ«موسوعة العقاد الإسلامية» من خمسة مجلداتٍ هي العبقريات و«شخصيات إسلامية» و«توحيد وأنبياء» و«القرآن والإنسان» و«بحوث إسلامية»، ويشتمل على خمسة وعشرين كتابًا مختلفًا، **تؤلف الذخيرة اللازمة للاطلاع على حقيقة الدين الإسلامي وجوهره**)[1].

هذا ما يدور في رأس من قدّموه لنا.. أخرجوه لنا لنطلع من خلاله على (حقيقة الدين الإسلامي وجوهره) .. يهدف إلى (بعث التراث العربي، وتوجيه الأفكار إليه، وحمل الجماهير العربية على الإعجاب به والاطمئنان إليه)[2]!!

وزد على ذلك أنه إلى يومنا هذا تعقد الندوات والمؤتمرات من أجل تعريف الناس بأفكار عباس العقاد[3].

(1) المجلد الخامس ص11.

(2) مقدمة المجلد الخامس من (موسوعة العقاد الإسلامية) ـ دار الكتاب بلبنان ص13.

(3) في 2004 عقد المركز القومي للثقافة ندوة خاصة بعباس العقاد شارك فيها عدد من المثقفين، وكانت لإحياء ذكرى وفاته، وتعريف الناس بأفكاره وأحواله، وتكرر الأمر في عام 2007م، حاولوا إحياء ذكر ميلاد العقاد بندوة في مكتبة القاهرة تقدِّم للناس أفكاره!!

ومِن إفكهم[1] أن يقدّموا لنا شخصيات لها حسنات وسيئات، ويمرروا السيئات مغلفة بالحسنات، خداع يخدعون به العجلى، ودوامة يستقطبون بها جهد الجادين من عباد الله المخلصين.

والعقاد ممن نعرف منه وننكر، ولكنَّ ما نعرفه لا يشفع لما ننكره. هذا هو المهم.

مهم أن يعرف القارئ بداية أن ما ننكره فيما كتب العقاد كثير كثير، لا يظهر بجواره شيء مما نعرفه.. عباس العقاد من هؤلاء الذين رأوا الحقيقة كاملة فعرفوها ثم حاولوا طمسها بآلة البيان باحثين عن ذواتهم.

عباس العقاد كأديب يحلِّقُ عاليًا ولا تطاله مناوشات أعدائه من الأدباء، يمر عليها مر السحاب، تمامًا كما لم يضار المتنبي ممن حسدوه أو نقدوه، وكما لم يضار شوقي من العقاد نفسه!!

فهذا البحث لا يتجه للعقاد كأديب، بل كمفكر، وسيتضح لك ـ بحول الله وقوته ـ من خلال هذا البحث، أن العقاد لم يكن يحيا بين الناس كأديب، وإنما كمنظر لفكرٍ يعتنقه. وقد قدمت لك أن الذين حملوه على أكفهم لنا وأخذوا على عاتقهم نشر فكره بين الناس لم يقدموه كأديب، وإنما كقراءة جديدة للشريعة الإسلامية.

ما الجديد في هذه القراءة؟!

بعضهم ينقد كتابًا[2]، وبعضهم ينقد سلسلة[3].

(1) الإفك: هو نوع من الكذب يقصد به القلب والصرف.. قلب الحقائق لصرف الناس عنها، ويمارسه الملأ على مَنْ يسمعهم من قومنا أو قومهم.

(2) مشهور نقض معاوية في الميزان.

(3) كما فعل الدكتور اللحيدان في كتابه (نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات).

ودراستي هذه ليست لنوعية من الكتب التي كتبها العقّاد، وإنما هي قراءة شاملة في فكر العقاد، عرض لعقلية العقّاد، أهدف من وراء هذه الدراسة الشاملة لفكر العقّاد إلى كشف حقيقة هذا الرجل أمام من خدعوا به، وأكشف ـ لمن خُدعوا ـ سحرَ الإعلام الذي ألبس من لا يستحقون ثيابًا ليست لهم، وصدَّق الناسُ، أكشف للمخدوعين أن المكر شديد، وأن القوم يأتوننا من القريب والبعيد، وأن المصيبة بالقريب كالمصيبة بالبعيد، بل أشد.

أكتب للطيبين المخدوعين بالأدب، الظانين به أنه للأدب فقط، الجاهلين بأن الأدب وسيلة تركبها الأفكار، أو تقدَّم من خلالها الأفكار.

هي محاولة لتبصير الناس بباطلٍ انتفش حتى غرَّ الطيبَ قبل الخبيث.. هي محاولة لعرض حالة جدت واجتهدت فقط لإثبات ذاتها، هي محاولة لإثارة الحماسة في نفوس الكسالى من الثقة الطيبين بعرض جلد المنحرفين.

وأعوذ بالله أن أضيّع وقت القارئ ومالَهُ في أمر أريد به عَرَضَ الدنيا، ما هي إلا عزمة أردُّ بها الباطلَ عن حياض الدين، وأرشد بها السائرين إلى صراط الله المستقيم بما تعلمت من هدي المرسلين، عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

فاللهم عونك، واللهم تقواك، والعمل برضاك، حتى نلقاك، ونفوز برؤيتك في جنة ونهر، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

محمد بن جلال القصاص

الفصل الأول
ترجمته

توطئة:

الترجمة للأشخاص والدول هي كتابة للتاريخ، والتاريخ الذي بين أيدينا ــ أو الترجمات للأشخاص والدول التي بين أيدينا ـ يُسَجَّلُ برصد الأحداث دون دوافعها الفكرية (العقدية)!!

وقد تسبب رصد الأحداث دون دوافعها الفكرية (العقدية)، أو تسبب تدوين الأحداث دون خلفياتها الفكرية (العقدية) إلى تعقيد التاريخ وتعدد تفسيراته، وصلاحيته للاستشهاد من كل ذي فكر مستقيم أو منحرفٍ، وإننا في حاجة إلى تدوين التاريخ الفكري.. إننا في حاجة إلى رصد الأفكار: كيف تنشأ؟! وكيف تتحرك؟! وكيف تنتقل؟!

في حاجة إلى تركيب الأحداث على الأفكار، كما هو السياق الحقيقي لما يحدث على مستوى الفرد والجماعة.

وهُم ـ كُتَّاب التاريخ ـ حين يتكلمون عن حدثٍ معين فإنهم يُقدِّمون ما يُعرف بالأسباب لهذا الحدث، كأسباب غزوة بدر الكبرى، وأسباب غزوة أحد، وأسباب حروب الردة؛ يقولون: خرج رسول الله ﷺ لاعتراض عيرٍ لقريش قادمة من الشام، وأرسل أبو سفيان يستنفر قريشًا، وجاء النفير لنجدة العير، وبعد أن فلت العير من كمينِ المسلمين لم ينصرف النفير، وأراد بدرًا ليفر المسلمون وتسمع به العرب أو ليقاتل

المسلمين ويعود بهم مقرّنين في الأصفاد، فكان المسلمون بين العير والنفير، فتشاوروا وصمدوا وكتب الله لهم النصر!

ويقولون ـ في ذكر أسباب غزوة أحد ـ: خرجت قريش تثأر لقتلاها يوم بدر حتى جاءت أحدًا بقضها وقضيضها، يجعجع فرسانهم، وتضرب بالدف نساؤهم، وينادي بالثارات جميعهم، وخرج لهم رسول الله ﷺ بعد أن شاور أصحابه ونشب القتال..

ويقولون ـ في تعليل حروب الردة ـ: منعت العرب الزكاة، وظهر الأدعياء فارتدت العرب ووجب قتالها..

وكله أحداث لا أسباب!!

وبعضهم وقف أمام الفتوحات الإسلامية يتصبب عرقًا.. خجل من نظرة (الآخر) لتاريخ المسلمين وقد زحفوا على البر الأجرد وركبوا البحر الأزرق حتى استقرت مطاياهم بالصين شرقًا وجنوب فرنسا غربًا وأطراف روسيا شمالاً.. وقف خجلاً ماذا يقول؟! يرمي بالحجج والمعاذير، يقول: كانت حروبًا استباقية يؤمّنون بها حدود الدولة الإسلامية، وفي كل معركة كانت البداية من العدو، ومن هؤلاء العقاد. وبعضهم يتوارى من ذكر الجهاد، وينظر لصفحاته المشرقة في تاريخ هذه الأمة فيمسكها على هون أو يدسها في جيوب مكتبه ولا يخرجها لطلابه!! وبعضهم وبعضهم، وكأن النصرانية واليهودية والوثنية طاهرة بريئة لم تقتل غيرها ولم يقتتل أبناؤها؟!!

والسبب جهلهم بحال غيرهم، والسبب ضعف وانهزامية في النفوس، والسبب أنهم يتعاطون الأحداث ولا يُرَكِّبُونها على دوافعها الفكرية.

التغيرات الفكرية تسبق التغيرات الحركية وتضبطها.. تحدث معركة في الضمير ثم يكون الظاهر لما يستقر منها في النفس، وتحدث معركة بين الأفكار (أو المفكرين) (أو الدعاة)، ثم يبدأ التغير الواقعي تدريجيًّا لمن يغلب. وإن قومًا يعيشون في يومهم قوم يحركهم غيرهم شاؤوا أم أبوا.

وها أنا ذا أقدم ترجمة فكرية لعبَّاس العقاد، آملاً في أن تكون بداية موفقة وخطوة على طريق إعادة كتابة التاريخ المعاصر على الأقل بخلفياته الحقيقة؛ إذ كله عراك بين الكفر والإيمان[1].

نشأته.. سياسي ثائر:

ولد عباس العقاد (1889م ـ 1964م) في إحدى القرى بأقصى جنوب مصر (مدينة أسوان) حيث كان يعمل أبوه[2]، ورحل العقَّاد إلى القاهرة وعددٍ من مدنِ شمالِ مصر طلبًا للرزق، وضاقت به أسباب الرزقِ مرارًا، واضطرته أحيانًا لبيع كتبه، أو العودةِ لأهله في أقصى الصعيد.

كان عباس العقَّاد صاحب إمكانات شخصية كثيرة، يبرز منها حدَّةُ الطبع، والتحدي، وكان معتزًّا بنفسه، يعلم منها القدرة على ما لا يستطيعه كثيرٌ من أقرانه، توَّاقًا للريادة، شديد الخصومة، ولذا كثرت مشاكساته وخصوماته.

---

(1) وقد بدأتُ في كتابة السيرة النبوية بخلفية عقدية، وانتهيت من الجزء الأول منها تحت عنوان: (الكفر والإيمان إذْ يعتركان ـ قراءة عقدية للفترة المكية في السيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام). وقريبًا ينشر إن شاء الله.

(2) «العقاد»: لقب لمن يعملون بالحرير، وربما كانت مهنة في أجداده.

بدايةُ عباسِ العقادِ سياسيةٌ محضةٌ لا علاقة لها بالناحية الدينية، فكانت بدايته مع اللغة في صحيفة (الأستاذ) التي أنشأها عبد الله النديم، وتعلم الإنجليزية مبكرًا متأثرًا بالجالية الإنجليزية التي كانت في أسوان ـ حيث ولد عباس العقاد ـ وبدأ بقراءة ما كتب مشاهير الإنجليز[1]، وكان يوقع مقالاته كما يفعل الإنجليز (ع. م. العقاد) اختصار للاسمين الأولين ثم اللقب[2].

التقى أميرَ الشعراءِ أحمد شوقي وهو شاب صغير بالكاد تجاوز العشرين من عمره، فنشب الخلاف بينهما على صورةٍ معلقةٍ بالجدار، ومِن يومها راح يطاولُ ويناطحُ أميرَ الشعراء أحمد شوقي!! فجمَّع حوله فتيين صغيرين: عبد الرحمن شكري (1886م ـ 1958م) وإبراهيم المازني (1890م ـ 1957م)، وحملوا بضاعة الغرب في النقد (الرومانسية الثائرة على الكلاسيكية)، وجلسوا بها في طريق أحمد شوقي ومَن على دربه، يقولون: مدرسة جديدة في النقد، وهي نقل لما عند الغرب.. استيراد لبضاعتهم وليست أبدًا تجديدًا[3]!!

ثم غرق ربعَ قرنٍ من الزمن في ظلمات السياسة، بدأها بالسير خلف سعد زغلول ثم البرلمان فالسجن لتسعةِ أشهر بعد أن أخذته الحماسة وسبقه لسانه بجملة (شجاعة)

---

(1) أشار إلى شيء من ذلك في نهاية كتابه عن غاندي.

(2) الفكر الإسلامي المعاصر ص128.

(3) عُرفت هذه المدرسة باسم (مدرسة الديوان)، وسميت بذلك نسبة للكتاب الذي ألفه العقَّاد والمازني يشرحان فيه أهداف هذه المدرسة وأُسسها. واسم الكتاب الذي ظهرت فيه مبادئ هذه المدرسة ونتاجها الأول (الديوان في النقد)، وهي نقل عن الغرب، تحديدًا الإنجليز، تحديدًا هازلت، وأصحابها وأنصارها إلى اليوم لا ينكرون هذا الأمر بل يفاخرون به!!

يشير فيها إلى الملك، فتحرش به جند الملك حتى أوقعوه وحبسوه تسعة أشـهر[1]، ثـم خرج من السجن واشتبك مع رفقاء الدرب ممن بدلوا وغيروا في تعاليم سعد زغلول، وانتهى الأمر بالخروج عليهم والاشتراك مع من أسس حزب السعديين (نـسبة لـسعد زغلول).

انقضى أكثر من خمسين عامًا من حياة العقاد في هذا الهراء، انتهت بهزيمة سـاحقة للعقاد جعلته يفكر في الانتحار[2]، ثم تحوّل عباس العقاد بعد هذه الهزيمة، وبعد رحلة التخبط الطويلة هذه إلى الكتابة في الإسلاميات!!

كانت الكتابة في الإسلاميات بالنسبة للعقاد نوع من الترويح، وخروجٌ من ساحة لم يعد يجد فيها إلا الموت بيده (منتحرًا) أو بيد غـيره (اغتيـالاً)!! ولم تكـن أبـدًا توبـة وتحولاً لنصرة الدين، ودفع الصائلين المعتدين.. وهاك مزيد بيان:

مـدفـوع:

كانت الصحوة الإسلامية قد انتشرت، وكان الصدام مع المجرمين المتطاولين على حمى الدين أوجد رموزًا ورفع أسماءً، وكانت القضايا الإسلامية هـي الرائجـة يومهـا، فكتبت أقلامٌ للسوق، لينتشر اسمها ويرتفع قدرها، ولا أستبعد أن العقاد كان يكتـب للسوق، أو توجه لما هو رائج، فكًّا للخناق السياسي الذي طوّق عنقه حتى كاد يقتله.

---

(1) هذا ما يتردد على لسان محبيه، والحقيقة أن العقاد لم يتكلم في حق الملك بكلمة مباشرة ،. ويبدو أن محبيه يحاولون نسج بطولة له.

(2) ذكر ذلك غازي التوبة في كتابه (الفكر الإسلامي المعاصر). وذكره (رجاء النقاش) في كتاباتـه عن العقاد، وذكره غيرهم، وهو مشهور معروف.

جاءت كتابته عن الإسلام في إطار موجة من الكتابة عن الإسلام بعد انتشار الحركة الإسلامية ـ الصحوة وهي الإخوان يومها ـ في مصر، وتعاطف الجماهير معها إبان الجهاد مع اليهود وضيق الصدر بالاحتلال، ومع وجود الغزو الفكري من قِبل المستشرقين وأذنابهم من المبتعثين لبلادهم، ومع دخول الإسلاميين في السياسة؛ فقد كانت الحياة كلها (إسلامية) توافق أو تعارض، أو قل: كان الحديث عن الإسلام في كل مكان.. ومن كل التوجهات.

فرضية أن العقاد كتب للسوق يدعمها أن الرجل قبل أن يبدأ في سلسلة العبقريات كان مهزومًا في مواجهاته مع المنشقين على سعد زغلول، حتى إنه حاول الانتحار، وطبعي أن يخرج من هذه الساحة إلى غيرها. ونلاحظ أن العقاد لم يترك السياسة كليةً وإنما بقي يكتب من وقت لآخر في السياسة.

وفرضية أن العقاد كتب للسوق يدعمها كتابه عن (بنيامين فرنكلين)، مؤسس أمريكا، فما جاء بجديد، بل حين تقرأ الكتاب تشعر وكأن العقاد لا يجد ما يقول، ينقل صفحات من مذكرات الرجل التي كتبها بخط يده، ويكرر كلمات قيلت هنا وكلمات قيلت هناك، تشعر وكأن العقاد في مخاض.. بصعوبة يجد ما يكتب، كالتي تلد ميتًا.. يؤلمها وبالكاد يخرج منها.. يقول فيه ما يقوله في غيره: سياسي منفرد، وعالم قد علم، وفيلسوف متكلم، وأديب قد كتب، ومفاوض قد أخذ من خصمه بحنكته، ورحيم بالعبيد، ومؤدب للأغنياء.

ما هو إلا أن الأمريكان أرادوا تسويق بضاعتهم فبحثوا عن قلم مشهور، فكان العقاد، استكتبوه، وقدّموا للكتاب وقاموا بطباعته، ومن ثم نشره.

وفرضية أن العقاد كان يكتب للسوق يدعمها أنه كان يكتب في المناسبات، كتب عن غاندي، وعن بنيامين فرانكلين، وزعيم الصين صن يات سن. وأستبعد أن يكون الهنود قد استكتبوه، ولكنه ركب الحدث واستطعم الكتابة عن المشهورين، أو كتب عنهم بدافع الإعجاب بالعباقرة.

ولم تكن هذه الموجة التي ركبها العقاد مدفوعة بالجماهير فقط... بمعنى أن من يكتب يكتبُ لينتشر اسمه وتربح كتبه، **وإنما كانت مدفوعة حقيقة بالمستشرقين!!** وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله حال التعليق على الترجمة.

فقط أثبت هنا أن الكتابة في الإسلاميات لم تكن توبة عن السياسة ودخولاً بين المتدينين دعوةً للدين أو دفعًا للمجرمين، لم يكن هذا أبدًا هو السياق الذي أفرز لنا ما يسمى بإسلاميات العقاد، ويتضح ذلك من خلال مناقشة عبقريات العقاد وكثير من إسلامياته خلال هذا البحث، إن شاء الله وبحوله وقوته.

لم ينخلع من السياسة وتبنى أفكار الغرب إلى الإسلاميات، بمعنى أن كتاباته لم تكن عن الإسلام توبةً أبدًا، وإنما كانت ترويجًا بعد هزيمة ساحقة في الناحية السياسية، وكانت تطبيقًا لعقيدته التي يؤمن بها، وهي (الفردية)، ولم يتخلّ عن معاركه السياسية، ولم يترك نصرة أوليائه من الغرب، فقد وقف بجوار الديمقراطية في معركتها مع النازية (الألمان وحلفائهم)، وألّف (هتلر في الميزان 1941م) حال كتابته في الإسلاميات، واستمر دفاعه بعد ذلك في كتاباته، وقد فصّل هذا وشرحه واستدل عليه من كلام العقاد الشيخ غازي التوبة في كتابة الفكر الإسلامي المعاصر ص 127 وما بعدها. وكتب عن غاندي حال كتابته في الإسلاميات، وكتب عن المسيح بما سيأتي بيانه إن شاء الله حال كتابته في الإسلاميات.

عناد واضطراب:

هذه بعض المواقف من حياة العقاد أرصدها هنا لبيان أهم ملامح شخصيته، وهي العناد الذي أدى إلى الاضطراب في شخصيته:

ـ أجمع العارفون بالشعر على إمارة أحمد شوقي، واجتمعوا حوله وتوجوه بالإمارة على الشعراء، إلا العقّاد، خالف إجماعهم ـ وهو بعد شابٌ صغيرٌ ـ ووقف قريبًا من جمعهم يرمي صغيرهم وكبيرهم[1].

وفي الوقت نفسه بايعه (طه حسين) على إمارة الشعر، وقَبِلَ العقاد هذه البيعة!!

فعل ذلك طه حسين اتقاءً لشرّ العقاد، فقد كان العقاد طويل اللسان، شديد الخصومة، وكان طه حسين حديث العهد بحزب الوفد، دخله وفيه العقاد كبيرٌ يقول ويفعل ويُسمع له، فخدع طه حسين العقادَ بهذه المبايعة، وصدَّق العقاد!!

وسمع بهم أحدُ الساخرين فقال ـ فيما يرويه الرافعي في (على السفّود) ـ:

خدَعَ الأعمى البصير — إنّه لهوٌ كبيرْ
أضحك الأطفال منه — إذ دعاه بالأميرْ
أصبحَ الشعرُ شعيرًا — فاطرحوه للحميرْ

ولا أدري لمَ قبل العقاد إمارة الشعر والمبايع فرد واحد، وهو ضعيف هزيل يقف تحت أقدام الشعراء؟!!

---

(1) تكلّم هو عن ذلك في (ساعات بين الكتب) ص 219 وما بعدها، وفي مقدمة كتابه الديوان، وأعتقد أن المقدمة كتبها المازني.

ربما فقط تشويشًا على شوقي، وحبًّا في الشهرة!!

ـ وحضر العقادُ مصطفى صادق الرافعي وهو يتكلم عن الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فتطاول عليه حتى استعداه، ولكن الرافعي عدا على العقاد فتركه (مُسفَّدًا)[1]!!

ـ ولم يسلم منه زكي مبارك، ولا مصطفى فهمي، ولا طه حسين، ولا ذو شأنٍ برز بجواره وهو حي!!

ـ ولذات السبب طالت صحبته بالمازني، وأثنى عليه مرارًا، ذلك أن المازني كان يسارع إلى انتقاص نفسه قبل أن ينتقصه الآخرون، ولم يكن يطاول العقَّاد ولا يطاعنه بقلمه، بل كان يسير بجواره كالصفر كما يقول هو[2].

ـ وأنكرت الأمةُ ما كتبه طه حسين في كتابه (على هامش السيرة) حين صدر عام 1928م، وكذا ما صدر يحمل اسم علي عبد الرازق عام 1925م، إلا العقاد، وقف

(1) كتب الرافعي في الرد على العقاد كتاب (على السَّفُّود)، والسَّفُّود هو سيخ الحديد تُشوى عليه اللحوم في المطاعم، ومُسَّفَّد تعني شُوي على (السيخ)، هكذا قال الرافعي في بداية كتابه (على السَّفود). وقد روى طابع الكتاب وكاتبه قصة الخلاف بين العقَّاد والرافعي كما أشرتُ إليها.

(2) كان إبراهيم المازني (1890م ـ 1947م) قصير القامة جدًّا بعكس العقَّاد، وكان يصف نفسه والعقاد حين يسيران معًا بالرقم (10)، أعرج، صاحب نكتة، يعيش في المقابر فقيرًا معدمًا، متشائمًا يائسًا، لا يخلو من (غزوة نسائية)، ولا يذكر بفضيلة أخلاقية، صحب العقاد في أول حياته، وأسسا الديوان معًا بصحبة إبراهيم شكري. وعلى صفحات الشبكة العنكبوتية تسجيل صوتي للعقاد يثني فيه على المازني.

بجوارهما ينصرهما!! يقول: حرٌّ وحرية[1]!!

ـ وأثنى على قاسم أمين، وعلى كتابيه (المرأة الجديدة) و(تحرير المرأة)، وأسماه (المصلح الكبير)، وكذا على نظيرة زين الدين صاحبة كتاب (السفور والحجاب)[2].

ـ وثارت ثائرة الأعضاء في البرلمان ـ وليس فقط علماء الأزهر والمتدينين ـ على مسرحية «جان دارك» لبرنارد شو لما فيها من هجوم شديد على الإسلام ورسول الله ﷺ، ووقف العقاد في البرلمان يدافع عن المسرحية بدعاوى سخيفة، يقول: لم يتطاول برنارد شو، وإنما تطاول أبطال المسرحية[3]!! وبرنارد هو الذي كتب، وهو الذي يتكلم على لسان أبطال قصته، وسواء أكان التطاول من برنارد شو أم كان من غيره فهو تطاول، بغض النظر عمن كان سببه، وعلينا أن نوقفه، ولكن العقاد أبى إلا أن يكون عكس التيار، يتحدى من يقف في وجهه وإن كان بباطل!!

ـ وكان ينكر الإعجاز البياني للقرآن الكريم؛ يحكي فتحي رضوان أنه تلا على العقاد سورة الناس فقال: لو نسبوا إليّ هذه السورة لتبرأت منها[4]!!

سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(1) انظر: ساعات بين الكتب ص807 وما بعدها، وانظر ص737 وما بعدها.
(2) انظر: ساعات بين الكتب ص527.
(3) انظر: أدباء ومواقف، لرجاء النقاش ص15، وللعقاد كتاب يتحدث فيه عن برنارد شو طُبع في المجلد التاسع من موسعة العقاد ـ دار الكتاب ـ لبنان، وفي ذات المجلد أيضًا ذكر للشاعر الألماني جيتي، وكذا لشكسبير. فكلهم محل ثناء عند العقاد.
(4) انظر: عصر ورجال ص229.

ـ وحينًا سالَم التيارات الإسلامية ـ الإخوان يومها ـ وحينًا وثب عليهم، يدّعي أنها حركة يهودية تعمل لصالح اليهود، وأسسها حسن البنا ذو الأصول اليهودية، بزعم العقاد وهو كاذب[1]!! وحينًا بين الكادحين يدافع عنهم ويتكلم بلسانهم، وحينًا صديقًا للجبابرة المجرمين من أمثال النقراشي (باشا)[2].

كان ثائرًا متمردًا مضطربًا قلقًا شديد الخصومة، كثرت خصوماته حتى توفي ـ غفر الله لنا وله ـ وليس حوله أحد ولا في جيبه ما يكفي لشراء علاجه، لولا أن منَّ الله عليه ببعض المحسنين.

ولم يكن العقاد يحترم خصومه؛ فقد كان يُسمع منه في حقهم بعض الأوصاف الرديئة مثل (حمار) (قرد) (عبيط)، وما هو أشد من ذلك على رواية تلميذه أنيس منصور في كتابه (في صالون العقَّاد).

بهذا ارتفع العقاد:

في حس كثيرٍ من مثقفي اليوم يجلس العقاد عاليًا، وحين تسأل عن السبب لا تجد، اللهم إلا أن يسمي لك أحدهم (العبقريات) ويرشدك إلى قراءتها، مشددًا على أن تقرأ متأنيًا ولا تعجل!!، وإن كان المتحدث مثقفًا سمَّى لك بعض الكتب التي تحمل أسماءً إسلامية مثل (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) و(ما يقال عن الإسلام).

وكثيرون كالعقاد، تربعوا عاليًا واستكانوا في حسِّ عامة المثقفين، وما درى أحدٌ ما السبب؟!!

(1) يأتي بيان هذا حالَ مناقشة العبقريات.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر: (الفكر الإسلامي المعاصر.. دراسة وتقويم) ص127 وما بعدها.

ومَردُّ كِبرِ العقاد وأمثاله في حِسِّ كثير من الناس إلى آلـة الإعـلام الـضخمة التـي تنتشر في كل مكان وتخاطب الكل بكل الوسائل المتاحة، وبكل المستويات، تُحسِّن مـن تشاء ممن يوافق هواها!!

فعلى سبيل المثال نجد أن هذه الآلة الإعلامية الضخمة قدمت عباسَ العقَّاد ضمن مجموعة (الرواد) أو (جيل العمالقة والقمم الشوامخ)؛ والتسميةُ ترسمُ صـورةً قويـةً: (الرواد)، وبهيةً: (عمالقة.. شوامخ)، هذا المنظر الضخم القوي البهيُّ (يخض) القـارئ البسيط ويجعله يقرأ مستسلمًا، وهذا ما يحدث بالفعل! فأجدُ المعترضـين عـلى توضـيح حال العقاد ليس عندهم شيء سوى التعجب من أن يُنقد العقاد!!

وقد خلعوا على آحادهم ألقابًا خاصةً باهيـةً مبهـرةً، فطـه حـسين (عميـد الأدب العربي)[1]، وعباس العقاد (عملاق الأدب العربي)، ولطفـي الـسيد (أسـتاذ الجيـل)، وطلعت حرب (اقتصادي مصر الأول)... وهكذا.

وهؤلاء (العمالقة) (الرواد) لم يقدموا للأمة سوى (عـصارات مـن الفكـر الغـربي انتزعت من هنا أو هناك، وخلاصات ومترجمات لمضامين ذلك الفكر الذي سيطر على الغرب تحت اسم الفلسفة المادية ومدرسة العلوم الاجتماعية والتحليل النفـسي، وهـو خلاصة ما كتب داروين ودوركايم وفرويـد وسـارتر ومـاركس وإنجلـز ومترجمـات للقصص الجنسي والإباحي من الأدب الفرنسي) كما يقول الأستاذ أنور الجندي[2].

(1) أطلقته عليه إحدى الصحف الفرنسية اليهودية، ولم يأخذه بشهادة مختصين.

(2) جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ـ المقدمة، وفي هذا البحـث ردَّ الأسـتاذُ أنـور الجندي ما كتبته يدُ هؤلاء (العمالقة) إلى أصولها الغربية، مبينًا أنهم لم يأتوا بجديد، وإنما كـانوا=

وغاب عن الساحة (الرسمية) أو انحسر كثير من الأعلام من أمثال محمد محمد حسين، وسيد قطب، ومحمد قطب، وعبد العزيز جاويش، وعبد الله دراز، ومصطفى صادق الرافعي، وما زالوا إلى يومهم هذا ينفخون في العقاد وأمثاله؛ تُعقد الندوات ويتم تغطيتها إعلاميًّا للتعريف بالعقاد بدعوى الاحتفال بذكرى وفاته أو بذكرى ميلاده، وكتبه ما زالت تطبع وتوزع.

وكان عباس العقاد يلقى دعمًا في حياته جعل كتاباته تفرض على الناس، أو جعل صوته يصل للناس، من ذلك قربه من سعد زغلول، ومن ذلك دعم حزب السعديين المادي والمعنوي للعقاد، فقد قرر عددًا من كتبه على تلاميذ المدارس، وعيّنه الملك فاروق عضوًا في مجلس الشيوخ.

بل وتلقى دعمًا من الإنجليز حين طبعوا كتابه (هتلر في الميزان) بآلاف النسخ ووزعوها على مختلف البلاد العربية، ثم بعد ذلك حين ترجموا كتبه ـ وخاصة العبقريات ـ إلى لغات أخرى شرقية وغربية. وتلقى دعمًا من الأمريكان حين نقل سيرة مؤسس دولتهم (بنيامين فرانكلين) بالعربية ونشرها ببعض التعليقات عليها.

ومَردُّ كِبر العقاد في حِسِّ كثيرٍ من الناس وشهرته الواسعة إلى أنه كان مشاكسًا شرسًا دائمًا في الاتجاه المعاكس، ثائرًا على السائرين حوله، شديدَ الجلبة والصياح كما مرَّ بنا.

ومَردُّ كِبر العقاد في حِسِّ كثيرٍ من الناس إلى أن العقاد بدا لعامة القراء كأنه من المدافعين عن الإسلام، أو الصامدين في وجه المعتدين على حرمات الدين، من المستشرقين!!

=(كباري) بين الشرق والغرب على حد تعبيره. وأيد هذا الأمر أنيس منصور في كتاب (في صالون العقاد) ص606.

وهذا الكلام من الكذب والخداع من ناحيتين:

الأولى: أن العقاد لم يكن في وجه المستشرقين مدافعًا عن الإسلام، بل كـان العقـاد يتبنى فكرًا ويدافع عنه، وكان بين المستشرقين كأحدِهم يَقْبَلُ مـنهم ويـرفض، وقبولـه ورفضه بعقله لا بشرع ربه، فقد كان يعرض أفكارهم على عقله، فما اسـتقام لـه أخـذه وما لم يستقم له تركه ورد عليه. وقد مضى أنـه حمـل بـضاعة الإنجليـز في النقـد الأدبي (الرومانسية الثائرة على الكلاسيكية)، ونظَّر لها في بلادنا. وستأتي أمثلة أخـرى فكريـة وعقدية ليس أكبرها أنه دافع عن (عصمة) كتاب النصارى، ووقف ـ بقصد أو بـدون قصد ـ بجوار المنصّرين يرد حجج المسلمين على بطلان دين الصليب!! حتى القـضايا التي دافع فيها عن الإسلام كان دفاعه مهزوزًا. ونأتي على مناقشة ذلك كله إن شاء الله وقدَّر.

وحتى تعرف صوابَ قولي أعرض عليك ما قالـه نـاشر كتـب عبـاس العقـاد[1]، يقول: (كان العقاد محايدًا يحـتكم للمنطـق، ومعطيـات علـم المنـاهج وعلـم الـنفس، والمحاكمة العقلية، والنهج العقلاني. فلم يكن فيما أراد إثباته أو نفيه ذلك المؤمن الذي يكتفي بإيمانه ويقتصر على أدلة ذلك الإيمان، ويدعو الخصم إلى منازلته في ساحته هـو؛ بل انتقل إلى ساحة الخصم واستعمل سلاحه، حتى لا يكون للخصم إذ يُغلب أية تَعِلَّة في انهزامية وحبوط رأيه وحكمه).

قلتُ: هذا قوله؛ أما العقاد فما كان يستحضر الدليلَ الشرعي أصلاً، كأنه لا يعرفه، وفي مواطن لا يصلح فيها إلا هو ـ الدليل الشرعي ـ بل كان يعاكسه كثـيرًا. فحقيقـة

(1) دار الكتاب ـ لبنان، في كلمة الناشر في مقدمة المجلد الخامس ص13.

أمره أنه كان مع عقله، إن وقف بين المستشرقين أو بين الموحدين، أو إن وقف في وجه المستشرقين أو وقف في وجه الموحدين والساسة والمصلحين.

والعقاد كان يفخر بأن كتاباته تعجب المسلمين وتعجب الكافرين[1]، والعقاد دافع عن الأديان ككل أمام المنكرين لها. ويدافع عن الخرافة عند الأديان، والخرافة هي الأساطير، وهي عند الوثنيين ـ هنودًا ويونانيين ـ ولا يعرفها الدين الصحيح[2].

فلم تكن حالة من الدفاع عن الدين، ولا حالة من التصدي للمستشرقين جملة، بل أحيانًا. ويأتيك مزيد بيان بحول الله وقوته فتمهل ولا تعجل.

والعقاد متردد متحير، لم أجده مضطردًا في فكرةٍ واحدة، ولم أجد عنده ثابتًا سوى المخالفة والمغايرة والتفرد في مواقفه وآرائه.

الثانية: من المُحْكَم في عقيدتنا ـ وهو محكم في العقول السليمة ـ أن الباطن مرتبط بالظاهر، فما يظهر على الجوارح ترجمة صادقة لما تكنه الصدور، لا يجادل في هذا عاقل فضلاً عن عالم بالكتاب والسنة، والعقاد نفسه يعرف هذا ويتكلم به! فهو يقول: (العبادة فرع من العقيدة يشاهد عيانًا في حيز التنفيذ أو التطبيق)[3]، ولم يكن العقاد ــ ولا أي من (الرواد) ـ يمارس الإسلام في حياته العامة، فعلى سبيل المثال كان صالون العقاد الأدبي يعقد صباح الجمعة وينتهي بعد الصلاة بساعة.. أي في الثانية ظهرًا[4]!!

(1) انظر: مقدمة عبقرية عثمان على سبيل المثال.
(2) انظر على سبيل المثال: كتاب حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ المقدمة.
(3) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص116.
(4) في صالون العقاد ص 9، 31، 301 ط. دار الشروق.

ولم يكن الصالون يناقش قضايا مهمة أو محددة، وإنما (كلام من وحي الساعة.. والأحداث.. أو تساؤلات الزوار). كان مجلسًا للغيبة والنميمة[1]، يحضره اليهود والنصارى والملحدون والبهائيون.

والعقاد يبدو قويًّا.. عدوًّا للمرأة.. متعاليًا عليها، وهو في وحل الشهوة إلى أذنيه، فلم تنقطع علاقة العقاد أبدًا بالمرأة، وكلها كانت غير شرعية!!

النساء في صالون العقاد يجلسن بجواره، وربما يداعبنه ويلمسن يديه أو يمسكن بمنكبيه، أو يغزلن بأيديهن ويهدينه ما يغزلنه، وقد تجلس إحداهن بجوار سريره عارية الذراعين ببنطال (محزق)، كأن ثوبها بشرة أخرى على بشرتها، وتدخن السجائر، ويدقق النظر في يديها وخصرها، وتقول ويسمع لقولها[2].

وقصص الحب في حياة العقاد متصلة لم تنتهِ من بدايات العقد الثالث من عمره، فقد كانت البداية مع مي زيادة (ماري إلياس زيادة)[3]، من عام 1916م، وكان بينهما

---

(1) ذكر أنيس منصور تطاول العقاد على قرنائه بأسلوب ساخر في ص31 وما بعدها. وفي 520 وما بعدها، وتناثر مثل هذا كثير في كتاب أنيس منصور (في صالون العقاد) ، وهو مشهور معروف عنه.

(2) ذكر ذلك وغيره أنيس منصور في (في صالون العقاد) في ص 9، وما بعدها، وص 287.

(3) ماري إلياس زيادة (1886م ـ 1941م)، نصرانية من الناصرة بفلسطين، هاجرت للبنان ثم = مصر، درست في مدارس الراهبات في لبنان وأتقنت عددًا من اللغات كان آخرها العربية، واشتغلت في صحيفة (المحروسة) التي أسسها أبوها بمصر، وكان لها صالون (اجتماع في بيتها) كل يوم ثلاثاء يأوي إليه كل (من هب ودب) كما يصف أنيس منصور، وكانت نصرانية متدينة تهتم بما عرف وقتها بقضايا المرأة وتحاول زحزحة العقاد عن موقفه من المرأة وعن تراجعه عن نصرة النسويين، أحاط بها عدد من مفكري مصر؛ منهم العقاد ولطفي السيد وطه حسين، وراودها بعضهم عن نفسها، وبعضهم اكتفى بالتغزل فيها والكتابة إليها، وكانت تقف قريبًا من

رسائل، نشرَ أنيس منصور بعضها وأحجم عن البعض الآخر لما فيه من (أمور شخصية جدًّا) كما يقول هو[1].

ثم كانت علاقة قوية مع لبنانية كانت تأتيه البيت ويخلو بها ساعات طوال تطبخ له وتضحكه ويضحكها حتى يعلو صوتهما، ثم تركها حين تتبعها ووجدها تخرج من عنده إلى غيره، ويبدو أنها كانت من (بنات الليل) .

وانتهى الشباب ولم يرجع عباس عن جسد المرأة، ولم يشأ أن يبحث عن حلالٍ يأوي إليه، دخل في قصة ـ وهو شيخ قد قارب الستين ـ مع إحدى الفنانات التي (لم تقتنع بمجد العقاد وشهرته، وكانت تريد أن تنطلق إلى عالم الفن وتعيش في قلب الحياة الصاخبة)، وغير ذلك من قصص الحب[2]، وقد ذكرت ما كان بينها وبين العقاد في مذكراتها وقصتها معه مشهورة معروفة[3].

هذا بخلاف المرأة التي أنجب منها الطفلة (دُرِّية)، ظهرت هي وطفلتها يوم

الجميع، وكانت تحب خليل جبران وتراسله سرًّا ثم ماتت كمدًا وحسرة بعد رحلة مع الجنون. احتلت مي زيادة مكانة بين الأدباء والشعراء، وصارت حدثًا في التاريخ الفكري في مصر والشام مع أن كلهم على أنها لم تكن هذه الأديبة، والسبب من وجهة نظري أنها وقعت بين ذئاب محرومة من الأنوثة، فلم يكن العري قد انتشر يومها، وأنها كانت لا تقطع أملَ مريدٍ في وصالها، ونفسي لا تطاوعني في براءة هذه النصرانية، ولا في أنها كانت تتصرف من نفسها، وإن وجدت وقتًا فتشتُ في حالها!!

(1) مقال أنيس منصور بالشرق الأوسط بتاريخ 19/12/2007.

(2) رجاء النقاش، عباقرة ومجانين ص238.

(3) انظر: الشرق الأوسط ـ العدد (10461).

وفاته[1]، ويبدو من الوصف أنها كانت سيدة من عامة الناس ربما لا تقرأ ولا تكتب، ورجاء النقاش يصرح بأنها هي التي كانت تخدمه في بيته[2].

هذا هو العقاد متصل بالمرأة إلى أن مات، واتصال محرَّم!!

وكان أنيسَ العقادِ في بيته كلبٌ يسميه (بيجو)، كان يحبه حبًّا كثيرًا ويصطحبه معه إن رحل بعيدًا أو قريبًا، وكتب عنه مقالاً في مجلة الرسالة، ونشر في مقاله مودته وشدة تعلقه بهذا الكلب (بيجو)، ثم رثاه حين مات بقصيدة، ولك أن تسأل عمن يحب الكلب ويجالسه: أكان يصلي؟!

يجيبك العقاد نفسه وهو يحكي قصة (الشيخ) حمزة مع كلبه بيجو[3].

ومَردُّ كِبر العقاد في حِسِّ كثيرٍ من الناس إلى أن العقاد كان في الحدث دائمًا، وأضف إلى ذلك أنه كان في الحدث مشاغبًاوقف في صف فلول الثورة العرابية، يخلع على زعيمها أحمد عرابي أعزّ الألقاب عنده ـ العبقري ـ، ثم وقف مع ثورة 1919م، وكانت عظيمة في حسّ الناس يومها، وكان دَنِيًّا من سعد زغلول (الزعيم)، ثم كان صديقًا حميمًا للمنشقين على الوفد (السعديين).. يجرد تلك الزعامات الموهومة بل المصنوعة من الخطأ ويلبسها ثوب العبقرية[4]!!

---

(1) جعل أنيس منصور في كتاب (في صالون العقاد) الفصل الخاص بوفاة العقاد تحت عنوان: (وماتت ابنةُ العقاد).

(2) رجاء النقاش، عباقرة ومجانين ص239.

(3) رجاء النقاش، عباقرة ومجانين ص240، وما بعدها.

(4) المفكرون والسياسة في مصر المعاصرة ـ دراسة في مواقف عباس محمود العقاد للدكتور محمد صابر عرب، مكتبة الأسرة 2008.

وبدا عباس العقاد للناس ـ وخاصة في آخر حياته ـ فقيرًا لا يطالب بشيءٍ من المناصب، ولا يرضى بما عرض عليه، بل سخر منه أحيانًا، لم ينل شيئًا من عوارض الدنيا التي تكالب عليها قرناؤه، يلتقي زواره ببجامة صوف لا تتغير صيفًا أو شتاءً.

وهي حالة من الكبر والاستعلاء، وليست أبدًا حالة من الزهد والورع، وما كان العقاد أبدًا زاهدًا في المناصب، فقد دخل مجلس الأمة (البرلمان) مبكرًا في حكومة سعد زغلول، وكان قريبًا من زعيم حزب السعديين المنشق على الوفد، وشغل عددًا من المناصب.

ويبدو العقاد مشرقًا بهيًّا حال مقارنته بطه حسين، وهذا ما يحدث من كثيرين بالفعل، يقارنونه بطه حسين وكأن لا ثالث لهما، والحقيقة أن الاثنين ظالمان، العقاد ظالم لنفسه وأمته، وذاك أظلم منه.

ما كان بالعقاد تواضع، ولا ترفع عن المناصب زهدًا في الدنيا وطلبًا لما عند الله، بل كان يزدري كل الألقاب، ويأبى أن يرافق أيًّا منها اسمه مهما علا شأنه، فاسمه مجردًا أعلى من كل الألقاب، اللهم أن يقال: الأستاذ بالألف واللام (أل العهدية)، وكأنه هو الأستاذ وحده[1]!!

ومَردُّ كِبر العقاد وغيره في حِسِّ كثير من الناس إلى غياب الميزان الشرعي الصحيح عند كثيرٍ من أبناء الأمة، وقد بدأ هذا الأمر يتراجع ولله الحمد، فالذين يتحدثون عن العقاد لا يحسِّنُون ولا يقبِّحون بميزان الشرع، وإنما بشيءٍ آخر، فترى كثيرًا ممن يتكلم لا يعبأ بالرجل وهو لا يصلي، ولا يعبأ به وهو في الأحزاب السياسية

(1) انظر ما قاله للمخرج السينمائي كمال الملاخ حين أراد أن يدخل بعض التعديلات على روايته سارة كي يخرجها فيلمًا. (في صالون العقاد) ص644.

التي تقوم على مبادئ كفرية، ولا يعبأ بالرجل وهو ينصر الحكومات القمعية ويتطاول على الممثلين للإسلام في زمانه[1]، ولا يعبأ بالرجل وهو يتناول سيرة الرسول ﷺ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بغير ما هي عليه.. يقدم قراءة أخرى للسيرة النبوية، ولا يعبأ بالرجل وهو ينكر الوحي النازل من السماء على أنبياء الله، ولا يعبأ بالرجل وهو يعظم المنحرفين من أبناء الأمة من أمثال الحلاج وابن عربي ويرى أنهم عباقرة في الإيمان!!

ووجد العقاد مكانًا عاليًا بين المثقفين؛ ذلك أنه كان وسطًا بين عملاء الفكر المفضوحين من أمثال طه حسين ولطفي السيد وقاسم أمين وعلي عبد الرزاق، وبين أهل الحق المستمسكين بالكتاب والسنة من أمثال محمود شاكر ومحمد شاكر وسيد قطب، ومحمد محمد حسين، ومصطفى صادق الرافعي، والوسط بين الحق والباطل باطل مهما قيل.

فالنور واحد والظلمات كثيرة؛] ! " # $ % & ') (+ , - . / Z [الأنعام: 1]، وقد تكون ظلمة أخف من ظلمة أو تكون ظلمة قريبة من النور وظلمة بعيدة عن النور، وكله ظلام قرُب أم بعُد.

علاقة عباس العقاد بالاستشراق:

عكف المستشرقون على قراءة أحكام الشريعة، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وما كُتِبَ في القرون الأولى، وخرجوا بقراءة جديدة للشريعة الإسلامية.

(1) ثارت ثائرة العقاد على الإخوان المسلمين وسماهم (خُوَّان المسلمين) يوم اغتالوا النقراشي (باشا) رئيس الوزراء.

أعادوا قراءة الشريعة لتقبل الآخر ولتقول بما ينادي به الغرب والمستغربون من(المساواة) و(التبرج والسفور) و(تنحية الشريعة)، وأعادوا قراءة التاريخ الإسلامي وخاصة في القرون الأولى لتقدِّم الأحداث للناشئة في إطارٍ آخر غير إطار الصراع من أجل تعبيد الناس لله، وأعادوا قراءة كتب الأولين ممن كتبوا في القرون الأولى لإبراز الشاذ كالأصفهاني والجاحظ والجهم والجعد وتشويه المستقيم.

أعدُّوا هذه القراءة في صورة كتب جاهزة للنشر تم تسليمها إلى عملاء الفكر الغربي من أمثال (طه حسين وعلي عبد الرازق) ليكتبوا عليها أسماءهم ثم يخرجوها لنا، فقد برهن العارفون على أن الذي كتب (في الشعر الجاهلي) و(الإسلام وأصول الحكم) هو مارجليوث، وأعطاهم مترجمين إلى كل منهما[1]!! وقاسم أمين كل ما ورد في كتابه من النصارى (مرقص فهمي) و(الدوق الفرنسي).

أو تم تسريب المفاهيم من خلال الصالونات، والصحف، والوجود في المجتمعات الغربية حال الدراسة.

ويمكننا أن نقول: إن حركة الفكر الشائعة في هذا الوقت كانت استشراقية أو متأثرة بالاستشراق، كان المستشرقون هم الموجهون للساحة الفكرية في العالم الإسلامي.

المواضيع التي تناولها عباس العقاد تناولها كل ذي قلم ممن عاصروه، ولم يكن هو أولهم كي نقول: بدأ ولحقوه، وإنما جاء بينهم، وكلٌ كَتَبَ بخلفية مدرسته التي تأثر بها وانتصر لها، وكل من كتبوا كانوا من إفرازات البعثات الغربية أو من المتأثرين بالغرب من أهل الشرق، مثل(طه حسين)، و(أبكار السقاف)، و(محمد حسين هيكل)،

(1) ذكر ذلك الأستاذ أنور الجندي في أكثر من مكان. وقد أثبتُّ ذلك في بحث المنافقين.

و(عائشة بنت الشاطئ)، وغيرهم.

والكتابات كانت تسير في مضمار واحد، وهو إعادة قراءة الشريعة الإسلامية من جديد على خلفيات غربية، أو متأثرة بفكر الغرب.. مَن كتبوا في هذه الفترة، أو مَن اشتهرت كتاباتهم في هذه الفترة، كانوا متأثرين بالواقع الذي أوجده الغرب، حين احتل البلاد.

وعباس العقاد كانت له علاقة خاصة جدًّا بالغرب؛ فهو من أشهر مَن حملوا بضاعتهم في الأدب إلينا[1]، أعني (مدرسة الديوان)، وقد (كان يرى الإنجليز الحلفاء الطبيعيين لمصر)[2]!! وكان يؤمن بالديمقراطية القادمة من الغرب إيمانًا مطلقًا، ويدّعي أنها أفضل الأنظمة على الإطلاق، وهو مخطئ؛ فلا أفضل من شرع الله، ولا ينكر محبوه أنه أحد أفراد المدرسة العقلانية الإنجليزية، حتى كتاباته (الإسلامية) كانت تطبيقًا لنظريات غربية.

كانت رأس العقاد رأسًا غربية، لا أجد صعوبة في تقرير ذلك، وأزيد الأمر بيانًا بالتالية:

ثلاثة وواحد:

من كتبوا في الإسلام في الفترة التي كتب فيها العقاد ثلاثةُ نفرٍ ونفرٌ!! أما الثلاثة نفر، وهم العملاء من وجهة نظري:

فأولهم: عميل مفضوح، كطه حسين، وعلي عبد الرازق، وقاسم أمين.

(1) سبقه نصارى الشام، ولكنه لم يكن تابعًا لهم، ولا متأثرًا بهم.

(2) الفكر الإسلامي المعاصر، غازي التوبة ص134.

وثانيهم: نفرٌ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كحسين هيكل ـ فيما كتب عن النبي ﷺ ـ وعائشة بنت الشاطئ.

وثالثهم: نفر متأثرون بمفاهيم الغرب إلا أنهم مستقلون ظاهرًا؛ كعباس العقاد.

وهذا ميزان ثلاثي كاذب خادع، ينخدع به بعض الطيبين، ويستعمله المكارون في تمرير بضاعتهم؛ إذ يُعرض هؤلاء الثلاثة على الناس كطرفين ووسط، فعميل، وغير متخصص يكتب مندفعًا، ومثقف مشهور بثقافته الواسعة وعدم اتصاله البدني بالغرب، (عملاق) ـ بزعمهم ـ فيجنح الناس إلى هذا النوع، وهو ما حدث، وانخدع بهذا بعض المنتسبين للعلم والثقافة الشرعية كالشيخ الدكتور صالح بن سعد اللحيدان، فكلما مر بعورةٍ للعقاد قال: ولكنه خير من طه حسين!! وكأن ليس في الساحة إلا عباس وطه!!

الحقيقة أن كل هؤلاء جبهة واحدة، وهناك نفرٌ آخر.. جبهة أخرى، هي جبهة أهل العلم في هذا الزمان كفضيلة الشيخ العلامة أحمد شاكر، والشيخ محمد حامد الفقي، والأستاذ سيد قطب، وأخيه الأستاذ محمد قطب ـ رحمهم الله جميعًا ـ.

الفصل الثاني
إضاءات على الترجمة

أولاً: أذكياء من أولي العزم:

ـ كل رؤوس الضلالة يُعرفون برجاحة العقل ومضاء العزم، بل والبذل للغالي وصولاً لأهدافهم، فالعقل والكرم والشجاعة متطلبات ضرورية للسيادة، والجبان البخيل لا يُسَوَّد؛ قد تأتيه السيادة إرثًا من أمه وأبيه أو صاحبته وبنيه، أما أن يضطلع بأسباب التمكين (الفكري أو الحركي) فلا. ومن يقرأ سيرة أصحاب (الفِرق) يجد جلَّهم أصحابَ صفاتٍ خُلقية حميدةٍ.. هكذا يبدون للناس ولعامة المتسبين للعلم، ولا يقف على حالهم إلا الراسخون في العلم، مثل واصل بن عطاء[1]، وعمرو بن عبيد[2]، ومعبد الجهني[3] ....

---

(1) جاء في وصف رأس المعتزلة واصل بن عطاء أنه كان صموتًا فصيحًا بلغيًا كريمًا، صاحب صدقة، سير أعلام النبلاء (5/465).

(2) عمرو بن عبيد التميمي (بالولاء)، كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجًا ثم شرطيًّا للحجاج، اشتهر بالعلم والزهد، وله رسائل وخطب وكتب، منها «التفسير» و«الرد على القدرية». كان المنصور يحبه، ورثاه بعد وفاته. انظر: سير أعلام النبلاء (6/104)، وانظر: الأعلام للزركلي (5/81).

(3) معبد بن عبد الله الجهني، البصري المدني، سمع من ابن عباس وعمران بن حصين، وكان صدوقًا ثقة في الحديث، أول من تكلم بالقدر في التابعين، تسرب إليه القول بالقدر من سوسن النصراني، يقول عنه الذهبي: وكان من علماء الوقت على بدعته. انظر: سير أعلام النبلاء (4/185)، وانظر: الأعلام للزركلي (7/264).

ومحمد بن كَرَّام (ت 255هـ)[1]، وبشر المريسي[2] (ت 218هـ) وغيرهم.

ثانيًا: الخصومات من الهوى:

تبدأ الخصومات الفكرية (العقدية) من مواقف شخصية في الغالب، أو تخرج مندفعة بأحقادٍ شخصية، ومما يذكر هنا أنه قيل لعلي ـ رضي الله عنه ـ: من أين يأتي الهوى؟! يعنون الهوى في الدين (الخصومة في الدين)، فأجاب: من الخصومات. وصدق ـ رضي الله عنه ـ؛ فأغلبها إحن في الصدور تخرج للناس في شكل (إصلاح) أو (تطوير).

وقد رأينا شوقي يتعالى على العقَّاد فيستعديه، ويأخذ العقَّاد الاتجاه المعاكس لشوقي تمامًا، ويستعين عليه بالآخر، فقد استحضر العقاد الكافرين عونًا على المؤمنين، ويشهد لذلك أن مدرسة (الديوان) كانت نقلاً أجنبيًّا، ولم تقدم سوى جزأين فقط من كتاب الديوان، وكان عزمهم (العقاد ومن معه) على أن يكتبوا عشرة أجزاء!

لم يتكلما إلا في (تحطيم الأصنام) شوقي ومَن حوله، ولم يقدما آراءً بنَّاءة في النقد، ولم يتطرقا لغير شوقي ومَن حوله، وانفك عزمهما بعد التطاول على شوقي، وهذا يبين بوضوح أنها كانت ثأرًا من شوقي أو حقدًا عليه!!

وتكرر في كتاب الله بيان أن الخلاف سببه البغي(الظلم) وليس الجهل، قال الله:

---

(1) يقول عنه الذهبي: كان زاهدًا عابدًا ربانيًا، بعيد الصيت، كثير الأصحاب. الأعلام للزركلي (14/7).

(2) جاء في ترجمته في سير أعلام النبلاء: المتكلم المناظر البارع.. كان من كبار الفقهاء، دينًا ورعًا، له تصانيف جمة).

] b c d e f g h i j k l m n Z [البقـــــرة: ٢١٣]، وقـــال:] N O P Q R S T U V W X Y Z Z [آل عمران: 19]، نعم، الجهل سبب من أسباب الخلاف، ولكنه سبب عـارض يـزول بعـد قليل، كالشك، نوع من الكفر لا يستمر إلا إن صاحبه الإعراض!

ـ البحث عن الذات أو الاعتداد بالنفس مَعْلَمٌ أسـاسي عنـد المنحـرفين فكريًّـا أو المنشقين حركيًّا، فغالب الانشقاقات الفكرية والحركية يكون دافعُ دعاتها البحـث عـن الذات، وهذا من الهوى أيضًا، يوضح هذا قـول الله تعـالى:] v w x y z } | { ~ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ Z [آل عمران: 105].

ما نعرفه أننا نختلف ثم نتفرق، ولكن الآية الكريمة قدمت الفرقـة عـلى الخـلاف لتبين أن النية مبيَّتةٌ للفرقة، وأن الاختلافات تأتي مبررًا لهذه النية ليس إلا، ولعـل مـن دوافع ثورة العقاد على الشعر وعلى كل ما قرب منه هو البحث عن الذات، والرغبة في الرقي إلى حيث لا يرتقي أحد.

ثالثًا: عموم الشريعة وخصوصية الدعاة:

لا أحد يجادل في شمولية الشريعة الإسلامية، وأن رسول الله ﷺ تركنا على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، وأن ما من خير إلا ودلنا عليه رسول الله ﷺ، وما مـن شر إلا ونهانـا عنـه رسـول الله ﷺ؛ فالـدين كامـل:] P Q R S T U W X Y Z Z [الأنعام: ٣٨]،] ? @ A B C D E F G H Z [النحل: 89]، لا أحد من المسلمين يجادل في هذا مطلقًا.

ولكن..

من بديهيات العقل أن شمولية الشريعة وكمالها وتمام حِكمة أحكامها، لا يعني أبدًا أن تنتقل هذه الشمولية وهذه الحِكمة المطلقة إلى المنتسبين إليها، بمعنى: هناك عموم الشريعة وخصوصية المنتسبين إليه، وخاصة الدعاة.

فقد كان من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ خالد بن الوليد، وكان منهم زيد بن ثابت، وكان منهم أبو ذر، كل شخصية لها ما تتميز فيه، فما سمعنا أن خالدًا تكلم في الفرائض، أو أن أبا ذر طلب الإمارة.

والمنحرفون (كليًّا أو جزئيًّا) لا يعرفون هذا، فمن المعالم الرئيسة عند المنحرفين فكريًّا أن تجدهم يتكلمون في كل ما يعرض عليهم، أو ما يتعرضون له، ولا يرجعون لأهل العلم، وكذا كان العقَّاد متخصصًا في كل شيء، إن تكلم أهل الآثار والتنقيب في الأرض أمسك قلمه وشارك، وإن احتدم خلاف بين عباد الصليب وأتباع الحبيب ـ ﷺ ـ أمسك العقاد قلمه وبحث عن مكانٍ لا يقف فيه أحد ثم وقف وراح يرمي، ويكون خصيمًا للجميع، أو مخالفًا للجميع!!

قديمًا كان الجهم بن صفوان يعمل كاتبًا للحارث بن سُرَيْجٍ ـ أحد من خرجوا على بني أمية في خراسان سنة 127هـ ـ ولا علاقة له بالعلم الشرعي لا طلبًا ولا عملاً (سلوكًا)، حتى قيل: إنه لم يحج البيت قط، وإنما كان ذكيًا لَسِنًا مجادلاً، مجبولاً على الاعتراض والمِراء، هذه كل ثروته.

اتصل ذات يوم بطائفة من الفلاسفة الهنود، يقال لهم: (السُّمَنِيَّة) وراح يجادلهم وهو صفر من العلم معتمدًا فقط على عقله، وابتدؤوا الكلام معه بالسؤال عن مصدر

المعرفة، (وهي أكبر قضية فلسفية على الإطلاق، وأصل كل بحث ونظر عندهم، وخاض بغير علم في كتابه الله، وكانت فلسفتهم تقوم على أن المصدر للمعرفة هو الحواس الخمس، ولما كان الجهم جاهلاً سلَّم لهم بأصلهم الفاسد هذا، فسألوه سؤالاً آخر مبنيًا على هذا الأصل الفاسد، وهو: صف لنا ربك يا جهم! بأي حاسة أدركته من الحواس، أرأيته أم لمسته أم سمعته... إلخ؟!

وسقط في يد هذا الضال المسكين ـ كما يقول الدكتور سفر الحوالي في الإرجاء ـ، وطلب منهم مهلة ليفكر في الأمر، ولم يستطع أن يستلهم حجة، ولم يسأل العلماء فيداووه ويلقنوه، وقادته الحيرة إلى الشك في دينه، فترك الصلاة مدة، ثم استغرق في التفكير والتأمل، حتى انقدح في ذهنه جواب خرج به عليهم قائلا: هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو من شيء. وهذا الجواب هو أساس نفي الصفات، ومن يبحث يجد أن نفي الصفات هو من قول طائفة من فلاسفة الهند[1] تسرب للإسلام عن طريق هذا الضال المسكين الجاهل المتكبر المستكفي بعقله.

ثم خطا الجهم خطوة أخرى؛ وهي أنه راح يُدلي بدلوه في القضايا التي كان الجدال محتدمًا حولها، ومنها قضية الإيمان، واعتمادًا على عقله أخذ يفكر ثم خرج بما قاله في الإيمان، وهو أن الإيمان المعرفة، والكفر هو الجهل، فمن عرف الله بقلبه فهو مؤمن، دونما حاجة إلى قولٍ باللسان ولا عمل بالجوارح، على حد قول الجهم، وهو مخطئ.

ثم خطا جهم خطوة أسوأ من هذا كله، وهي أنه تعصب لمذهبه وأخذ يبحث في الشاذ والغريب من أقوال العلماء ولوازم الأقوال ليثبت مذهبه، فتجمع على الجعد بن درهم

(1) وسنقف مع هذه في نقطة لاحقة إن شاء الله وقدّر.

في العراق، وخرج من عندهم الإرجاء والتعطيل بتأثير الآخر[1].

وقريب منه واصل بن عطاء.. تلميذٌ يتعلمُ عند إمام العصرِ (الحسن البصري)، وتطرح أم القضايا المعروضة على الساحة الدعوية يومها (مرتكب الكبيرة)، فلا يجد حرجًا من الإجابة، ثم ينشق على شيخه ويتعصب لرأيه ويلتف حول النصوص فيحملها جبرًا عنها لتشهد بقوله، والنصوص طيعة.. من كلام العرب.. يدخلها الاحتمالات بأدنى الحيل، ولذا تجدها يقينية الثبوت ظنية الدلالة، لا يَعرف فساد حالِ المستدل إلا العلماء، راح يُنظِّر لمذهبه الجديد، ويضع له الأصول، ولو أنصف لردَّ على الحسن البصري وجادله طلبًا للحق أو ذهب لغيره من العلماء يعرض ما عنده وينصت لما عندهم، كما كان يفعل أبو حنيفة مثلاً؛ ففي سبيل الضالين ثلاث خطوات رئيسة:

الأولى: التكلم عن جهل، أو أن يعتقد الرجل أن العلم كله عنده، فحين يُسأل يجيب بما عنده وهو قليل ولا يراجع أهل العلم، أو يعتمد على عقلة ويُنشئ أقيسه مَغْلوطة، ويلحق بهذا من تعرض عليه مسألة فيذهب يفتش في بعض الكتب، ويعتمد على بعض روايات الإخباريين أو الأحاديث التي لا يعرف درجتها، ويفهم كما يشاء، ولا يضبط فهمه على أحد، ثم يأتينا يتكلم في كبرى قضايانا، يعتمد على شهرته، وسيتضح هذا جدًّا من خلال مناقشة العقاد.

والثانية: وهي التعصب لهذا الرأي المنبثق أساسًا من الجهل أو من الرغبة في الثأر للنفس، ويذهب صاحبه للنصوص الشرعية ليحملها على القول بهذا الباطل.

وما أجمل ما قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ وهو يفرّق بين صاحب الحق وصاحب

---

(1) انظر: الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الهوى، يقول: إن صاحب الحق يذهب إلى النصوص الشرعية ينظر ماذا تقول ثم يمتثل، أما صاحب الهوى فيذهب إلى النصوص الشرعية ليأتي بها على هواه.

أو بكلمات أخر: إن أصحاب البدع يعتقدون ثم يستدلون، كما يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في آخر شرح نظم الورقات للعمريطي.

وسيأتي هذا في فِكرِ العقاد، سنجد ـ إن شاء الله تعالى ـ أن الثابت عند العقاد هو (الفردية) و(العقلانية).. هو إثبات الذات في وجه من يتعالون عليه أو من سادوا في الناس بعلمهم أو سلطانهم، وقراءة الشريعة جاءت تابعة لذلك، قرأ الشريعة ليدلل على ذلك، أو ليصل إلى ذلك، أو وهو متأثر بتلك المفاهيم الغربية الغريبة عن الشريعة.

والثالثة: الظالمون من أصحاب السلطان يكون لهم دور في تسويق هذه الأفكار وفرضها على الناس، وتلميع هذه الشخصيات وخلع الألقاب عليهم، وقد انتشر فكر جهم ومن تبعه فيما بعد، في عهد المريسي، وفي عهد ابن أبي دؤاد ـ خلق القرآن ـ حين أصبح الوزير منهم أو يميل لهم.

كل الانحرافات في القديم والحديث مصدرها الآخَر، أو يلعب الآخَر فيها دورًا لا يمكن تجاهله، وهذا واضح جدًّا في شخص عباس العقاد ومن عاصروه، فمدرسة (الديوان في النقد الأدبي) والتي ظهرت على يد العقاد والمازني وشكري كانت نقلاً عن الغرب، والعقاد نفسه كان يتبنى المدرسة الإنجليزية العقلانية، وبعد أن دب الخلاف بين الفتيين الصغيرين (المازني وشكري) حين رمى أحدهما ـ شكري ـ الآخرَ ـ المازني ـ بالسرقة من الإنجليز، أنشئت مدرسة جديدة تُكمل المسيرة وتحمل أسماء أحد (آلهة)

اليونان وهو (أبوللو)[1]، وكل هؤلاء المشاغبين تعلموا في الغرب وتبنوا أفكاره، ونصَرَهُم الغرب صراحةً أو ضمنًا.

لا أقول: إن هناك تنظيمًا يضم الآخر ـ وخاصة يهود ـ والمحبين له الناقلين عنه ـ المنافقين ـ أو المتأثرين بهم ـ السَّماعين ـ، ولا أقول: إنهم يلتقون ويرتبون كفريق عمل واحد، كلا، لا يحدث هذا على الدوام، ولكن تتفق أهواؤهم، ويمسك بالزمام (الآخر) بما أذن الله لهم من أسباب قوة وكانوا محتلين للبلاد.

المنافقون ينصرفون عن الدين لشبهة أو لشهوة ـ والشهوة تنتهي في الغالب بشبهة، فالمعصية قد تتحول إلى بدعة ثم كفر ـ و(الآخر) يستغل هذا الأمر، فهم يشيعون الفاحشة فيجتمع المنافقون، ويشيعون الشبهات ويردد المنافقون، ويقيمون منابر للضلال ويعتلي المنافقون، وهم يقفون في وجه الطيبين كي يسير المنافقون آمنين مطمئنين لا يخافون.

وإن رحت تستقصي الأفكار الهدامة التي دخلت الإسلام وجدتَ أصلها من الكافرين.. مثلاً بدعة القدرية أَوَّلُ من تكلم بها سَوْسن في العراق، وهو نصراني عراقي، أسلم ثم ارتد ثانية إلى الكفر، هذا الكافر المرتد تكلم بالقدر وأخذ عنه معبد الجهني[2]، ثم جاء بعده غيلان القدري وكان بليغًا فتكلم وأكثر، وناظر الضعفاء، وعاند العلماء.

والشيعة بدأها ابن سبأ اليهودي، بعد أن دخل في الإسلام وتقمص دور (المؤمنين)

---

(1) «أبوللو» كلمة يونانية تعني إله الجمال والحب.

(2) ذكر ذلك الحافظ الذهبي في ترجمة معبد الجهني في سير أعلام النبلاء (4/187).

وتعامل مع مرضى النفوس ـ المنافقين ـ والغافلين المتحمسين، فكان ما كان.

وبدعة الجبر ـ أن الإنسان مجبور ـ والإرجاء في الإيمان[1]، والتعطيل في الأسماء والصفات ظهرت على يد الجهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم، كانت أسانيدهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة[2]. حتى الفلسفة والعلوم الأخرى التي دخلت للإسلام وأثرت في المذاهب الفكرية المنحرفة، كان للآخر علاقة بها، متعاونًا مع الذين في قلوبهم مرض، وهذا يُظهر أثر مخالطة المبتدعة والضالين.

فهناك نفوس تشرب البدعة وتأبى إلا ذلك، وهذه نفوسُ المنافقين، ويتصل بها (الآخر) بقصد ـ وهو الغالب ـ أو بدون قصد، ويقوم بتفعيلها لتحدث الفتنة في صفوف المؤمنين.

ولهذا السبب تأثر الفكر الإسلامي بالأفكار الأخرى مع أننا كنَّا الغالبين، والغالبُ في الغالبِ لا يتأثر بالمغلوب، وإنما أوتينا من قبل المنافقين ـ مرضى القلوب ـ اتصل (الآخر) بمرضى القلوب أو اتصلت بهم القلوب المريضة فشربت من حياضهم ثم عادت إلينا، تروي المهزومين والمتطفلين بما ارتوت به. وهذا ما حدث مع العقَّاد، فقد أحب ما عند القوم فنقله، أو حقد على إخوانه فأراد هزيمتهم بأي شيء ولو كان ببضاعة غيره.

---

(1) ذكر الدكتور سفر الحوالي في كتاب (الإرجاء) أن إرجاء الفقهاء ظهر قبل الجعد بن درهم والجهم بن صفوان. وإنما عنيت هنا البدعة التي يفسق صاحبها أو يكفر في الإيمان وفي الأسماء والصفات والتي تسللت للدين عن طريق الجهم والجعد.

(2) الفتاوى (6/5).

وأزيد الأمر بيانًا تحت هذا العنوان:

رابعًا: المشترك بين عملاء الفكر:

بين كل العملاء ـ المفضوح منهم عند الجميع، والمستتر إلا على القليل ـ قاسم مشترك، به تعرفهم. وبه يقال: إنه عميل أو غير عميل، هذا القاسم عبارة عن شيئين:

الأول: عدم وجود عداوة، أو بالأحرى عدم وجود مواجهة مع الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين.

الثاني: الانتصار للفكر الغربي العلماني، كالديمقراطية، وغيرها من المذاهب الفكرية، ومحاولة شرعنتها.

وهذا حال النفر الثلاث (العميل المفضوح) و(مَن لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) و(المستقلين ظاهرًا).

وقد كان هذا حال عباس العقاد، فلم يكن الرجل ممن يهاجمون النصرانية، ولا ممن يقفون موقفًا معاديًا من الآخر، وكان يفتخر بأن كتاباته محل رضا عند غير المسلمين[1]، وقد أطال رجاء النقاش في إثبات ذلك مفتخرًا به، دالاً عليه[2]، وقد ذكرتُ في مقدمة هذا البحث أن (صالون العقاد) كان يأوي إليه اليهودي والنصراني والبهائي.

نعم لم يكن العقاد يقف موقفًا معاديًا من النصارى أو النصرانية، أو غيرهما، هذا فعله، وهذا قول محبيه، وسيأتيك تفصيلٌ عن موقف العقاد من النصرانية، ترى فيه

(1) عبقرية عثمان، المكتبة العصرية ص17، وكرر الكلام في مقدمة للطبعة الثانية من عبقرية المسيح.

(2) انظر: أدباء ومواقف لرجاء النقاش ص14 وما بعدها.

العقاد يتكلم عن (محاكمة المسيح عليه السلام)[1]، وترى فيه العقاد لا يعرف كيف كانت نهاية المسيح عليه السلام[2]، والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يقبض عليه ولم يحاكم، وإنما الذي قبض عليه وحوكم هو الشبيه:] @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e Z [النساء: ١٥٧].

هذا هو العقاد حين يتكلم عن النصرانية[3]، يبحث في كتبهم بحث المصدق لها، لا بحث الناقد المعترض.

بل كانت هذه قاعدة عامة عند عباس العقاد، يأخذ كل قوم بما يتكلمون، إن تكلم عن غاندي الهندي عابد البقرة، فهو (نبي مرسل)[4] لشعب الهند وغير الهند حتى آمن به قوم من أوروبا، وإن تكلم عن (صن) أبي الصين فهو نبيهم!!

والعقاد كاذب؛ فما كان هؤلاء أنبياء، ولا مؤمنين أتقياء، بل أدعياء من حصب جهنم.

وإن تكلم عن (داروين) ونظريته، فبشيء كبير من الاحترام يتكلم، ويحاول أن يوفق بينها وبين الإسلام في كتابه (الإنسان في القرآن الكريم).

وإن تكلم عن (المذاهب الاجتماعية والفكرية) ادعى شمولية الإسلام لجميع

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/735). ط. دار الكتب لبنان.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/737). ط. دار الكتب لبنان.

(3) وقد شرحت ذلك وفصلت فيه تحت عنوان (موقف عباس العقاد من النصرانية).

(4) بينت هذا وشرحته عدة مرات.

المذاهب الاجتماعية والفكرية، وادعى أن أحكام الدين الإسلامي لا تمنع المسلم أن يكون ديمقراطيًّا أو غير ذلك.

والعقاد مخطئ؛ فما كان له أن يقفز على النص الشرعي، وما كان له أن يتكلم بغير ما تكلم به القرآن في حق هؤلاء البشر، وفي حق هذه المذاهب الهدامة.

أقول: لم يكن العقاد يؤمن بما أنزل الله على محمد ﷺ، وهذا واضح جدًّا من كلامه؟!!

الحقيقة أن العقاد لم يكن يعنيه الأمر، العقاد كان معنيًّا بالعبقرية (أو العباقرة)[1]، وإثبات سعة الاطلاع، والتحدث في كل القضايا المثارة، وتوسيع قاعدة القراء، ودخول التاريخ، أو الوقوف في صفوف العباقرة.

وما يعنيني أن العقاد جملةً لم يكن في وجه هؤلاء يصدهم عن حمى الدين وسيد المرسلين ﷺ، وإنما كان العقاد قلمًا استُعمل في إعادة كتابة الشريعة الإسلامية من جديد، وفي إضفاء (الشرعية) على (الآخر) من الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين.

(1) انظر: عبقريات عباس العقاد ليست انتصارًا للإسلام.

خامسًا: أشياء دون أشياء!

الغربيون ترجموا أشياء لعباس العقاد وتركوا أشياء؛ ترجموا ما يخدم هدفهم العام، وهو صد الناس في الغرب عن دين الله[1]، ترجموا ما يعطي صورة غير حقيقة عن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وتركوا لنا الباقي، فصدوا قومهم وشغلونا بقومنا، فلا يصل من الفكر الإسلامي إلى الغرب إلا ما يريده القوم، وكأن (الفكر الإسلامي) والأدب الحديث لنا نحن فقط، ولهم منه ما يريدون فقط.

كتب العقاد مرةً عن يهود، ولم يُنشر كتابه، فجلس بين مريديه يشكو من تلك اليد المخطئة التي تسمح لأشياء ولا تسمح لأشياء، يقول فيما يرويه رجاء النقاش: (ليس بسرّ مجهول عن كثير من إخواننا أن لي كتبًا فرغ المترجمون من نقلها إلى اللغات الأجنبية، وإن فصولاً منها نشرت في الصحف، ثم وقفت الأيدي الخفية دون طبعها ونشرها، فلم تزل مخطوطة غير مطبوعة إلى الآن، حيل بينها وبين الظهور بدسيسة ممن يعملون عمل الصهيونية وإن لم يكونوا من بني إسرائيل)[2]. ويقول النقَّاش معلقًا: (ولا شك أن الحرب التي تشنها الصهيونية ضدنا ليست حربًا سياسية فقط، وإنما هي فكرية أيضًا).

قد كان عباس العقاد في الجملة في مضمار الغرب، كان في الجملة في مضمار المستشرقين، وكان في الجملة ضمن حملة إعادة قراءة الشريعة الإسلامية من جديد.

وأما ردود عباس العقاد في بعض كتاباته فقد كانت ردودًا باردة، لم تنصر حقًّا ولم

---

(1) انظر للكاتب: جدال وقتال، بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام.

(2) رجاء النقاش، أدباء ومواقف ص16.

تدفع باطلاً.

عباس العقاد ـ حالَ دفاعه عن الإسلام ـ لم يخرج من منطلقٍ مقبول، ولم يظهر في سياق مقبول حالاً وإن قُبِل مقالاً أحيانًا، فكان سعيه في سلة المفسدين لا المصلحين!!

وهي حالة تتكرر، وهي حالة خطرها أشد من خطر المجاهرين بالعداء للدين، وقد اتضح ذلك من عرضي لأهم القضايا الإسلامية التي تناولها عباس العقاد مثل (التوحيد) و(الأنبياء) و(الصحابة رضوان الله عليه) و(التفكير) وغير ذلك.

سادسًا: **حصر وهمي:**

هناك حصر وهمي يقع فيه من يقرأ عن العقَّاد أو المازني أو طه حسين أو غيرهم ممن أُبرزوا في الجيل الماضي، فهناك إصرار من العلمانيين على إخراج دعاة الحق من التاريخ، فمثلاً ـ فيما يخصنا في الحديث عن العقَّاد ـ نجد أنيس منصور يكتب عن العقاد سبعمائة صفحة، ولا يأتي على سيد قطب، مع أن سيد قطب صاحبَ عباس العقاد حينًا من الدهر، وتجده يعرض نقاشات فكرية طويلة دارت بين العقاد وجلسائه ولا يتعرض لما دار بين العقاد والرافعي ـ رحمه الله ـ بل ولا يتعرض للرافعي إلا غمزًا ولمزًا[1]!! وكذا رجاء النقاش حين اضطر لأن يذكر شيئًا عن سيد قطب في كتابه (أدباء ومواقف) لمّح ولم يذكر اسم سيد قطب[2]!!

---

(1) وأعجب ما اطلعت عليه في هذا الباب هو ما فعله القس النصراني لويس شيخو في كتابه (شعراء النصرانية) وهو كتاب منتشر، جعل كل شعراء الجاهلية نصارى!!

(2) أدباء ومواقف ص17.

قلتُ: وهذا ديدن القوم في كتابتهم للتاريخ أجمعه، فنحن نقرأ تاريخ الفراعنة ولا نجد فيه ذكرًا لأنبياء الله، ومحالٌ أن يكون الله قد ترك الفراعنة بلا نذير، والله يقول:] N O P Q R S T Z [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون وهو يخاطب قومه:] ! " # $ % & Z [غافر:34]، يقصون تاريخ الفراعنة ولا يأتون على أكبر حدث فيه وهو موسى ـ عليه السلام ـ وبه قضى الله على حكم الفراعنة لمصر وورثَ الأرضَ قومٌ آخرون:] [' _ ` a Z [الدخان: ٢٨]، ويقصون تاريخ الأمم دون ذكرٍ للرسل، لا من اشتهر منهم ولا من لم يشتهر، حتى إن بعضهم يفتش في التاريخ الذي بين يديه ويقول: أين التوحيد؟! متى عرفت البشرية التوحيد؟!!

ـ حالَ التعرض للحركة الفكرية في مصر ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، لا يمكن أبدًا تفسير التحولات الفكرية.. أو المنازلات الفكرية على الساحة المصرية دون استحضار (الآخر)، بل إننا نجد أن الآخر هو المؤثر الأول في كل التحولات الفكرية في الساحة المصرية، وكان الصراع معه على الحقيقة، كانت جولة مع الكفر على أرضنا، وقد عقدتُ فصلاً مطولاً لبيان ذلك في بحث المنافقين تحت عنوان (أثر الاستشراق في توجيه المنافقين)، فلابد من إعطاء الرصد الفكري لهذه الحقبة من الزمن مساحة أوسع من الأشخاص، أو من الأحداث الجزئية التي كانت تحدث على أرض الواقع.

والناظر لما حدث في مصر من صراعات فكرية دارت بين الأشخاص يرى بوضوح أن هذا الأمر كان مقصودًا لتفكيك البنية الفكرية الإسلامية في مصر، وإيجاد

خيارات كلها سيئة أمام المفكرين، ولتستبين قولي دعني أسأل: بين مَن كان الصراع، وأعني الصراعَ الذي نقل لنا؟!

بين مَنْ كلهم يتبنون نظريات الغرب وأفكاره كليًّا أو جزئيًّا، أو هكذا نقلوه لنا، أو صراع بخلفيات أدبية بين (المحافظين) ـ وهم كانوا مجددين حقيقة ونهضوا بالشعر بعد قرونٍ من الانحطاط ـ وبين (المجددين) وهم كانوا متأثرين بالغرب، أو صراعات بخلفيات سياسية، بين محتل ووطنيين، وغاب الجهاد، وغاب مفهوم الأمة الواحدة تحت خلافة إسلامية واحدة، فتبني الحركات الوطنية كان مرحلة لإقصاء مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة التي لا تعترف بالوطن ولا باللغة إلا تابعًا للمفهوم الإسلام مندرجًا فيه.

الفصل الثالث

التوحيد والأنبياء عند عباس العقاد

المبحث الأول : التوحيد عند عباس العقاد:

لعباس العقاد كتابٌ بعنوان (الله) ـ جل جلال ربنا وتقدس ـ وهو من أشهر ما كتب عباس العقاد، وفي هذا الكتاب يبحث العقّاد عن (نشأة العقيدة الإلهية، منذ اتخذ الإنسان ربًّا إلى أن عرف الله الأحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد)[1]!!

والإنسان الأول عند العقاد كان همجيًّا[2] بدائيًّا في كل شيء، يقول: (ترقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات... وينبغي أن تكون محاولات الإنسان في سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته في سبيل العلوم والصناعات)[3]!!

---

(1) ص6. ط. نهضة مصر. وفي ص81 يقرر أن الإنسان اهتدى للتوحيد فقط قبل الميلاد بعشرة قرون أو يزيد قليلاً!! ويؤكد هذا المعنى في الصفحات التي تليه.

(2) أكثر في هذه الرسالة من استخدام مصطلح (الهمجي الأول)، وأكد هذا المعنى في بداية كتابه (إبراهيم أبو الأنبياء)، وكذا في بداية كتاب (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)، وفي كتاب (إبليس) في المقدمة والفصل الأول، وألمح إليه وهو يتكلم عن تطور المجتمعات في بداية كتابه عن غاندي! فليست كلمة عابرة إذًا.

(3) ص 6. وأكد هذا المعنى بكلمات متقاربة في خاتمة بحثه (إبراهيم أبو الأنبياء)، وأشار إلى شيء منه في مقدمة كتاب (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)، وفي ص109، 110 من ذات=
=الكتاب. وفي كتاب (عائشة الصديقة بنت الصديق) ص110 وفي مقدمة كتاب (إبليس).

بدأ كتابه بهذه الكلمات وختم الكتاب بها؛ فالكتاب كله لتقرير أن الإنسان الأول كان همجيًّا، وكان على الشرك ثم تعرَّف تدريجيًّا على التوحيد كما تعرّف على الصناعات!!

وأعاد ذات الكلام تقريبًا بذات التفاصيل وزاد فيها في كتابه (إبليس)[1] من المقدمة وعلى طول الكتاب، يقول: (قبل أن ننتقل إلى عقائد أهل الكتاب في قوة الشر العالمية نتريث هنا لحظة لتلخيص المرحلة الطويلة التي عبرها الإنسان في هذا الطريق، من خطواته الأولى حيث لا تميز بين خير وشر ولا بين إله وشيطان، إلى غايته القصوى في حضارات الأمم القديمة حيث ظهرت ديانة التوراة، وهي أول الأديان الكتابية في التاريخ)[2]. ثم يتابع متحدثًا عن (الهمجي الأول) وأنه كان يؤمن بالأرواح والأشباح... إلخ، حتى تعرف في الأخير على الله!!

والذي نعرفه أن الإنسان الأول هو آدم ـ عليه السلام ـ خلقه الله بيده:] قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا ´ µ ﺍ ﹺ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ Z [ص: ٧٥]، وقال تعالى:] ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ´ µ ¶ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ Z [السجدة: ٩].

وعلم الله آدمَ الأسماء كلها:] @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W Y

---

(1) وهذا الكتاب بزعم العقاد بحث في تاريخ الخير والشر وتميُّز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم.
(2) إبليس ص83.

j i h g f e d c l a ` _ ^] \ [Z
k l m n o p q r s t u Z [البقرة: ٣١ – ٣٣].

واصطفاه الله مـن خلقـه؛ قـال تعـالى:] \ [^ _ ` a b c
d e f g Z [آل عمران: ٣٣].

فكان نبيًّا ولم يكن همجيًّا مشركًا كما يفتري عباس العقاد؛ وفي الحديث عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، فَأَيُّ الأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**آدَمُ عَلَيْهِ السَّلام**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، أَوَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟! قَالَ: «**نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ، خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ رُوحَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ قُبْلاً**»(1).

هذا هو الإنسان الأول: خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحـه، وعلمـه حتـى فـاق الملائكة فيما يخصه ـ عليه السلام ـ ثم اصطفاه على العالمين، فكان نبيًّـا مكلـمًا، والعقـاد يقول: همجيٌ.. مشركٌ..!!

وفي مكانٍ آخر يؤيد عباس العقاد مـا يـذهب إليـه دارون في نظريـة التطـور بـأن الإنسان جاء من سلالة أخرى، وتعرض للتطور، ويدعي أن ذلك في القرآن الكـريم.. يدعي العقاد أن القرآن الكريم لا يعارض نظرية التطور(2)!!

كأن العقاد لم يقرأ كتاب الله، أو كأن العقاد لا يصدق ما يُتلى في كتاب الله!!

---

(1) مسند أحمد برقم 21357. وانظر: تفسير ابن كثير (540/8)، وانظـر: السلـسلة الـصحيحة (167/6) حديث رقم (2668).

(2) انظر: التفكير فريضة إسلامية ص964.

وبعد هذه المقدمة التي يقرر فيها عباس العقاد أن الإنسان الأول كان همجيًّا مشركًا يبحث عن التوحيد كيف اهتدت إليه البشرية؟! أو كيف تعرفت البشرية على التوحيد؟! يناقش عباس العقاد بواعث الدين.. هل هي (الأسطورة) أو (ملكة الاستحياء) أو (السحر)، أو هل نشأت العقيدة من (إحساس الإنسان بالضعف) أم أنها (ظاهرة اجتماعية).. أو (حالة مرضية) أو (خليط من الجماعية والفردية)، كما يزعم أهل الفلسفة؟!!

ثم يرفض أن ينفرد أيٌّ من هذه التعليلات، ويعطي تفسيرًا آخر، يقول بأن منشأ العقيدة عند البشر يتعلق بما أسماه (الوعي الكوني)[1]، ويعرفه بأنه الحواس النفسية عند الإنسان، يقول: إن (الوعي الكوني) ملكة قابلة للترقي، ويسند إليها منشأ العقيدة، ويقول: إن ذلك (حقيقة يستلزمها العقل ويؤكدها المشاهد في كل زمن وفي كل موطن وفي كل قبيل)!!

و(الوعي الكوني) غير (العقل) عند عباس العقَّاد، يُفرِّق بينهما بأن أحدهما ـ الوعي ـ أشمل من الآخر ـ العقل ـ، وأن (الوعي الكوني المركب في طبيعة الإنسان هو مصدر الإيمان بوجود الحقيقة الكبرى التي تحيط بكل موجود)، ويعني بالحقيقة الكبرى التي تحيط بكل موجود يعني بها الله جل جلاله، ويقول: (ونحن إذا رجعنا إلى تاريخ الإيمان في بني الإنسان وجدنا أن اعتماده على (الوعي) الكوني أعظم جدًّا من اعتماده على القضايا المنطقية والبراهين العقلية، وأنه أقوى جدًّا من كل يقين يتأتى من

---

(1) بعد أن استعرض أقوال الفلاسفة في نشأة العقيدة عقد العقاد فصلاً أسماه (الوعي الكوني)، عرض فيه ما لخصتُه في النص أعلاه، وعاد ثانية للحديث عنه في نهاية كتابه، تحديدًا في فصل (وجود الله).

جانب التحليل والتقسيم). ويقول: (البراهين جميعًا لا تغني عن الوعي الكوني في مقاربة الإيمان بالله والشعور بالعقيدة الدينية). ويقول: (وجعل الهدى من الله ولكنه من طريق العقل والإلهام بالصواب).

هذا هو مصدر الإيمان عند العقاد.. (الوعي الكوني).

و(الوعي الكوني) الذي يتكلم عنه العقاد هو (العبقرية) في استعمال العقاد، فحالَ حديثه عن الصوفية في كتاب (الله) أعطى وصف العبقرية الدينية للمتصوفة، فالصوفية عنده هي العبقرية الدينية، وما ذاك إلا لأن هؤلاء المتصوفة نما عندهم (الوعي الكوني)، فانكشف لهم ما وراء الحجب، فعلموا الحقيقة المطلقة. ويضرب الأمثال بالحلاج وابن عربي والعدوية[1]!!

فالعقاد يرى الأنبياءَ بشرًا قد اكتملت فيهم هذه الملكة (الوعي الكوني) أو (العبقرية)، وبهذا عرفوا عن الله وبلغوا الخلق!!

والعقَّادُ يرى الدين الإسلامي أفضل الأديان لأنه جاء متأخرًا بعد أن نما (الوعي الكوني) عند الإنسان وبعد أن نمت المجتمعات!!

فالبشرية عند العقاد كانت على الشرك ثم عرفت التوحيد، ولا تحسب أنه التوحيد الذي نعرفه، بل توحيد آخر لن تجده إلا عند العقاد، ودعني أعرضه عليك ثم نناقش (الوعي الكوني) أو(العبقريات)[2] التي قدمها لنا عباس العقاد وفرح الناس بها.

---

(1) وتعظيم الحلاج وابن عربي وتصويب مسلك العدوية ينطوي على مخالفات شرعية كثيرة ناقشها عدد كبير من العلماء منهم ابن تيمية وابن القيم.

(2) عرف العبقرية واشتقاقها في كتابه (إبليس) ص155، 156. وينتهي إلى أنها (وصف للنفاسة بغير نظير).

يُعرِّف التوحيد:

يُعرف عباس العقاد التوحيدَ فيقول: (التوحيد توحيدان: توحيد الإيمان بإله واحد خلق الأحياء وخلق معهم أربابًا آخرين، وتوحيد الإيمان بإله واحد لا إله غيره. ولم تعرف أمة قديمة ترقت إلى الإيمان بالوحدانية على هذا المعنى غير الأمة المصرية، فعبادة [آتون] قبل ثلاثة وثلاثين قرنًا غاية التنزيه في عقيدة التوحيد)[1]!!

وفي بداية كتابه (الله جل جلاله) يقول مثل هذا، فهو يتكلم صريحًا بأن من أطوار العقيدة الإلهية طور الوحدانية، ويعرفه بأنه إله أكبر لكل (الآلهة)!!

لاحظ: يرى العقاد أن من التوحيد أن يكون الإله ومعه بعض الأرباب!!

ويرى أن الذين كانوا يعبدون آتون (إله) الشمس هم أرقى أمة في التوحيد!!

وعنده أن أهل فارس عرفوا التوحيد بعد اختلاطهم بالمسلمين، ويذكر أن هذا التوحيد هو الاجتماع على إله واحد هو إله الخير (يزدان) ولا يشركون معه (أهرمن) كما فعل أسلافهم الأقدمون!!

هذا هو التوحيد الذي تعلموه من المسلمين كما يقول عباس العقاد[2]. وهو كاذب!!

ومثل هذا يقوله عن الفراعنة، وعلى مشركي يهود فيما بعد السبي.

---

(1) الخليل إبراهيم ص175، 176. وكرر ذات الكلام في (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) ص56.

(2) ص 80 في مطلع كلامه عن الفلسفة.

وفـي مكان آخر يتكلم عباس العقاد عن طورين، أو كمـا يقـول هـو: عـدْوَتَين، عدْوَة كان فيها الإنسان همجيًّا مشركًا لا يعرف التوحيد، وعدوة عرف فيها التوحيـد، ويقول بأن عقيدة بني إسرائيل كانت مرحلـة فاصـلة بـين هـذين الطـورين أو هـاتين العدوتين[1]!!

أي أن كل الأمم قبل بني إسرائيل ما عرفت التوحيد، بل وبنو إسرائيـل أنفـسهم عند العقاد كانوا وثنيين، بقيت فيهم الوثنية من إبـراهيم ـ عليـه الـسلام ـ إلى مـا بعـد موسى ـ عليه السلام ـ ولم يأتهم التوحيد إلى قبيل ظهور المسيح بقرون بسيطة!!

ويستدل على ذلك بعبادة عجل الذهب في سيناء على بقاء الوثنيـة واسـتمرارها في بني إسرائيل من قبل إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى ما بعد موسى ـ عليه السلام[2]!!

بل ويقول ما هو أشد من هذا نكرانًا عند العقلاء، يقول عن بني إسرائيل: (فعُبَّادِ [يهواه] لم يكونوا ينكرون وجوده ولا ينكرون وجودَ غيره، وإنما كان هو إلههم المفضل

(1) انظر بداية ونهاية كلامه عن بني إسرائيل في كتاب (الله)، وانظـر: (حقـائق الإسـلام وأباطيـل خصومه) ص111، ولا أدري كيف وصل لهذه النتيجة وهو يقول بأن عقيدة بني إسرائيل هي الأخرى تطورت (وتهذبت مع الزمن)، وأنها ظلت تعبد الأصنام كما كانت في عهد إبراهيم عليه السلام، وأن ما عندهم عند البابليين والفرس وغيرهم!! وتأتي مناقشته إن شاء الله في البحث.

(2) ذكر في جملة واحدة أن موسى عليه السلام علّم بني إسرائيل التوحيد، ولم يعلـق عليهـا، وهـي طبيعته؛ الأشياء الـمُسلّم بها يذكرها دون تعليق، ربما يقدم عذرًا لمن يريـدون أن يعتـذروا عنـه بهذا الاعتراض الذي لا يعني شيئًا في سياق كلامه، وقد فعل هذا مع حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي جاء فيه صفة الوحي، ذكره في عبقرية محمد غير مستدلٍ به، ولم يرد عليه مع أنه ينقض كلَّ ما يذهب إليه!!

على غيره من الآلهة، كما كانوا هم الشعب المفضل على الشعوب، فالأرباب الأخرى عندهم موجودة كما يوجد إلههم [يهواه]..[1]، ولكنها لا تستحق منهم العبادة؛ لأنها أرباب الغرباء والأعداء، وكل عبادة لها فهي من قبيل الخيانة العظمى وليست من قبيل الكفر كما فهمه الناس بعد ذلك، وغاية ما في الأمر أن طاعة الآلهة الغريبة هي كخدمة الملك الغريب.. نوع من العصيان والخيانة... لهذا لم يشغل أنبياء التوراة السابقون بإثبات وجود [يهواه] أو بإثبات وجود الأرباب على الإجمال، وإنما كان شغلهم الأكبر أن يتجنبوا غيرة [يهواه] وغضبه، وأن يدفعوا عن الشعب نقمته وعقابه، ولم يكن له عقاب أشد وأقسى من عقابه لأبناء إسرائيل كلما انحرفوا إلى عبادة إله آخر، من آلهة مصر أو بابل أو كنعان)[2].

وفي كتاب(إبليس) أكد هذا المعنى فقال: (إن الديانة العبرية تحملت أعباء التوسط بين الديانات الوثنية وديانات التوحيد الكتابية)[3].

فهذا ترتيبها عنده.. شرك وخرافة.. وثنية وتيه، ثم خليط من الوثنية والتوحيد، وهم بنو إسرائيل إلى قرب المسيح عليه السلام، ثم توحيد بمفهوم العقاد للتوحيد.

وهذا عجيب.. وكأن العقاد لا يقرأ كتاب الله!! أو كأن العقاد لا يصدق ما جاء في كتاب الله!!

---

(1) النقاط منه وليست مني.

(2) انظر: فصل بني إسرائيل في كتاب (الله)، وانظر: ص 58، 77 من كتاب (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) ضمن المجلد الخامس من موسوعة العقاد الإسلامية ط. دار الكتاب ـ بيروت، وانظر كتاب (إبليس) ص89 و127.

(3) ص93.

إسرائيل هو يعقوب ـ عليه السلام ـ وبنو إسرائيل هم أبناؤه[1]، وكان نبيًّا موحدًا، وأبناؤه كانوا مؤمنين موحدين، وقيل بنبوتهم، وكان منهم يوسف ـ عليه السلام ـ نبي من أنبياء الله، وأكبر أنبياء بني إسرائيل وأكثرهم أثرًا فيهم وفي التاريخ قبل رسول الله ﷺ هو موسى بن عمران، وعندنا أنه كان نبيًّا مرسلاً يأتي يوم القيامة ومعه السواد العظيم من المؤمنين الموحدين يدخلون جنةَ ربِّ العالمين، في الحديث: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ**»[2]، وبعد موسى ـ عليه السلام ـ «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الأَنْبِيَاءُ؛ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ**»[3].

لا يرى العقاد أيًّا من هذا، ويمضي ليقول: إنهم كانوا مشركين لم يعرفوا التوحيد إلا بعد ذلك بقرونٍ عديدة!!

والتبس الأمر على العقاد، فبنو إسرائيل طرأ عليهم الشرك كما غيرهم من الأمم، ولم يخلُ زمان من نذير يذكر الناس بأيام الله، ولم تخل أمة من رسول يتلو عليها آيات ربه، قال تعالى:] Z U T S R Q P O N L K J I H [فاطر: ٢٤]، و(يهواه) الذي يتكلم عنه العقادُ ظهر في المشركين من بني إسرائيل، ولم يكن هو معبود بني إسرائيل كلهم من أبيهم إبراهيم إلى عيسى ـ عليه السلام ـ والذين جاءوا

---

(1) يهود اليوم لا يصح نسب غالبيتهم ليعقوب ـ عليه السلام ـ فكل جماعة منهم يشكك بعضها في نسب بعض، فمن قديم تكلموا في أنساب يهود العرب، واليوم يتكلم في نسبهم العارفون بتاريخهم؛ يقولون: إنهم من قبائل أوروبا الشرقية دخلوا اليهودية مع ملكهم.

(2) متفق عليه؛ البخاري برقم 3158، ومسلم برقم 323.

(3) البخاري برقم 3196، ومسلم برقم 3429، واعترف العقاد بذلك في تعليقه ـ في ذات الكتاب ـ على تأثر اليهودية بالفلسفة.

من بعده، وإنما عبده المشركون منهم فقط أولئك الذين حرفوا الكتاب، وعُرِفَ عند يهود وعند غير يهود من الوثنين ممن عاصروهم أو سبقوهم أو لحقوهم[1].

فعَبَدَةُ (يهواه) هم المشركون من بني إسرائيل، وهم الذين كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا: هذا من عند الله، وما هو من عند الله، بل قالوا على الله الكذب وهم يعلمون. وظن العقاد أن كل بني إسرائيل بما فيهم الأنبياء عبدوا (يهواه)!!

والعقاد متردد كما هي عادته في كل ما يقدم، ففي بداية كتاب (إبراهيم أبو الأنبياء)[2] يقرر في المقدمة أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ علَّم الناس التوحيد: (إن دعوة الخليل قد اقترنت بالتوحيد)، ويصرّح بأنه أول نبي[3] ـ وهو خطأ كما قدمتُ ـ وبعدها بقليل يقرر عكس ذلك كله، فيقول بأن البشرية عرفت التوحيد قبل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكنها لم تعرف الأنبياء، وإنما عرفت التوحيد قبل إبراهيم ـ عليه السلام ـ من الكهان في المعابد والهياكل، ويسمي ما قبل إبراهيم ـ عليه السلام ـ بعصور الكهانات والهياكل!!

وكل ذلك خطأ، وكل ذلك عكس ما قدَّمه في كتابه (الله)!!

وأيضًا متردد في أمر (يهواه) العقَّاد؛ ففي كتاب (إبراهيم أبو الأنبياء) يذكر العقاد

(1) تكلمت عنه ثريا منقوش في كتابها (التوحيد في تطوره التاريخي)، وتكلم عنه جواد علي في المفصل، وهذا الأمر طبعي في الوثنيات كلها، حتى أصنام العرب كلها بلا استثناء عرفت عند الشعوب الأخرى التي سبقتهم، وهو الشيطان يوحي لأوليائه في كل مكان بذات الشرك.

(2) أعتمد على نسخة المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

(3) ص6، وأكد هذا في ص150، وفي نهاية بحثه ص197.

أن (يهواه) إله يهود المزعوم (كان معروفًا عند قبائل سوريا الشمالية، بل إن أسماء الآلهة كانت واحدة عند الشام وفلسطين واليمن والعراق)[1]. وهذا نقد لما قرره في كتاب (الله) جل جلاله.

ومتردد في حديثه عن بني إسرائيل؛ فحينًا يقرر أن بني إسرائيل كانوا على الشرك ولم يعرفوا التوحيد إلا قبيل ظهور المسيح عليه السلام، ثم يعترف في ذات الكتاب ـ وهو يتكلم عن تأثر اليهود بالفلسفة ـ بأن الأنبياء كثروا في بني إسرائيل حتى لم يخلُ منهم زمن، وهذا يعني أن التوحيد بقي في بني إسرائيل من إبراهيم ـ عليه السلام ـ حتى مبعث عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، ثم في كتابٍ آخر (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) يقرر أن ما أسماه توحيدًا لم يكن توحيدًا؛ يقول: (لم يكن في هذه العقيدة إيمان بالتوحيد)[2]!!

ومتردد أيضًا في أمر (آتون) إله الفراعنة، الذي يعتبر عبادته غاية التنزيه في التوحيد في كتاب (الله)، ففي كتاب (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) يرى أن عبادة (آتون) لم تكن غاية في التنزيه كما يدعي هو، بل كانت توحيدًا يشوبه شيء من الوثنية[3]!!

وفي مكانٍ آخر يقول: (فكانت فكرة الله في الإسلام هي الفكرة المتممة لأفكار كثيرة موزعة في هذه العقائد الدينية وفي المذاهب الفلسفية التي تدور عليها)[4]، وبعد

---

(1) إبراهيم أبو الأنبياء ص123، 133.

(2) موسوعة العقاد الإسلامية (5/61).

(3) موسوعة العقاد الإسلامية (5/56) ط. دار الكتاب ـ لبنان.

(4) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص52.

هذا الكلام يقول: (نختم الكلام على العقيدة الإلهية سائلين: كيف تسنى لنبي الإسلام أن ينفرد بهذه الدعوة وحيدًا في تاريخ الأديان؟!)[1].

وردد ذات الكلام في مكانٍ آخر؛ ففي كتاب (إبليس) ص127 وما بعدها، وبعد استعراض للديانات الكتابية الثلاث وحديثها عن الشر (الشيطان) يذكر أن هذه الديانات كانت متوالية ومتطورة، وأنها ختمت بالإسلام؛ يقول: (ثم جاء الإسلام فبسط على الوجود كله وحدة لا مثنوية فيها على وجه من الوجوه)[2].

وهذا خطأ في التصور عند عباس العقَّاد أوجده البعد عن النص الشرعي، أو بالأحرى عن فهم النص الشرعي كما ينبغي، أوجد هذا الخلل عند عباس العقَّاد القول بتطور العقائد كما تطورت الصناعات، فالإسلام لم ينفرد وحيدًا بالدعوة، بل الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للناس أجمعين من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين.. ودين الله هو الإسلام، بعث به رسله جميعًا، فنحن نعتقد أن الأنبياء جميعًا كانوا على الإسلام الذي هو الاستسلام لله وحده لا شريك له، الذي هو التوحيد، الذي هو ملة إبراهيم، فكل الأنبياء عندنا ـ من آدم إلى محمدٍ صلوات الله عليهم أجمعين ـ مسلمون، فالدين عندنا واحد وهو الإسلام، ولكن شرائع مختلفة.

إبراهيم ـ عليه السلام ـ عندنا مسلم؛ قال الله تعالى:] مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصۡرَانِيًّا وَلَٰكِن © حَنِيفًا مُّسۡلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ Z [آل عمران: 67]، وقال الله تعالى:] k l m n o q r s t Z [البقرة: 131].

---

(1) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص83.

(2) كتاب (إبليس) ص 128.

وكان يدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو وولده إسماعيل قائلاً ـ كما يحكي القرآن الكريم ـ:] 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @ A B Z [البقرة: 128].

ويوسف ـ عليه السلام ـ كان مسلمـًا:] رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ´ µ ¶ ¸ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ Z [يوسف: 101].

وموسى ـ عليه السلام ـ وقومه:] g h i j k l m n o p q r Z [يونس: 84]، [O P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ Z [الأعراف: 126].

ونوح عليه السلام:] D E F G H I K L M N O Q R S T U Z [يونس: 72].

وسليمان عليه السلام في قصة مكاتبته لملِكة سبأ جاءت هذه الآيات:] أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ Z [النمل: 31]،] @ A B C D E F G H I Z [النمل: 38]،] ¶ ¸ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ Z [النمل: 42].

ولوط عليه السلام جاء في وصف بيته على لسان الملائكة:] A B C D E F G Z [الذاريات: 36].

وكذا الحواريون أتباع عيسى عليه السلام؛ قال الله تعالى:] y z {

| { ~ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ Z [المائدة: 111].

فكل الأنبياء كانوا مسلمين، وكل الأنبياء أرسلوا بالتوحيد:] ! " #
$ % & ' ( ) * + , - . / Z [الأنبياء: 25]،] H I
J K L Z [آل عمران: ١٩].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ**». قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ**».

والعجيب أن العقاد يعرف هذا، أو مرَّ بتلك الحقيقة، أو مرّت به تلك الحقيقة، ولكنه دارَ حولها وحاول أن يلتف عليها، أو أن يلفها ليحجبها عمن يريدها[1]!!

يقول: (كل المتدينين قبل الدعوة المحمدية موصوفون بأنهم مسلمون كما جاء في سورة البقرة؛ قال تعالى:] V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a
b c d e f g h i j Z [البقرة: ١٣٠].

ولو أنه جمّع الآيات، وهذا واجب تمليه أمانة البحث العلمي، لوصل إلى ما قدمته بسهولة ويسر.

وقبل أن أنصرف أختم بهذه الفقرة من كتاب عباس العقاد (التفكير فريضة إسلامية)؛ يقول: (من العسير على الكثيرين من المتدينين المؤمنين بالأنبياء أن يذكروا أسبابًا عقلية لتفضيلهم الدين الذي يعتقدونه على سائر الأديان التي لا يعتقدونها،

---

(1) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص263.

وغاية ما عندهم من التعليل لهذا التفضيل أن يؤمنوا بهذه العقيدة لأنها عقيدة نبيهم، ولا يؤمنون بالعقائد الأخرى لأنها عقائد أنبياء آخرين لا يؤمنون بهم)[1].

هذا النص لا يحتاج لتوضيح، فقط أستشهد به على أنها منفصلة في رأس العقاد، ولا يدفع هذا الاستشهاد كلام العقاد بعد هذه الفقرة في ذات الفصل، وإنما يثبته ويرفعه، فقد أورد بعد ذلك حديثَ العهد القديم ـ وهو مما يتكلم به اليهود والنصارى على اختلاف بينهم في تفاصيل ـ عن أنبياء الله، والقول بأنهم يشربون الخمر، ويصارعون الرب ـ تعالى الله ـ ويأمرهم الرب بأن يضاجعوا الزانيات، وأن أبناءهم يزنون ببناتهم، وأنهم يزنون ببناتهم، وغير ذلك، ثم يقول: (هذه الأخبار وما إليها نورد ما أوردناه ولا نناقشه أو نتعرض لنفيه وإثباته)[2].

المبحث الثاني: النبوة والأنبياء عند عباس العقاد:

عند العقاد أن الأنبياء بعثوا في مدن القوافل فقط[3]، أو المدن التي تكون قريبة من الصحراء حيث تختلط البداوة بالحضارة. وعند العقَّاد أن المدن المتصلة ذات الحضارات القديمة لا تصلح لدعوة الأنبياء، فقط يظهر في المدن الكبيرة الكهان.. أو بالأدق يصلح لها الكهان ولا يصلح لها الأنبياء!!

يقول: (فليست دعوى النبوة بالدعوة التي تشيع وتجتذب إليها الأسماع في مواطن

---

(1) ص 915.

(2) ص 922.

(3) أبو الأنبياء إبراهيم ص140، وذكر ذلك في كتابه حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص 123، 124.

الحضارة القديمة بعد استقرار العمران فيها بعاداته وآفاته مئات السنين أو ألوف السنين... وإذا شاع الفساد في مواطن الحضارة فالمسألة في هذه الحالة مسألة تشريع وقانون أو مسألة تنظيم وتدبير.. فليست بلاد العمران المتصل مهدًا صالحًا للرسالة والنبوة)[1].

وعند عباس العقَّاد أن أهل البادية لا يصلحون للرسالات.. تخرج منهم أو تقيم بينهم، فتعرّفهم على (الحقوق والفضائل وخلائق الصلاح والاستقامة التي ينشرونها باسم الإله ويستمعون وحيها من نذر السماء، فذلك من وراء التخيل فضلاً عن التفكير فيه)[2]، هكذا يتكلم العقاد عن أهل البادية! ويؤكد هذا المعنى فيقول: (فنشأ الحكماء والنساك في الصين والهند على مثال كنفشيوس وبوذا، ولم ينشأ فيهم الأنبياء المرسلون والرسل المجاهدون؛ **إذْ كانت أمانة النبوة المجاهدة شيئًا غير أمانة الإصلاح والتعليم)**[3].

ويؤكد العقَّاد على أن النبوة بدأت في جنوب العراق حيث كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم الشام ثم الحجاز؛ فيقول: (ويطرد الترتيب بزمانه كما يطرد بمكانه، فمن آشور إلى حبرون[4] أو بيت المقدس، إلى مدن خليج العقبة إلى مدينة الحجاز المقدسة، وعندها نهاية المطاف). ويقول بعد ذلك مستنتجًا ومؤكدًا: (وإننا لو سلكنا التاريخ الديني طردًا وعكسًا، ثم سلكناه عكسًا وطردًا، لما كان له من مسلك أقوم وأثبت من

(1) أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ص 141، 142.
(2) أبو الأنبياء إبراهيم ص 144.
(3) أبو الأنبياء إبراهيم ص 149، 150.
(4) هي مدينة الخليل عليه السلام.

بدايته ونهايته بين «أور» في جنوب العراق ومكة في وسط الحجاز).

ماذا يحدث؟!

هذا الكلام في سياق استدلال العقاد على وجود الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ يريد أن يرد أقوال العلمانيين الذين لا يؤمنون بالمصادر الدينية مصدرًا تاريخيًّا، فراح يحدثهم بأن علم (الحفريات)، وأن (البديهيات) العقلية ـ بزعمه ـ على أن الأنبياء كانوا بالمدن التجارية التي تختلط فيها البداوة بالحضارة.. تلك المدن التي تكون على مقربة من الصحراء (مكة)، و(سدوم)(1)، و(مدين)(2)، وحيث إن مُدن النهرين (دجلة والفرات) كانت مدن قوافل، إذًا كان لا بد أن يكون فيها أول نبي، إبراهيم ـ عليه السلام ـ !!

يدلّل بهذا على وجود إبراهيم عليه السلام، وهو دليل ساقط في كنهه وساقط في محله الذي يوجه إليه، ومنقوص أينما نظرت إليه، ولا يعنيني مناقشة العقاد من هذه الناحية، وإنما فقط أردت أن أبين نظرة الرجل للنبوة والأنبياء من خلال هذا الطرح.

ولاحظ أنَّ العقاد يرى أن الأنبياء لا يصلحون إلا لهذه المدن، ولا يصلحون لا للبادية ولا للمدن الكبيرة ذات الحضارة!!

ويرى العقاد أن هناك نوعين من الديانات، ديانات الأنبياء و(ديانات) غير

---

(1) مدينة لوط عليه السلام، وسدوم فعول من السدم، وهو الندم مع غم، ويضرب بقاضيها المثل في الجور. معجم البلدان (3/200).

(2) مدينة شعيب عليه السلام، وسميت باسم الشعب الذي يسكنها، بني مديان بن إبراهيم عليه السلام.

الأنبياء، أو كما يسميها هو أحيانًا (ديانات كتابية) و(ديانات غير كتابية)، ويصرح ـ في كتابه (إبليس) وكتابه (الله) تحديدًا ـ أن الوثنية عنده هي الديانات غير الكتابية، وديانات الأنبياء المعروفين (إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ) هي الديانات الكتابية ويرتب بينهما، فعنده الديانات غير الكتابية (الوثنية) كانت دهرًا طويلًا قبل الكتابية (ديانات الأنبياء)[1]، ويقارن بينهما فيقول: (والاختلاف بينها وبين الديانات الأخرى أن النبي لا يعينه أحد ولا ينبعث بأمر أحد، ولكنه ينبعث بباعث واحد من وحي ضميره ووحي خالقه)[2].

ويقارن بين النبي والكاهن؛ فيذكر أن الكاهن يعين والنبي لا يعين، ويذكر أن الكاهن وجهته نظام المجتمع وتقاليد الدولة وما إليها من الظواهر أو الواجبات العامة، والنبي وجهته سريرة الإنسان[3]!! وأضف إلى ذلك ما تقدم من أن النبي يبعث في مدن القوافل، أمّا الكهان فيبعثون في المدن الكبرى ذات الحضارات!! وأضف إلى ذلك ما أشار إليه بقوله: (إذ كانت أمانة النبوة المجاهدة شيئًا غير أمانة الإصلاح والتعليم)، فالأنبياء لشيءٍ آخر غير الإصلاح والتعليم.

وهذا الكلام لا تجده ولا تسمع به إلا عند العقاد، لا يقول به مسلم ولا نصراني ولا يهودي.. بل ولا وثني، فقط تسمعه من العقَّاد المتفرد دائـمًا، ولا تتعب نفسك

---

(1) انظر: كتاب (إبليس) ص86، وقد رتب كتابه بناءً على الزمن، وصرّح في الصفحة المذكورة (86) بالترتيب، وهو ينطبق مع ما يتكلم به العقاد من تطور الديانات كما تطورت المعيشة!! وكله كذب، والبيان في النص أعلاه.

(2) ص 157، وأكد المعنى ذاته في ص179.

(3) إبراهيم أبو الأنبياء ص 157، 158.

بالبحث عن مصدره فلن تجد، إنه العقاد جهده في الغريب المريب، ولذا تجد تخبيطًا لا تدري من أين جاء به؟!

الكهانة كانت موجودة في البادية وفي الحضر.. في المدن الكبرى وفي المدن الصغرى، في كل مكان حلَّ فيه الإنسان .. عند العرب وعند الهنود وعند الرومان وعند أهل اليونان وأهل السودان، وليس فقط في المدن الكبرى كما ادعى العقَّاد، وكهان الجزيرة العربية، وكهان الفراعنة والحضارات القديمة يعرفهم ويكتب عنهم كل من خطَّ بيدين أو تكلم بلسان!!

والأنبياء عمت دعوتهم الجميع، لم تترك بيت مدر ولا وبرٍ إلا دخلته.

وموسى ـ عليه السلام ـ بُعث في أقوى حضارة في زمانه حيث الكهان!! ومن قبله إبراهيم عليه السلام كان في بلد ذات حضارة أيضًا، وهود عليه السلام بعث في قوم هود وكانوا يبنون بكل ريع آية يعبثون، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون، وإذا بطشوا بطشوا جبارين، وصالح كان في قوم ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين... إلخ. فليس بصحيح أن ما يذهب إليه العقَّاد من أن الرسالات محصورة ومحدودة بحدود مدن القوافل، لا مدن الحضارات!!

والله يقول:] H I J K L N O P Q R S T U Z [فاطر: ٢٤]، والله يقول:] D E F G H I J K L M N P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a b Z [النحل: 36]، والله يقول:] (* + , . / 0 1 2 3 5 6 7 8 9 ; < = > ? Z [المؤمنون: ٤٤]،

والله يقول:] { ~ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ ©قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا Z [الملك: ٨ – ٩]] B C D F G H I Z [الرعد: ٧]، والله يقول] _ ` a Z [يونس: ٤٧].

كل هذا والعقاد يردد في أكثر من مكان بأن هناك مجتمعات خالية من الأنبياء، وأن الأنبياء فقط لمدن القوافل، والكهان والسحرة للمدن ذات الحضارات!!

وحال الكاهن لا يحتاج لبيان، فحاله كما وصفه خالقه أفّاكٌ أثيم، تتنزل عليه الشياطين،] u v w x y z } | { ~ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ Z[1] [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٢] والكهان هم سدنةٌ الأصنام، طواغيت يتحاكم الناس إليهم.

وعند العقاد أن النبوة أنواع؛ يقول: (ومن عجيب الاستقصاء أن القرآن الكريم قد أحصى النبوات الغابرة بأنواعها، فلم يدع منها نوعًا واحدًا يعرفه اليوم أصحاب المقارنة بين الأديان، ومن تلك الأنواع نبوءة السحر ونبوءة الرؤيا والأحلام ونبوءة الكهانة ونبوءة الجذب أو الجنون المقدس ونبوءة التنجيم وطوالع الأفلاك)[2].

ويقرر في ذات الصفحة أن (النبوة الإسلامية جاءت مصححة متممة لكل ما تقدمها من فكرة عن النبوة)!!

ولا أدري أي تتميم هذا الذي فعله الإسلام للكهانة والسحر والشعوذة وأصحاب المنامات!!

---

(1) ذكر الطبري وغيره أن المقصود بالآية هنا هم الكهان.

(2) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه من موسوعة العقاد الإسلامية (73/5).

والعقَّاد يقول بأن الأنبياء كانوا أشبه ما يكون بـ(دراويش الطرق الصوفية)، و(اصطنعوا من الرياضة في جماعتهم ما يصطنعه هؤلاء الدراويش من التوسل إلى حالة الجذب تارة بتعذيب الجسد، وتارة بالاستماع إلى آلات الطرب)، وأن النبوة (كانت صناعة وراثية يتلقاها الأبناء من الآباء)، وأن بني إسرائيل صبروا عليهم ليستفيدوا منهم في (الكشف عن الخبايا والإنذار بالكوارث المتوقعة)[1]. ثم يقول مستنبطًا: (لم تكن النبوة عند القوم في هذه العهود إلا صناعة مرادفة لصناعة التنجيم أو لصناعة الفراسة المنذرة بالكوارث المتوقعة)[2].

ويقول ملخصًا لحال النبوة والأنبياء في بني إسرائيل: (ويتلخص تاريخ النبوة بين بني إسرائيل إذن في كلمات معدودات: إنهم قد استعاروا فكرة النبوة من جيرانهم العرب الذين ظهر فيهم ملكي صادق على عهد إبراهيم الخليل، وظهر فيهم بعد ذلك أيوب وبلعام وشعيب، ففهموا من النبوة معنى غير معنى الرؤية والعرافة والسحر والتنجيم، وأنهم ما زالوا يتعلمون من جيرانهم إلى أن أتى موسى الكليم الذي تتلمذ على حمية نبي مدين قبل جهره بدعوته وبعد أن جهر بهذه الدعوة في مصر وخرج بقومه منها إلى أرض كنعان، ولكنهم أخذوها وسلموها فنقصوا منها ولم يزيدوها)[3].

والنبوة عند العقَّاد بدأت بإبراهيم عليه السلام[4]، فهو أبو الأنبياء جميعهم عنده،

---

(1) المصدر السابق ص76 ، 77.

(2) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص80.

(3) حقائق الإسلام ص 82.

(4) وهو مضطرب؛ ففي كتاب إبليس ص83 في بداية فصل (في طريق الأديان الكتابية) يذكر أن أول الديانات الكتابية ـ كما يسميها ـ هي ديانة التوراة!!

بمعنى أنه كان أولهم، ولا أنبياء عنده إلا عدد قليل من ذرية إبراهيم ـ عليـه الـسلام ـ يعدون على أصابع اليد الواحدة هم من كانوا في (مدن القوافل).

وعند عباس العقَّاد أن كل الأنبياء كانوا من أولاد إبراهيم وفي ذرية إبراهيم عليـه السلام فقط بعثوا، فعند العقاد أن الله اختص الأمم الـسامية بـالنبوات[1]، وفي مكـانٍ آخر يخصص أكثر فيقول: (أما ديانات الأنبياء فلا وجود لها في غير السلالة العربية)[2].

وهذا الكلام صحيح إذا كان الحديث على ما بعد إبراهيم عليه السلام، فالله يقول

s r p o n m l k j i h g f e d [

t u v w Z [العنكبوت: ٢٧]، ولكن العقاد من تلقاء نفسه يتحدث بأن لم تكن نبوة قبل إبراهيم عليه السلام، فَهِمَ أنه أبو الأنبياء، بمعنى أولهم وكلهم لحقوا به إذْ هم أبناؤه، وهذا خطأ، وقد سبق أن بينا أن آدم عليه السلام كان نبيًا مكلمًا، وفي التنزيل أن إدريس عليه السلام كان نبيًّا:] H I J K M N O

P Q Z [مريم: ٥٦]، وهو قبل إبراهيم عليه السلام، وفي التنزيل أن نوحًا ـ عليه السلام ـ كان نبيًا،] ! " # $ % & ' (Z [النساء: ١٦٣]، وفي التنزيل هود وصالح عليهما السلام كانوا أنبياء وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام.

ولم يكن عدد الأنبياء قليلاً كما يزعم العقاد، بل كان عـددهم كثـيرًا، وفي الحـديث عن أبي ذر رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله كَمْ وَفَّى عِـدَّةُ الْأَنْبِيَـاءِ؟! قَـالَ: «**مِائَـةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**». وفي القرآن

---

(1) إبراهيم أبو الأنبياء ص138.

(2) ص 157، وأكد ذات المعنى في ص 179.

الكريم عدد غير قليل من أنبياء الله موزعون على جنبات المعمورة، في الجنوب عاد بسلطنة عمان حاليًا، وثمود في أعالي الحجاز شمال المدينة المنورة حاليًا، ومدين بالأردن حاليًا، وقوم لوط بالأردن تحت البحر الميت حاليًا، وموسى عليه السلام بمصر... إلخ، والعقاد يجعلهم عددًا بسيطًا، هم من أرسلوا في (مدن القوافل) بزعمه!!

وشيء غريب عجيب يصر عليه العقاد، وهو نبوة غاندي الهندي عابد البقرة، هو عند العقاد نبي ـ كان غاندي نبيًّا عند العقاد يبشر بـ«الاهمسا»، وقد شرح العقاد دين غاندي الذي كان يبشر به ثم قال معقبًا بعد أن بشر بها: (هذه هي خلاصة «الاهمسا» كما كان غاندي يبشر بها أبناء أمته، وأبناء كل أمة تصل إليهم دعوته)[1] ؛ بل تستطيع أن تقول: إن العقاد كتب لشرح ملة غاندي، فكلامه عن دينه وليس عن شخصه، واسم الكتاب الذي اختاره يدل على ذلك، بل راح يروّج لهذا (الدين) الجديد بذكر حال أوروبا وقد وعت الدرس وآمنت بمبادئ (غاندي) (رسول السلام).

أقول: ولو أن الشريعة حاضرة في ذهن العقاد ما رضي بهذا.

العقاد يصدق ما يعرض عليه، أو يصدق ما يتكلم به المنحرفون من النصارى والوثنيين واليهود عن معتقداتهم، ويتكئ عليه ويستدل به أو يناقشه أو يعرضه علينا، فعل هذا مع اليهود، وفعل هذا مع النصارى، ومع البوذيين، ومع قدامى المصريين، والأفارقة الوثنيين، وفعل هذا مع غاندي الهندي عابد البقرة!!

فتجده مصدقًا للجميع، أو لا يناقشهم نقاش معترض على عقائدهم، ولك أن تتدبر كتاب (إبليس) وكتاب (الله) ستجد فيه الشيء الكثير من هذا وهو يتكلم عن

(1) انظر كتابه عن غاندي ص98.

الديانات الأخرى.

يتكلم عن الديانات الأخرى بما يقدمه بها أصحابها دون أن ينقضها، فيعرض كلام غاندي عن أمه البقرة، ويعرض أفكار غاندي، ويعلن احترامه لها، وإن كان لا يوافقها!!

ويعرض ما تكلمت به يهود عن أنبياء العهد القديم وكأنه حقيقة يحاكمهم إليه.

لا يرى العقاد التناقض بين هذه العقائد والدين الإسلامي، ولا يشجب العقاد على تلك العقائد؛ ذلك أن الدفاع عن العقيدة الإسلامية أو النكير على غيرها من العقائد المضادة لها ليس هو قضيته الأولىويأتيك كشف " لقضية العقاد الأولى التي يدافع عنها ونحن نتكلم عن العبقريات إن شاء الله تعالى وبحوله وقوته.

إنكار المعجزات:

والعقاد ينكر المعجزة[1]، ويستدل على أن النبي ﷺ لم يقدم معجزة لمن سألوه إياها في مكة بقول الله تعالى:] O P Q R S T U V W X Y Z [

\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j

k l m n o p q r s t u v w x y z { |

{ ~ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ © هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ´ µ ¶ ¸ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي

(1) انظر: فصل العقائد في كتابه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) ص73 وما بعدها، وانظر: فصل المعجزة في كتابه (التفكير فريضة إسلامية).

ﭐلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ Z.
[الإسراء: ٩٠ – ٩٥]

ويستدل على ذلك بحديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ: كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللهَ**»[1].

ولا دليل في هذا، والمعجزة ثابتة.. راسخة شامخة في كل مكان من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ يعرفها العمي والصمُّ.

إنكار العقاد للمعجزة فرع على إنكاره الوحي من الله لأنبيائه، فالنبي عند عباس العقاد بشر.. (عبقري)، وثبوت المعجزة يهدم بيت العقاد من قواعده، ولذا أنكرها!!

المعجزة ـ ويدخل فيها ضمنًا الإنباء بغيب ـ هي الأمارة العقلية على النبوة.. على الوحي، والمعجزة هي الثابت الذي نتحاكم إليه في القول بأن هذا نبي أو ليس بنبي، فتأييد النبي بمعجزات وإخباره عن غيبيات أتت أو ستأتي دليل على أنه على علاقة برب الأرض والسموات، علام الغيوب سبحانه، ومعجزات النبي ﷺ كثيرة بالكاد تحصى، ونبوءات النبي ﷺ كثيرة أيضًا لا تكاد تحصى؛ فالقرآن أول معجزاته، والجمادات نطقت بين يديه وشهدت له بالرسالة[2]، وانشق له القمر[3]، وعدد من

(1) البخاري برقم 985.
(2) البخاري حديث (3579)، ومسلم حديث (4222).
(3) البخاري حديث (3636)، ومسلم حديث (5010).

المرضى برئ بدعائه أو بلمسة يده أو بتفلة من فمه[1]، والطعام كُثِّر ببركته عدة مرات يوم الأحزاب ويوم تبوك ويوم عمرة القضاء[2]، والشاة العجوز التي لا تلد حلبت حين مسّ ضرعها بيده الشريفة[3]، والماء نبع من بين أصابعه[4]، والجذع حنَّ لفراقه[5]... وغير هذا كثير في كتب السنة الصحيحة.

وأنبأ عديًّا بأن الله سيتم هذا الأمر حتى يصير الراكب لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه[6]، وأن الله سيفتح الشام واليمن والعراق، وأن نفرًا من أصحابه سيخرجون إليها ويدعون المدينة[7]، وأنه إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده[8]، وأن عمَّارًا تقتله الفئة الباغية[9]، وأن عمر وعثمان شهيدان[10]، وأن أصحابه يقتلون أمية بن خلف[11]، ونعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وهو بالحبشة ورسول الله ﷺ بالمدينة[12]، ونعى

(1) البخاري حديث (2942)، ومسلم حديث (4423).
(2) البخاري حديث (602)، ومسلم حديث (3833).
(3) مسند أحمد حديث (3417).
(4) البخاري حديث (3579)، ومسلم حديث (4224).
(5) البخاري حديث (918)، ومسلم حديث (1407).
(6) البخاري حديث (3595)، ومسلم حديث (1687).
(7) البخاري حديث (1875)، ومسلم حديث (2459).
(8) البخاري حديث (3120)، ومسلم حديث (5196).
(9) البخاري حديث (447)، ومسلم حديث (5192).
(10) البخاري حديث (3674)، ومسلم حديث (4416).
(11) البخاري حديث (3950).
(12) البخاري حديث (1245)، ومسلم حديث (1580).

جعفر وزيدًا وابن رواحة حين قتلوا في مؤتة ـ الأردن حاليًا ـ وهو بالمدينة ﷺ، وكـان يصف المعركة[1].

وأخبر من أنباء الماضي؛ فحكى عن مريم، وعن موسى وعيسى، وأهـل مـدين، والمؤتفكات، وقوم تبع، وأصحاب الرس، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط، هذا وهو أميٌّ لم يقرأ ولم يكتب، ولم يخرج من بين شعاب مكة، وما حكاه عنهم لا يتوافق في قليل أو كثير مع حكايات كتب النصارى واليهود حتى يقال: إنه أخذ مـنهم، والعقـاد يعرف هذا ويتكلم به في كتابه حقائق الإسلام وأباطيل خصومه.

وإنكار العقاد للمعجزة دليل على إهماله للـنص الـشرعي وعـدم الالتفـات إليـه، وهذا متكرر مرّ بنا ويأتي مرارًا إن شاء الله وقدّر.

وإنكار العقاد للمعجزة تكرر في أكثر من مكان من مؤلفاته، فهـو إصرار، ولـيس كلامًا عابرًا .

وإنكار العقاد للمعجزة كالطفل يمـد يديـه للـسماء ليحجـب عـن النـاس ضـوء الشمس.. وأنى!!

(1) البخاري حديث (1246).

الفصل الرابع

موقف عباس العقاد من النصرانية

المبحث الأول: عباس العقاد يدافع عن بولس:

مما لا أعرفُ فيه مخالفًا أن المسيحَ ـ عليه السلام ـ أُرْسِلَ إلى بني إسرائيل، وبقي بينهم إلى أن رفعه الله إليه، ولم يدعُ غيرَهم إلى الله، وأمرَ المسيحُ ـ عليه السلام ـ الحواريينَ بالبقاء بين بني إسرائيل وأن لا يخرجوا من بينهم؛ وهذا صريحٌ في كتابهم جاء على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ في كتابهم ـ: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا، بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»(1)، وكان يقول: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»(2).

وهو ما نجدهُ في كتابِ ربنا القرآن العظيم الذي حَفِظَهُ عباس العقَّادُ صغيرًا:] !
" # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3
4 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A Z [الصف: 6].

وهو ما نجده في سيرة المسيح ـ عليه السلام ـ وفي سيرة الحواريينَ من بعده، في كتابهم هم الذي بين أيديهم، فلم يخرج المسيحُ ـ عليه السلام ـ ولا تلاميذه إلى غير خراف بني إسرائيل الضالة.

---

(1) (متى 10: 5، 6).

(2) (متى: 15: 21، 24).

وبعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ مباشرةً، جاء أحد نشطاء اليهود ودارسي الفلسفة على يد أكبر معلميها وأشهر من عرف بعداواته للحواريين، وهو (بولس ـ شاؤول)[1] بدينٍ جديد، يختلف تمامًا عما عاش عليه المسيح ـ عليه السلام ـ ودعا التلاميذ إليه، وتركهم عليه.. بدَّل كلَّ شيء.

هو الذي افترى ألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ وقد عاش المسيح ـ عليه السلام ـ عبدًا رسولًا لم يقل مرةً: إنه هو الله أو ابن الله متجسدًا، ولا دعا أحدًا لعبادته، ولا عبده أحدٌ من تلاميذه، بل كان يصلي كثيرًا، ويبتهل إلى الله كثيرًا، وكلما أراد فعل معجزةٍ رفع عينيه إلى السماء يستغيث بالله مولانا ومولاه.

وهو الذي جعلها دعوةً عامةً، وكانت خاصة ببني إسرائيل.

وهو الذي نقض الناموس ـ شريعة موسى عليه السلام ـ وجعل النجاة بالإيمان (التصديق أو المعرفة)، ولم تكن بغير اعتقادِ الجنان وقولِ اللسان وعملِ الأركان.

وهو الذي حرّم الختان، وكان المسيح مختتنًا وكان التلاميذ مُخْتَتَنُون، ويخْتِنُون.

وهو وأتباعه الذين أهملوا الحديثَ عن اليوم الآخر وجعلوه كلماتٍ مجملة لا ترسم صورةً تفصيلية، بل صورةً مجملةً لا تؤثر في العمل (السلوك)، وكان المسيح ـ عليه السلام ـ وكل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يتكلمون عن اليوم الآخر بكثيرٍ من التفاصيل، ويجعلون النجاة فيه بالأعمال، وهذا صريحٌ في كتابهم الذي بين أيديهم، فمما ينسبونه للمسيح ـ عليه السلام ـ في الرؤيا الإصحاح العشرين: «... وَدِين الأَمْوَات مِمَّا

(1) اسمه الحقيقي شاول أو شاؤول، وتعني الطالب، ثم سمى نفسه بعد ذلك بـ(بولس) بمعنى حقير؛ يقول: تواضعًا!!

هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ»، وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح الثاني والعشرين: «وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ»، وفي يوحنا [5: 28، 29]: «لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ».

لاحظ كالذي عندنا قبور ونشور، وصحف للأعمال ينظر ما فيها ثم يكون الجزاء على حسبه، وفي أماكن أخرى يتكلم المسيح عن لذَّات ينالها عند الله.. خمرٍ في الجنان يشربه عند الرحمن؛ في (مرقص: 24: 25): «الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ اللهِ».

وجاء هؤلاء القوم ـ بولس ومَن تبعه ـ وحاولوا طمس كلِّ حديثٍ عن اليوم الآخر، وجعلوه كلامًا مجملاً لا يدفع ولا يردع[1].

وبولس هو الذي تكلم عن وراثة الخطيئة من آدم عليه السلام: (كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ) [رومية (12/5)] . وأصر بولس على أن (أجرة الخطية هي موت) [رومية (23/6)]، وغير هذا نجده في كتابهم بعهديه القديم والجديد، فعندهم (بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون) [حزقيال (20/18)]، وكتابهم يتحدث عن أبرار كانوا في القديم، وأبرار في كل زمان ـ كالأطفال ـ والمسيح يعظهم

(1) بعد تدقيقٍ وتحقيق وجدت أن الخطاب الدعوي يرتكز على شيئين: تعريف الناس بالله، وتعريف الناس بدار الثواب والعقاب، والخطاب الجاهلي يرتكز على إفساد معرفة الناس بربهم وبما أعد للطائعين منهم والعاصين، لذا لا تجد أية تفصيلات عن اليوم الآخر عند المنحرفين.. كل المنحرفين، وما عدا ذلك تفريعات على ذلك.

بالذبح وعمل الحسنات لتغفر خطاياهم، وجاء بولس وتكلم عن الفداء.. عن التجسد والصلب من أجل الفداء .

إن كل ما تراه عينك الآن في النصرانية جاء بعد المسيح ـ عليه السلام ـ على يد بولس والمتبعين له؛ فهؤلاء الذين تراهم أمام عينيك الآن أتباع بولس وعبَّاد المسيح، وليسوا بعبيد اللهِ أتباعِ المسيح!!

وكل ما تراه عيناك الآن لا يتفق مع تعاليم المسيح ـ عليه السلام ـ التي في كتابهم هم!!

وكل ما تراه عيناك الآن وقف له تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ ورفضوه رفضًا تامًّا!!

ويعلم الذين يجادلون عن (بولس) أن تلاميذ المسيح كانوا على عداءٍ تام.. وعلى رفضٍ تام.. وعلى النقيضِ تمامًا مما يفعلهُ بولسُ، ولم يتبعه إلا واحد منهم.. خرج معه واعظًا ثم نَفَضَ منه يديه وتبرأ منه على الملأ، وكتب كتابًا (إنجيل برنابا) يُثبت فيه تلك البراءة، وقد تنكروا له وحاولوا أن يخفوه!!

ويعلم الذين يقرؤون كتاب النصارى أن بولس زارَ تلاميذَ المسيحِ ـ عليه السلام ـ في بيت المقدس مرتين وعرض عليهم ما افتراه في دين الله، وفي المرتين خالفوه، وذكر هو بنفسه مخالفتهم له في (غلاطية 2: 1 ـ 9)، وحين يأس منهم سبَّهم وشتمهم بألفاظ قبيحة لا تخرج من تقي، يقول عنهم: (كذبة) و(كلاب) و(فعلة الشر) و(لا يفهمون شيئًا)[1]!!

(1) (فيليبي: 2ـ20)، و تيميثاوس1 (6: 3 ـ 5).

ما شأن عبّاس العقّاد بهذا الكلام؟!

كل هذا الاختلاف.. كل هذا التضاد، وعباسُ العقَّاد يجعلهم سواءً.

يقول: كلهم تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ وكلهم انتشروا في الأرض بأمر المسيح ـ عليه السلام ـ[(1)]!!

فبَعْدَ استعراضٍ طويلٍ لعضلاتهِ الفكريةِ وجولاتهِ الاستطلاعيةِ في الكتب النصرانية، وبعد تهويلِ الأمرِ للقارئ حتى يكتفي بما يُقدمه له، يقولُ عباسُ العقَّادِ ملخصًا للنصرانية: (الدعوة المسيحية بعد السيد المسيح كانت ترجع إلى مركزين: أحدهما برئاسة جيمس أي [يعقوب] المسمَّى بأخي الرب، ومقره بيت القدس، والثانية برئاسة بولس الرسول ومريديه، ومقرها خارج فلسطين بعيدًا عن سلطان هيكل اليهود. وقد كانت شعبة بيت المقدس أقرب إلى المحافظة والحرص على شعائر العهد القديم)!!

ثم يقول: (وظلت الرئاسة على العالم المسيحي معقودة لهذه الشعبة المقيمة في بيت المقدس حتى تهدَّم الهيكل وتقوضت مدينة بيت المقدس وتبددت الجماعة في أطراف البلاد، وآلت قيادة الدعوة إلى الشعبة التي كانت تعمل في خارج فلسطين)[(2)]!!

ويَعْلَمَ العقادُ، ويعلم الذين قرؤوا شيئًا عن النصرانية، أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/712)، و(5/ 59، 60)، وما بعدها ط. دار الكتب لبنان.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/556) ط. دار الكتب لبنان. وهي مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (عبقرية المسيح)، وقد صدرت الطبعة الثانية بعنوان (حياة المسيح) عليه السلام.

يترك دولة بل أفرادًا يعدُّون عدًّا، تركهم محسورين مكبوتين خائفين، والعقَّاد يقول: فريقان يتناوبان رياسة!!

وهو متردد، وتردده أمارة على فساد رأيه؛ مرة يقول: التلاميذ كانوا اثني عشر، ومرة يقول: كانوا ثمانين، ومرة يقول: ترك المسيح شعبًا كثيرًا[1]، ومرة يقول: بل ترك شعبتين متوازيتين إحداهما بالداخل والأخرى بالخارج، وفي ذات الكتاب يغير عباس العقاد كلامه فيذكر أن التحريف الحاصل في النصرانية على يد (بولس) ومن معه كان تطورًا طبعيًا[2]، والتطور يعني أنه حدث بعد مدة من الزمن.

والقول بأن التغير الحاصل على يد (بولس) كان تطورًا وطبعيًا ينقض قوله الأول بأن بولس من التلاميذ، وأن المسيح ـ عليه السلام ـ ترك شعبتين متوازيتين إحداهما بالخارج يترأسها (بولس) والأخرى بالداخل يترأسها يعقوب أخوه[3]!!

والقول بأن التغير الحاصل على يد (بولس) كان تطورًا وطبعيًا غير صحيح من ناحيتين:

الأولى: أنه لم يكن تعديلًا بسيطًا في الفروع اقتضته المستجدات بعد أن طال عليهم

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 729) ط. دار الكتب لبنان. وفي صفحة 732 عاد يكرر ذات الكلام ويزيد عليه، يقول: التلاميذ ثمانون، وفوقهم ألوف من المسحيين. ولا أدري علام التفرقة ومن أين أتى بهذا العدد؟!

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/690) ط. دار الكتب لبنان.

(3) النصارى مختلفون في القول بأن للمسيح ـ عليه السلام ـ أخًا أم لا؛ والسبب في ذلك نص ورد عن (بولس) يصف يعقوب (أحد الحواريين) بأنه أخو الرب. ومختلفون في زواج المسيح ـ عليه السلام ـ فبعضهم على أنه تزوج مريم المجدلية، ومختلفون في كل شيء!!

الأمد وتغير الزمان واقتضى الحال تغير الفتوى، وإنما كان تبديلًا مباشرًا وشاملًا ومناقضًا تمامًا كما قدّمتُ.

الثاني أن هذا التغير كاد أن يلحق المسيحَ ـ عليه السلام ـ فبولس (مؤسس شعبة الخارج كما يدعي العقَّاد) من معاصري المسيح ـ عليه السلام ـ في نفس عمره تقريبًا، وبدأ دعوته بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ بأيام.

فأين التطور الذي يتكلم عنه العقاد؟!

وحين تُراجِع كلام عباس العقاد الذي يدلل به على صحة أقوال بولس، أو حين تراجع أدلة العقاد التي يتكئ عليها في موقفه الإيجابي من بولس لا تجد سوى حِفْنة من البيان يلقي بها في وجه من يقرأ له؛ يقول: عُذِّبَ وأوذي هو ومن معه وتبعته ألوف من الناس[1]، وأهلُ الباطلِ لا يتحملون العذابَ[2]!!

وهذا الكلام غير صحيح، فلم يعذب بولس ويؤذى؛ وجهده الذي بذله لا يساوي جهدَ ناشطٍ يترأس أسرة دعوية بين طلاب المدن الجامعية، فلم يقاتل عدوًا ولم ينفق مالًا، بل كان كذَّابًا متلونًا يلبس لكل قومٍ لبوسهم[3]، ولم يجلد ظهره أو يؤخذ ماله، وضربت عنقه في نهاية حياته بعد أن شاخ دونما تعذيب وتشريد، ومثل هذا النوع من الناس يقدمون على القتل كنوع من الدعاية لأفكارهم.

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/714) ط. دار الكتب لبنان.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/559،558) ط. دار الكتب لبنان.

(3) انظر إن شئت للكاتب: (لم أفهم، ولم يفهم، ولن تفهم). بصيد الفوائد وطريق الإسلام وغيرهما.

وإن سلمنا جدلاً أن بولس لاقى عذابًا شديدًا ـ وهو ما لا نعرفه ـ فلا يصلح أن يتكئ العقاد عليه دليلاً على موقفه الإيجابي من (بولس)، فلو أن كلَّ من صبر على بلاءٍ وتبعه ألوف من الناس صحّحنا مذهبه، لصار الكل تقيًّا مؤمنًا.. بوذا.. وكرشنا.. وجنكيز خان.. والحلاج وكان جلدًا صبورًا.. والجهم بن صفوان.. ومحمد بن كرام.. والجعد بن درهم.. بل ليس ثَمَّ تمكينٌ لحقٍ أو باطلٍ بلا جَلَدٍ ومجالدة، وكل هؤلاء تتبعهم الملايين:] وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ Z [يوسف: ١٠٣]،] © تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ µ ¶ ¸ ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ Z [الأنعام: ١١٦].

فَتَّشْتُ كثيرًا وطويلاً فيما كتب العقاد.. فوجدت الرجل يصر على تصويب بولس ومن كانوا معه من المبدلين لدين الله؛ حتى إنه يدفع عن بولس تهمة الكذب التي أقرّ بها على نفسه، وشهد بها عليه أصدقاؤه وأعداؤه؛ يقول العقاد مدافعًا عنه: (بولس كان يتألف القلوب ببعض المجاملة)[1].

وشيءٌ آخر: المسيحُ ـ عليه السلام ـ وبولس ـ عليه لعنة الله ـ مرًّا بالتاريخ مرور الكرام في زمانهما، حتى إنك لا تستطيع أن تدلل على وجود المسيح ـ عليه السلام ـ من غيرِ كتب المسلمين، وكلُ كتابٍ يتكلم عن المسيح ـ عليه السلام ـ وبولس ـ عليه لعنة الله ـ بما في ذلك كتاب النصارى لا يثبت أمام النقد العلمي!!

الوثنيون حين دخلوا النصرانية بعد قرنين أو يزيد من رفع المسيح ـ عليه السلام ـ جعلوا ينتقون منها بأهوائهم، وجيء ببولس وتلك الكتابات التي بين أيديهم من تحت

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 714) ط. دار الكتب لبنان.

ركام الأيام، فعقيدة النصارى الآن ظهرت واستقرت بعد قرون من هلاك بولس ورفع المسيح ـ عليه السلام ـ ولا علاقة لأي منهما في ظهورها، بل الذي أظهر ذلك وفعَّلَهُ هم الرومان الوثنيون! حتى الكتابات المنسوبة لبولس منها ما لا يُعرَف كاتبه، على سبيل المثال (سفر أعمال الرسل) وهو أهم الأسفار المنسوبة لبولس.

هذه هي الحقيقة التي لا يجهلها مهتم.

احترتُ كثيرًا وأنا أفكر في العقَّاد من أين جاء بهذا الكلام؟! وكيف طوعت له نفسه أن يُصور بولس ـ لعنه الله ـ وكأنه جاهد واجتهد، وشدَّ واشتد حتى مكّن للنصرانية، وكأنه على خطى المسيح ـ عليه السلام ـ بالحق يصيح!! كيف طوعت له نفسه أن يتكلم بهذا الكذب المكشوف؟!

والتفسير الذي ترتاح له نفسي بعد تمعن في حال الرجل وبعد ساعات قضيتها بين كتبه هو أن العقَّاد كتب هذا الكتاب متأخرًا بعد أن انتشر اسمه وعرف الناس سعة اطلاعه، وكان في زمن لا يقرأ فيه أحد ولا يكتب، وحَسِبَ أن الناس لن يقرؤوا ولن يكتبوا، وإن تعلموا الكتابة والقراءة فلن يفتش أحد وراءه، وبالتالي لن يعرفوا أن الرجل يتكلم من رأسه!!

لن تجد مبررًا غير هذا لهذا الهراء الذي يتكلم به العقَّاد.

ودليل ذلك أن العقاد في طبعته الثانية للكتاب ردَّ على من اعترضوا عليه بأنه فتح الإنجيل أكثر من ألف مرة، وأنه يعرف ما لا يعرفون، وحقَّر من شأنهم، وألقى في وجههم تراب البيان دون أن يناقش حججهم أو يعتني بقولهم!!

ودليل ذلك أيضًا أنني سأجد المعترضين على هذه المقالات فقط يصرخون بصوت عالٍ: تعترض على العقاد؟!!

مع أني أنقل كلامه برقم الصفحة وأناقش بالدليل من كتاب النصارى ومن كتاب الله. وارتقبوا معي لن تجدوا إلا ما تركه لهم العقاد.. صراخ وعويل، وستارٌ من الكبر يحتمون خلفه.. هذا ما عندهم.

والمقصود بيانه هو:

ـ أن العقاد يدافع عن باطلٍ صريحٍ بلا دليلٍ صحيح أو غيرِ صحيح، فقط بمهارة البيان[1]، وتصويب بولس ومن كانوا معه من المبدلين لدين الله ثابت لا شك فيه عند العقّاد.

المبحث الثاني: موقف العقاد من ألوهية المسيح المزعومة:

النصارى يقولون عن المسيح ـ عليه السلام ـ إنه هو الله، أو ابن الله، ثم هم مختلفون فيمن عاش بين الناس ـ أعني المسيح عليه السلام ـ هل كان حال معيشته بين الناس إنسانًا كاملًا أم (إلهًا) كاملًا أم بعضه إنسان وبعضه (إله)، يقولون بكل هذا، وكل هذا لا يجتمع، وأي من هذا لا يصح، لذا كل فرقة منهم تُكَفِّر أختها، ولا ترى نجاةً لها!!

وكلهم يقولون بأن (الإله) ولد من سيدةٍ عذراء، وتبعه اثنا عشر تلميذًا.

---

(1) وانظر غير ما مضى كتاب (حقائق الإسلام) ضمن الجزء الخامس من (موسوعة العقاد الإسلامية) ص60.

وكلهم يقولون: أخطأ آدم وورثت ذريته الخطيئة، فتجسد الله ـ أو ابن الله ـ من أجل أن يُكَفِّرَ عن هذه الخطيئة!!

وكلهم يقولون: قُبض على (الإله) وسِيق مُقيدًا يُبصق في وجهه ويُضرب على (قفاه)، ثم صُلب على الأخشاب وراح يصرخ من الألم!! تعالى الله وتقدس عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وكلهم يقولون: مَنْ صدق هذا الهراء فقد نجا مهما اقترف من المعاصي، فشرطُ النجاةِ عندهم هو (قبول المسيح فاديًا ومخلصًا).. فقط تصدق هذا الكذب وتنجو[1]!!

وهذا الكلام كلُّه ليس بجديد.. كله قديم موجود عند مَن قبلهم !!

ففي القرن التاسع عشر الميلادي، تأسس علم مقارنة الأديان، وساح أحد الباحثين في الأرض يتتبع الديانات الوثنية، فوجد أن ما يقال عن المسيح ـ عليه السلام ـ من قبل النصارى قد قيل من قبله على غيره[2]، فليس في عقيدة النصارى الموجودة اليوم، والتي أسسها بولس ـ كما مرّ سابقًا ـ شيء جديد أبدًا.. بل كلها من الوثنيات[3]!!

---

(1) في هذا تفصيل عندهم؛ فبعضهم يجعلها نجاة تامّة، وبعضهم يجعلها نجاة من الخطيئة الأولى، وتبقى الذنوب تحتاج لتوبة عند القساوسة أو دون قساوسة، وبعضهم يجعل الفداء للجميع.. مختلفون.

(2) الباحث هو كيرسي جريفز (1813م ـ 1883م) وكتابه اسمه: المخلصون من «الخطيئة الأولى» الستة عشر الذين ماتوا على الصليب في العالم The World's Sixteen Crucified Saviors.

(3) يوجد تسجيل صوتي للأنبا يؤانس أسقف محافظة الغربية في مصر سابقًا، يفتخر فيه بأن كل ما عند الأقباط هو هو بأم عينه الذي كان عند الفراعنة الوثنيين!! والتسجيل منشور في موقع غرفة (الحوار الإسلامي المسيحي)، وقد أطال الشيخ وسام عبد الله في عرض هذه التسجيلات=

وشيءٌ آخر:

إذا نظرنا للسيد المسيح ـ عليه السلام ـ من الناحية التاريخية.. إذا استدعينا شهادةَ المؤرخين الذين كتبوا التاريخ في عصره، إذا بحثنا عن الروايات المتواترة أو غير المتواتر المنقولة مشافهةً من جيلٍ لجيلٍ تحكي شيئًا عن حياة المسيح ـ عليه السلام ـ فلن نجد شيئًا مذكورًا، وهذا قول علماء (الأديان)، وكتاب النصارى الذي بين أيديهم لا يثبت للنقد التاريخي، ولا يمكن الاعتماد عليه مصدرًا من مصادر التاريخ[1].

ما شأن عباس العقَّاد بهذا؟!

بلا داعٍ ولا هدفٍ واضح حَشَرَ العقّادُ نفسه مدافعًا عن عقيدة النصارى، يدافع عن هذا التطابق بين الوثنية وبين النصرانية.. يدافع عن كتاب النصارى ويقول: يصح الاعتماد عليه!!

وليته ـ وهو الباحث.. وهو المفكر.. وهو المثقف.. وهو (العملاق) ـ زعموا ـ قدَّم أدلةً على ذلك، وإنما دافع بالجلبة والصياح وذر تراب البيان في عيون القراء، وهذا ما في جعبة العقاد ليس إلا.

يقول ـ وهو يرد التطابق الحاصل بين النصرانية والوثنية ـ: إن هذا التطابق من

=والتعليق عليها، وموقع ابن مريم وغيرهم. والدراسات في إثبات أن النصرانية من الوثنية أو ذات أصول وثنية كثيرة ومنتشرة.

(1) قام فريق الترجمة بموقع (حرَّاس العقيدة) بترجمة أحد أكثر الكتب مبيعًا في أمريكا وهو كتاب (تحريف أقوال المسيح، من حرَّف الكتاب (المقدس) ولماذا؟!)، وهو من أفضل الكتب في هذا الباب، وعندي نسخة مترجمة حصلت عليها من الدكتور حسام حمزة أشهر المختصين والمحاضرين والمناظرين في تحريف الكتاب (المقدس) وعضو فريق الترجمة.

قبيل ما يفعله المتصوفة من نسبة كل الكرامات إلى من يحبون من الأولياء! ومن قبيل خلع كل ما قيل في الكرماء على من عرف بالكرم.

أي: وكأن المسيح ـ عليه السلام ـ بما افتراه عليه بولس اليهودي كان هو الأول ثم جاءت الديانات الوثنية متأخرة، فقال كُهَّانها وعبَّادها على أربابها ما قاله بولس اليهودي على المسيح ـ عليه السلام ـ.

يضحك علينا العقَّاد، ويستخف بعقولنا!!

الوثنية سابقة والنصرانية لاحقة.. النصارى هم الذين نقلوا ما قاله الوثنيون، وليس العكس كما يدعي العقاد.

وعند التحقيق نجد أن الشيطان هو صاحب هذا الفكر (الفداء والصلب)، ولذا تجد نفس الكلام موجود عند عددٍ من أهل الشرك في جنبات المعمورة على أنهم لم يتواصلوا فيما بينهم. الشيطان هو الذي صحبَ بولس وأوحى إليه[1] بهذه الأفكار المكرورة.

كل هذه الأفكار من رأس إبليس أو أحد أبنائه ، فقوم نوح ـ عليه السلام ـ جاءهم إبليس وصوّر لهم الصالحين، ثم نحت مثل الصور أصنامًا ثم عبدوها، وعمرو بن لحي جاءه إبليس ودلَّه على الأصنام التي كانت في جدة وأمره بإخراجها ورسم له الخطة ونفذها عمرو، وحين تتدبر (آلهة) العرب، و(آلهة) الفراعنة، و(آلهة) الدول التي قامت في العراق والشام.. الآشوريين والكلدانيين والبابليين والنبط، و(آلهة) اليونان، و(آلهة)

(1) انظر إن شئت: (يسوع النصراني الجني الذي صحب بولس) للعميد جمال الدين شرقاوي. ط. دار النافذة.

الهند والصين واليابان تجد كلها متشابهة، الأفكار والأسماء وكل شيء تقريبًا، ما يـدلك على أنها خرجت من رأسٍ واحدة هي رأس إبليس إمام الضالين[1]، حتى هـذا العقَّـاد ذكر في ثنايا كلامه مرة أن العزى هي إيزيس[2]. والتفاصيل عنـد جـواد عـلي في كتابـه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، وهو موجود موافـق للمطبـوع في الموسـوعة الشاملة.

ولا أدري من أين أتاه أن كل محبٍ يخلع على محبوبه كل صفات المدح وينسب إليه كل كرائم الممدوحين؟! ولا أدري من أين أتاه أن كلَّ كـريمٍ ينـسب إليـه كـل مناقـب الكرماء؟!

العقاد في وضع محرج.. وهكذا مواقفه كلها.. يبحث عـن الغريـب الـشاذ جـدًّا، ويحسب أن الجعجعة والصياح تنفعه.

يدافع عن وثنية النصرانية!! وبلا دليل.. بأباطيل كالتي يفتريها بطرس وأمثاله!!

وتدبر هذه؛ يقول ـ وهو يرد على إنكار علماء مقارنة الأديان لوجود المسيح عليـه السلام ـ: إن ذلك من نشوة العلم الجديد.. يقول: كان علم الأديـان جديـدًا فأخذتـه النشوة، فعمد إلى الغريب كي يلتفت الناس إليه.

بالله هذا رد؟!

والعجيب أنه في مكان آخر (رسالة الله) مسالمٌ ودودٌ لعلـم مقارنـة الأديـان ينقـل عنهم ويناقشهم!! ثم هو يعترف بأن المصادر التاريخية خالية مـن ذكـر المـسيح ـ عليـه

---

(1) انظر للكاتب: أثر الشيطان في تحريف الأديان.

(2) أبو الأنبياء إبراهيم ص152.

السلام ـ وأن لا دليل فيها على وجود المسيح!!

أرأيتم أعوجَ من العقاد في تعاطيه للمسائل؟!

وليس فقط عوجًا، بل الرجل مُغيَّب عن الشريعة التي يزعمون أنه يدافع عنها، فلم يتكلم بأن القرآن شهد بوجود المسيح ـ عليه السلام ـ وإنما عقله وتركيزه فقط في المصادر النصرانية، وهذه من الأمارات التي نعرفها فيه دائمًا.. ثم يقولون: كان مدافعًا عن الإسلام!!

وبعد.. أردت من المبحث أن أبين لكم أين يقف العقاد.. وعمن يدافع!! إنه يدافع عن وثنية النصرانية!!

المبحث الثالث: عباس العقاد يدافع عن كتاب النصارى:

يواجه كتاب النصارى عددًا من المشكلات؛ واحدة منها فقط تذهب بقدسيته، من هذه المشكلات:

المشكلة الأولى: مشكلة (التقديس)؛ من أين جاءه؟! مَن قال: إنه مقدس؟! ومن أعطاه صفة القداسة؟!

الذي لا ينكره أحد منهم هو أن هذا الكتاب أخذ صفة (القداسة) من البشر، تحديدًا من المجامع، وبعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ بقرونٍ من الزمن، والعقاد يعرف ذلك ويذكره[1]، وتم ذلك بالهوى وليس بضوابط محددة، وأمارة ذلك أن تسألهم عن

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/720) ط. دار الكتب لبنان. وكذا كتاب إبليس ص102 وما بعدها.

الضوابط التي بموجبها قيل: إن هذه الأناجيل (مقدسة) وغيرها ليس بمقدس، سلهم: ما الفرق بين هذه الكتابات وغيرها؟! وقد سألتهم وسألهم غيري، ولم نجد عندهم إجابة.. لا يجيبون[1].

المشكلة الثانية: الخبرُ بمن يخبر به، أو بشواهدٍ في ذات الخبر تدلل على صدقه، فبعضهم إن أخبرك صدّقتَ مهما كان الخبر غريبًا، ويكون الدليل أن فلانًا هذا الصادق الأمين هو الذي أخبر، وبعضهم إن أخبرك شككت في قوله ولو بدا أن القولَ صوابٌ، فالخبر يُقيَّم بالمخبِر؛ لذا لا نقبل خبر المجهول في الحديث، ولا من يُشَك في عدله.

ويُقَيَّمُ الخبر أيضًا بشواهد في ذات الخبر تدلل على صدقه؛ فهذه مسلَّمة عقلية لا ينازع فيها أحد.

وكتاب النصارى مردود من الناحيتين، من ناحية المخبِر به، ومن ناحية ما فيه من أخبار؛ فلا نعلم مَن كتب الكتاب بيده، ولا يعلمون، وأخبار الكتاب متضاربة حينًا ورديئة أحيانًا.

ما علاقة هذا بالعقاد؟!

كالبهلوان راح العقَّادُ يتقافز يمينًا ويسارًا.. مترددًا.. متخبطًا.. يدافع عن كتاب النصارى، وكالعادة بلا دليل، فقط بالتهكم والسخرية وذر تراب البيان في وجوه القراء، وهاك مني بيان بالأمثال:

1ـ بعض الأناجيل متشابهة، ويفسر العارفون هذا التشابه بأن بعضهم نقل من

---

(1) انظر ـ إن شئت ـ للكاتب (من قال: إنه مقدس؟)، مقال بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام.

بعض، وهذا يعني أن الأناجيل مكتوبة باليد، بل (مغشوشة)، نقل أحدهم من الآخر، وهذا يعني أنه لا وحي ولا يحزنون، بل أناس كتبوا بأيديهم ونقلوا من بعضهم، وهذا مما يحزن النصارى ويدل على أن كتابهم ليس بمقدس ولكنه من فعل البشر، والعقاد يعترف بهذا التشابه[1]، ويرد نيابة عن النصارى، فماذا يقول[2]؟!

يعلل بتعليلٍ ساذج يدل على سطحية في التفكير واستخفاف بالقارئ، يقول: لتشابه المصدر الذي ينقلون عنه!! بمعنى أنهم نقلوا من مصدرٍ واحد، ولذا تشابهت أقوالهم!!

والنصارى يرفضون ذلك؛ لأنهم يقولون: إن الأناجيل كتبت بـ(وحي من الله) وليس عن طريق النقل من أي مصدر.

والعقلاء يرفضون ذلك لعدم وجود دليل عليه، فلم يقل أحد قبل العقاد: إن مَن كتبوا الأناجيل كانوا ينقلون من مصدرٍ ما؛ بل كان نوعًا من تسجيل الأحداث للتاريخ أو للتسلية مع صديق[3]، ولكن العقّاد ـ كعادته ـ يرمي بكلام من ظنه[4].

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 720) ط. دار الكتب لبنان.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/632) ط. دار الكتب لبنان. والأناجيل ليست كل كتاب النصارى، بل تمثل الثلث تقريبًا، وكتابهم يتكون من (العهد القديم) و(العهد الجديد)، والعهد الجديد يتكون من الأناجيل الأربعة ورسائل بولس وغيره من (القديسين)، وتجاهل هذا العقّاد!!

(3) صرح لوقا (كاتب الإنجيل) في بداية إنجيله أنه يكتب لصديقٍ له، تدوينًا للأحداث.

(4) في كتابه (ساعات بين الكتب) ص617 يعترف العقاد بأن من كتبوا الأناجيل لم ير أحد منهم المسيح، وأن كثيرًا من سيرة المسيح ـ عليه السلام ـ وسيرةَ كثيرٍ من مشاهير النصرانية لا يعرف أحد عنها شيء. ومع ذلك يعتمد كلامهم وينقله نقل من يثق فيه!!

2ـ **المثال الثاني**، أدلل به على أن العقاد يدافع عن النصرانية.. وعلى أن العقاد سطحي في تفكيره لا يملك غير البيان والاستخفاف بعقول القراء؛ يقول: (روايات الأناجيل تطابق التطور المعقول من بداية الدعوة إلى نهايتها، ومن التطور المعقول أن تبتدئ الدعوة قومية عنصرية ثم تنتهي إنسانية عالمية، وأن تبتدئ في تحفظ ومحافظة ثم تنتهي إلى الشك والمخالفة، وأن تبتدئ بقليل من الثقة في شخصية الداعي ثم تنتهي بالثقة التي لا حد لها في نفوس الأتباع والأشياع، وهكذا كانت الدعوة المسيحية كما روتها الأناجيل دون أن يتعمد كُتَّابها تطبيق أحوال التطور أو تلتفت أذهانهم إلى معنى تلك الأحوال)[1].

العامة يمرون بهذا الكلام فلا يفهمون منه إلا أن كتاب النصارى بخير، والنصارى يمرون بهذا الكلام فيفرحون به على علته، ويستحضرونه في مجالسهم حين يتكلمون لمريديهم ومن ينصرونهم؛ يقولون لهم: (علماء المسلمين) يشهدون لكتابنا، وقد فعل الكذاب اللئيم زكريا بطرس وفعلت المجرمة ناهد متولي[2].

أقول: وهذا الكلام (بَكَش) يعرف عواره المختصون، وقد بينتُ في المبحث السابق أنه لم يكن تطور ولا يحزنون، وإنما العقاد (بكَّاش)، كلامه من جنس كلام (المصاطب)، بعيد تمامًا عن العلمية والضبط.

3ـ **المثال الثالث**، أدلل به على أن العقاد يدافع عن النصرانية.. وعلى أن العقاد سطحي في تفكيره لا يملك غير البيان والاستخفاف بعقول القراء ويقف عند هذا

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 633) ط. دار الكتب لبنان.

(2) الحلقة 16 من برنامج أسئلة عن الإيمان.

النص: في كتاب النصارى أن الشيطان تسلط على ربهم أربعين يومًا وليلة يهبط به ويصعد، ويدخل به ويخرج، ويقوم به ويعقد، ويأمره وينهاه، وهي إحدى الكبر التي يتوارى منها النصارى، ونسألهم: كيف يتسلط الشيطان على رب الأرباب؟! وكيف يأخذه ويسيح به هكذا؟! أإله هذا؟! ولا نجد إجابة، بل تتسارع خطاهم وترتجف شفاهم، ولا تسمع إجابة مرضية.

العقاد ـ كالعادة ـ حشر نفسه وراح يرد نيابة عنهم، وليته احترم عقول من يقرأ، وليته احترم نفسه وهو يتكلم، بل قال: كانت هذه الرحلة التي تسلط فيها الشيطان على رب الأرباب نوع من رياضة النفس[1]!!

هذا هو العقاد !! يأتي بما لم تأت به الأوائل!!

4ـ **المثال الرابع**، أدلل به على أن العقاد يدافع عن النصرانية.. وعلى أن العقاد سطحي في تفكيره لا يملك غير البيان والاستخفاف: في كتاب النصارى هذا النص: (وإن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته، حتى نفسه، فما هو بقادر أن يكون لي تلميذًا)[2]، فبزعمهم هذا يكون شرط الإيمان بالمسيح ـ عليه السلام ـ أن تبغض نفسك وأولادك وأمك وأباك وزوجتك، وهو نص محرف ولا شك، فلا نبي يدعو لقطيعة الرحم وعقوق الوالدين، وإشعال النار في البيوت بغرز الكراهية بين أفرادها، هو نص محرف ولا شك، سها كاتبه وهو يكتب، وخجل من جاء بعده أن يحذفوه، ووقفوا حوله حائرين لا يدرون كيف يدافعون عنه، ودون أن

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 639) ط. دار الكتب لبنان.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 638) ط. دار الكتب لبنان.

يتدبه أحد جاء العقاد ليدافع فقال: (وهذه وأشباهها من الشروط الصارمة التي كان يفرضها على مريديه؛ هي الشروط التي لا غنى عنها لكل دعوة مستبسلة أمام السيطرة والجبروت).

وي.. كأنك لا تكون مؤمنًا إلا بهذه الصفات الرديئة التي يبغضها كل الناس!!

أرأيت كيف يدافع العقاد؟!

والسؤال: لمَ يدافع العقاد؟! ولم يستخف بعقولنا العقاد؟! لم لا يسكت حين لا يعلم؟!

وتدبر المثال القادم وستعلم أن العقاد متضارب.

5 ـ **المثال الخامس**، أدلل به على أن العقاد يدافع عن النصرانية.. وعلى أن العقاد سطحي في تفكيره لا يملك غير البيان والاستخفاف:

أكثَرَ عباس العقاد من الحديث عن أن دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ كانت دعوة مسالمة، في الضمائر فقط، تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، تتنحى عن السلطة ولا تتصدى لها بإبطال أو بإنقاذ، وأن قيمة الإنسان بما يضمره لا بما يظهره، وأن ملكوت السموات في الضمير وليس في القصور والعروش، وأنها كانت على نسق واحد، دعوةً للسلام استولت على الدنيا كلها من يومها إلى الآن، وأنها دعوة ملكوت يدوم ولا يعرف له انتهاء، وأن ما تدعيه اليوم من سماحة وغفران هو جوهرها، ويثني على تحريم الطلاق إلا لعلة الزنا ويقول: هو شريعة المسيح[1].

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 647، 648) ط. دار الكتب لبنان.

يقول عن رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ أنها كانت دعوة إنسانية عالمية[1]، ويقول بأن المسيح ـ عليه السلام ـ هو الذي نقض الناموس لأنه جاء بشريعة الحب لا شريعة الأوامر والنواهي، ويتطاول على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر[2].

لاحظ أنه في المثال السابق يتكلم عن أنها كانت دعوة صارمة تتطلب شروطًا صارمة، وتثير البغضاء بين القرناء، وهو هنا يقلب كلامه، ويتكلم بظلم من القول وزور، ويفتري على المسيح ـ عليه السلام ـ ويكذب على كتابهم!!

ما نقض المسيحُ ـ عليه السلام ـ الناموس، وإنما أكمله.. الذي نقض الناموس هو بولس اليهودي، والتي انتشرت في الدنيا كلها هي دعوة بولس اليهودي وليست دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ. وما يظهر الإنسان هو ما يضمره، فلا ينفك الظاهر عن الباطن، والنصرانية تدّعي السماحة والغفران ولا تعرفها، فكم قتلت (المحبة)!! وسل عن الحروب الصليبية، وسل عن الحروب (الأوروبية)، وسل: ماذا يُفعل بالأبرياء في العراق والصومال والشيشان وأفغانستان وفلسطين.. كلها مِن فعل (المحبة)! والطلاق والزواج والميراث وكل ما تراه عينك من شرائع هي من بولس وممن لحقوه من الآباء، ولا علاقة له بالمسيح ـ عليه السلام ـ، والعقاد جاهل لا يعرف ما يقول، أو يستخف بالعقول ليدافع عن عباد الأحبار والرهبان. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو شريعة الله:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/659) ط. دار الكتب لبنان. ويقصد بالتجربتين تجربة يحيى ـ عليه السلام ـ وتجربة المسيح ـ عليه السلام ـ.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/669) ط. دار الكتب لبنان..

E D C A @ ? > = < ; 9 8

F G Z [آل عمران: ١١٠].

6ـ المثال السادس، أدلل به على أن العقاد يدافع عن النصرانية.. وعلى أن العقاد سطحي في تفكيره لا يملك غير البيان والاستخفاف: يحصر الخلاف في تعاليم المسيح ـ عليه السلام ـ بين أتباعه في الالتزام الحرفي أم الالتزام بالمعنى، ويضرب مثالاً من اختصي ومن تقشف حتى أكله الدود، ويقول: ليس ثَمّ خلاف[1].

وهو كاذب، فالقوم ليس بينهم اتفاق في أي شيء، واختلاف تضاد لا اختلاف تنوع، وفي العقيدة لا في الشعائر، مختلفون في كل شيء؛ في المسيح ـ عليه السلام ـ (إلههم) بزعمهم، وفي أمه مريم ـ عليها السلام ـ وفي الفداء لمن يكون، وفي الشعائر التي يؤدونها في كنائسهم.. في كل شيء.

وقد بقي مما أعددته لهذا المبحث ثمانِ ورقات، منها مثلًا أن العقاد في مكانٍ يقول بأن كتبة الأناجيل هم الحواريون[2]، وفي مكان آخر يعترف بأن مرقص ولوقا ليسا من الحواريين، وفي مكان يقول: التلاميذ اثنا عشر، وفي مكان يقول: ثمانون، وفي مكان يقول: مات المسيح وخلفه صفوف كثيرة من الأتباع... إلى آخر هذا التضارب و(اللخبطة) في الكلام.

ما أردت أن أطيل؛ فقصدي فقط التمثيل للتدليل على تلك الأباطيل التي يلقي بها العقاد.

ها هو العقاد يستميت دفاعاً عن كتاب النصارى، وما ورد فيه، ويدافع بلا حق ..

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/678) ط. دار الكتب لبنان.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/710). ط. دار الكتب لبنان.

أليس لأحدنا أن يستدل بهذه الأمثلة على أن العقاد كان نصرانيًّا؟!

لا داعي للعجلة؛ فقد بقي مبحث واحد آتي فيه على رأي العقاد في قضية الصلب المزعومة وشخص المسيح ـ عليه السلام ـ ثم بعد ذلك نجيب معًا إن شاء الله وقدّر.

المبحث الرابع: موقف العقاد من قضية صلب المسيح:

النصارى يقولون بأن المسيح ـ عليه السلام ـ قبض عليه بعد أن خانه أحد تلاميذه (يهوذا الإسخريوطي)، وسيق مقيدًا في أغلاله ، يُبصق في وجهه، ويُصفع على قفاه، ويُستهزأ به، ثم حاكموه، وصلبوه وقتلوه على الصليب. هذا ما يقوله النصارى في قضية الصلب، ويقولون: إن كل ذلك تم من أجل افتداء الناس من الخطيئة التي ورثوها من أبيهم آدم!!

وقضية الصلب التي يتكلم عنها النصارى تواجه عددًا من المشكلات التي لا يوجد لها حل إلى الآن:

ـ منها: أنها ظهرت بعد المسيح عليه السلام، ولم يتكلم بها المسيح عليه السلام، بل بولس هو أول من تكلم بأن خطيئة آدم ورثت في ذريته، وأن أجرة الخطيئة دم يسفك. هو الذي تكلم عن (السقوط والتجسد والفداء)، وكلام بولس ليس له شواهد من (العهد القديم) و لا مما ينسبونه للمسيح ـ عليه السلام ـ. بل نصوص (العهد القديم) و(العهد الجديد) على أن الخطيئة لا تورث، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد، وأن الأبرار موجودون في كل زمان، وأن الله يغفر الذنوب جميعًا، وأن الحسنات يذهبن السيئات، وأن قصة الصلب لا تصح[1].

(1) انظر ـ إن شئت ـ: هل افتدانا المسيح بالصلب؟! للدكتور منقذ السقار.

ـ منها: أن الخطيئة يقولون عنها: لا محدودة، وتحتاج إلى فداء لا محدود.. تحتاج أن يموت (الله) كي يكفر عن خطايا البشر، إذًا كي يتم الفداء لا بد أن يموت (الله)، ولا يكفي (الناسوت) فقط؛ فهم بين أمرين: إما أن يقولوا: ما مات الله وتم الفداء، ولا يستطيعون قول ذلك، لأنهم يعتقدون حياة أقنوم الابن بجوار الآب الآن في السماء، ولا يستطيعون قول ذلك لأنهم لو قالوا به لن يتم الفداء، أو يقولون: لم يمت الإله بل (الناسوت) فقط، ولا يتم الفداء بالناسوت فقط ـ حسب معتقدهم ـ فلا بد من لا محدود كي تكفر الخطيئة!!

والأمر مرهق جدًّا، ولا يوجد كلام واضح يقدمونه لمن يناقشهم. هم في حيرة وألم لا تذهب عنهم.

ـ ومنها أن قضية الصلب من أجل الفداء على الصورة التي يتكلم عنها النصارى تكررت من قبل كثيرًا. وقد سبق بيان ذلك[1].

ـ وأكبر التحديات التي تواجه قضية الفداء والصلب هو إنكار العليم الخبير لها في كتابه المجيد؛ قال تعالى:] 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e Z [النساء: ١٥٦–١٥٧].

نطرح على العقَّاد هذا السؤال: هل قبض على المسيح وحوكم ثم صلب؟! كما حاولوا أن يقولوا بذلك في كتابهم، أم أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم كما يذكر

(1) أورد الدكتور منقذ السقار في كتابه (هل افتدانا المسيح بالصلب؟!) جدولاً يوضح فيه تطابق ما يقال عن قصة الصلب في النصرانية وما قد قيل عن بعض آلهة البابليين في العراق.

القرآن العظيم؟!

العقاد محتار لا يعرف إجابة؟!! إي والله.. هذا (المسلم) محتار!!

يقول في كلامه عن الصلب وهو في آخر كتابه ــ حياة المسيح أو عبقرية المسيح حسب الطبعة الأولى ـ: (ففي حادثة الاعتقال لا يدري متتبع الحوادث من اعتقله ومن دل عليه، وهل كان معروفًا من زياراته للهيكل أو كان مجهولًا لا يهتدى إليه بغير دليل).

هنا شيء عجيب؛ يثبت لك أن العقاد دائمًا يبحث عن الغريب وبسطحية عجيبة جدًا.. نسأل: لم الحيرة؟!

لو كان الرجل يعتمد على كتاب النصارى فإنه سيصرح سريعًا بأن الذي اعتقله هم يهود بعد أن دلَّهم عليه يهوذا الإسخريوطي، وأنه حوكم في الهيكل من قبل يهود، وأن يهود تجمعت تهتف: (اصلبه) حتى قتل وصلب، أو صلب ثم قتل كما يقول كتابهم.

ولو كان عباس العقاد يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لقال بقول الله:

R Q O N M L K J I H G F E D C B A @ [

S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e Z [النساء: ١٥٧]،

أو يقول بما ورد في السنة النبوية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى السَّمَاءِ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ ـ وَهُمَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ـ مِنْ عين في الْبَيْتِ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ سَيَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ سَيُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلَ مَكَانِي وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟! فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَى: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ عِيسَى:

اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: نَعَمْ أَنْتَ ذَاكَ، قَالَ: فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى.

قَالَ: وَرُفِعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَتْ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّبِيهَ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ[1].

ولكن العقَّاد وقف حائرًا.. كيف وقف حائرًا؟! لا أدري.

لم يكن إنجيل يهوذا[2] قد ظهر بعد حتى نقول: جاءه بعض الشك بسبب قراءته لإنجيل يهوذا!!

ولا يستطيع أي باحث أن يقف حائرًا؛ فإن كان معوجًا في بحثه مال للقوم وقال بقولهم، وإن كان مستقيمًا جاء إلينا وقال بقول العليم الخبير سبحانه وتعالى وعز وجل.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (546/11).

(2) اكتشف مؤخرًا إنجيل يهوذا الإسخريوطي في السبعينات (1972م) في محافظة المنيا في مصر، وظهر من قريب فقط!! وفيه تكذيب لثوابت النصرانية، ومنها أن يهوذا خائن كما يدّعون، وفيه توضيح لنص إنجيل يوحنا المُشكل: (ما كنت ستفعله فافعله الآن)، وفيه تعضيد لقول العليم الخبير بأنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وفيه بيان لمشكلة النصارى الأبدية وهي التوثيق لعقائدهم وتاريخهم، وفيه بيان لطريقتهم في اختيار كتبهم، وهي فقط بالتشهي، فليس ثَمّ ضوابط تنطبق على المقبول ولا تنطبق على المرفوض، وهو إحدى الانشقاقات الفكرية التي لا تنتهي داخل النصرانية، ونفسي لا تطاوعني في تبرئة يهود من حبس إنجيل يهوذا ثم إخراجه بعد عقود من اكتشافه ونشره بين الناس.. دوامة جديدة للفكر النصراني كما هي عادة يهود مع الأميين.

أما العقاد فهو كيان مستقل مخالف دائمًا، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!!

ـ وتدبر هذه الكلمات للعقاد: (ولا نستطيع كما أسلفنا أن نقرر على وجه التحقيق من الناحية التاريخية كيف كانت نهاية السيرة المسيحية)[1]، ويتكلم بعد ذلك عن (قبر) المسيح ـ عليه السلام ـ هل هو في فلسطين أم في كشمير؟!!

ما الفرق بين قوله هذا وقول طه حسين: (للقرآن أن يحدثنا كما يشاء عن إبراهيم وإسماعيل، ولنا أن نصدق أو لا نصدق)؟؟!!

وإن قيل: إنه يقول: المصادر التاريخية، وهذا صحيح، فالمصادر التاريخية لم تتكلم عن المسيح ـ عليه السلام ـ بقليل أو كثير، فقط جاء ذكره في كتاب النصارى.

قلنا: هذه حيرة أخرى وعوج آخر في التفكير عند العقاد، فهو من قبل شدَّ واشتد على هؤلاء المؤرخين أن لم يذكروا المسيح، وراح يتهمهم ويشكك في نزاهتهم ويقول: يهود في عصر الرومان، لذا لم يكتبوا عن المسيح ـ عليه السلام ـ، وأكد على أن كتاب النصارى مصدر من مصادر التاريخ، وهو عوج آخر لو حاكمت العقاد إلى كلامه، ثم الآن يشكك في الجميع ويتجاهل القرآن!!

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 737) ط. دار الكتب لبنان. والحيرة جاءت العقاد من أنه قرأ لأحدهم كلامًا عن سيرة المسيح في بلاد الهند (لاهاسا). انظر: ساعات بين الكتب ص625 وما بعدها. والحق أن المسيح ـ بالرواية النصرانية ـ يوجد منه ستة عشر فردًا، والعقاد يعرف كما مرَّ بنا، فالذي حكى عنه كاهن التبت للكاتب الروسي الذي أشار إليه العقاد في (ساعات بين الكتب) مسيح آخر غير المسيح، والهندوس عندهم ذات الحكاية، وغيرهم وغيرهم.

كتاب (عبقرية المسيح) أو (حياة المسيح) ـ عليه السلام ـ جاء متأخرًا عن عبقرية محمد ﷺ بعقد من الزمن أو يكاد، وقبيل وفاة عباس العقاد، فهل يعني هذا أن العقاد كان نصرانيًّا؟!

العقاد لم يكن نصرانيًّا، بل كان منتسبًا للإسلام ويدافع عنه أحيانًا، ولم يكن العقاد يؤمن بالصلب من أجل الفداء و، بل يصرح بأن لا خطيئة موروثة، ولكنه لم ينفِ ما تكلم به هنا.. لم يصرح بغيره إلا في جملة أو جملتين، ومات وكتبه منشورة، ولم يصلنا أسف منه على شيء منها أو فيها، والذي أرتاح إليه هو ما صرحت به مرارًا خلال عرضي ومناقشتي لموقفه من النصرانية في هذا الفصل، وهو أن الرجل مشاغب، يقف دائمًا وحيدًا إن تكلم عن النصرانية أو تكلم عن الإسلام، إن كان في الأدب أو كان في الفكر!!

هذا هو العقاد.. لم ينصر إسلامًا ولم يغظ كفرًا، وإنما أضاع جهده ونفسه في إثبات ذاته ومناطحة أقرانه، وأضاع وقتنا في الرد عليه.

الفصل الخامس

عبقريات عباس العقاد

بِيَدِ القائلين بأن عباس العقَّاد كان إسلاميًّا ينتـصرُ للإسـلامِ وأهلـهِ دليـلٌ واحـدٌ يقدموه لنا كلما أنكرنا عليهم قولهم بأن عباس العقاد كان إسلاميًّا يدافع عن حمى الدين وسيد المرسلين ﷺ، هذا الدليل هو (عبقريات العقاد)، لا تسمع منهم غير هـذا، وإن كان المتحدث مثقفًا ذكر لك عددًا آخر من كتبه التي تحمل أسماءً إسلامية كـ(التفكـير فريضة شرعية) و(ما يقال عن الإسلام) و(حقائق الإسلام وأباطيل خصومه).

ونتحدث عن عبقريات العقاد باعتبار أنها أوضـح وأشـهر نمـوذج لإسـلاميات العقاد المزعومة، ثم نعطف على باقي كتبه التي تتناول مواضيع إسلامية.

المبحث الأول: عبقريات العقاد ليست انتصارًا للإسلام:

هل حقًّا كانت العبقريات إسلامية؟! هل كانـت نـصرًا للـدينِ وسـيدِ المرسـلين ﷺ؟!

للإجابة نتناول أمورًا ثلاثة:

أولها: من هم العباقرة عند عباس العقاد؟!

ثانيها: لماذا كتب عباس العقاد العباقرة؟!

ثالثها: أكان ظلامًا؟!

أولاً: من هم العباقرة عند عباس العقاد؟!

هم: رسول الله ﷺ، والمسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وأبـو بكـر وعمـر وعلي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، ومحمد عبده، وسعد زغلول، وابن سينا، وابن رشـد، وابن عربي، والحلاج، وغانـدي الهنـدي عابـد البقـرة، وبنيـامين فـرانكلين (مؤسـس أمريكا)، و(جيتي 1749م ـ 1832م) شاعر ألمانيا، و(فرنسيس باكون) و(شكسبير) و(برنارد شو)[1] و(صن يات سن) أبو الصين أو نبي الصين كما يسميه العقاد[2].

يـجمع العقاد بيـن سيد الأولين والآخرين وخاتم المرسلين رسولِ الله محمـدٍ بـن عبد الله ﷺ، ورسولِ الله المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه وعلى أمِّه الـصلاة والـسلام ـ، والصدِّيق، والفاروق، والإمام علي، والفيلسوف، والصوفي الملحد، والسياسي العميل العربيد[3]، والمنهزم فكريًا[4]، وعابد البقرة!

كل هؤلاء يحملون أعلى الأوسمة عند العقـاد: (عبقـري) أو (عظـيم). ويـصرح بذلك في (عبقرية محمد) ﷺ؛ يقول: (العظماء في جميع الأمم وفي جميع العصور.. يدخل فيهم القديسون كما يدخل فيهم الحكماء، ويدخل فيهم العلماء كما يدخل فـيهم رجـال

(1) الأول من هؤلاء الأعاجم له كتاب مستقل، والأربع بعده في المجلد التاسع من موسوعة العقاد. ط. دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

(2) المجموعة الكاملة لعباس العقاد (21/305). دار الكتاب لبنان.

(3) أورد الأستاذ عبد الله بن محمد آل داود في كتابه (هل يكذب التاريخ؟) شهادات موثقة بإباحـة سعد زغلول للزنا وغيره من المنكرات. فليرجع إلى الكتـاب مـن شـاء اليقـين أو مـن شـاء أن يستزيد.

(4) أعني به محمد عبده، انظر للكاتب: (محمد عبده نموذجًا.. من زرعه ومن حصده؟) بالـصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام.

الفنون والمخترعون، ويدخل فيهم القادة العسكريون والسياسيون...)[1].

أسأل: ما القاسم المشترك بين هؤلاء جميعًا؟! بأيهم العقاد معجب؟! بالشخصية القوية؟! أم بالشخصية المنهزمة التي تدعو للانهزامية والذل كغاندي الهندي عابد البقرة؟! بالكافرين والضالين معجب أم بالمؤمنين الصالحين؟!!

الحقيقة أن كل ذلك أوصاف لا تؤثر عند العقاد في الإعجاب، فلا هو مأخوذ بالأنبياء المرسلين، ولا بالمؤمنين الموحدين، ولا هو مأخوذ بالكافرين الضالين، ولا بالفلاسفة الملحدين، مأخوذٌ فقط بكل مَن يصنع (مجدًا)، بكلِ من يُؤَثِّر في حياة الناس ويكتب عنه التاريخ، سواء أكان مؤمنًا أم كان فاسقًا!! فالفسق والإيمان ليس وصفًا مؤثرًا عند العقاد، بل إن الكفر والإيمان مضطربان في حس العقاد، وقد قدَّمت بيان ذلك في فصل (التوحيد والأنبياء عند العقاد).

وأنقل شهادة (رجاء النقاش) من كتابه (أدباء ومواقف)، وهي توافق ما أذهب إليه؛ يقول رجاء النقاش متحدثًا عن العقاد: (إنه يؤمن بالإنسان العبقري، ويؤمن بأن الحضارة من صنع العباقرة أولاً وأخيرًا، فهم الذين يصنعون التاريخ)[2].

ويقول في ص15: (ولو استخدمنا أسلوب العقاد في عبقرياته فإننا نستطيع أن نقول: إن حبه للعبقرية صفة تصلح مفتاحًا لشخصيته، فهو يطرب للعبقرية كما يطرب النحل بين الزهور، وكما تطرب العصافير في الربيع، وحتى في مواقفه السياسية كان حبه للعبقرية دافعًا أساسيًّا من دوافع العمل والتصرف في حياته، فقد كان مرتبطًا بسعد

(1) ص127، والعبقرية هي العظمة عنده. انظر: (عبقرية عمر) ص327.

(2) أدباء ومواقف ص 11 طبعة النهضة المصرية.

زغلول أكثر من ارتباطه بالوفد).

ويقول في ص14: (والعقاد معجب ـ كما قلت ـ بالإنسان الفرد والعبقرية الفردية، ولذا فهو لم يكتب عن عصر من العصور أو عن شعب من الشعوب أو عن ثورة من الثورات، وهو إذا كتب عن عصر وشعب وثورة فهو إنما يكتب عن ذلك من خلال شخص من الأشخاص).

والشيخ غازي التوبة في كتابه (الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم)[1] يتكلم بذات الكلام، ويسنده لأحد فلاسفة الغرب الذين تأثر بهم عباس العقاد، ويستشهد على ذلك بمواقف العقاد وكتاباته.

وقد أجاب العقاد عن سبب كتابته للعبقريات فدعنا نستنطقه، دعنا نسأله لماذا كتبَ العبقريات؟!

ثانيًا: لماذا كَتَبَ العقادُ العبقريات؟!

في مقدمة (عبقرية محمد)[2] ـ صلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم ـ ذكر أن دافعه لكتابة العبقريات هو رد تطاول الناس على العظماء، تحت وطأة المساواة التي جرت بينهم اليوم.

وفي مقدمة عبقرية الصديق أفصح العقاد عن تألمه الشديد لما نال العظماء من تطاول في العصر الحديث، حتى صحَّ عنده أن العظمة في حاجة إلى ما يسمى بـ(رد

(1) الفكر الإسلامي المعاصر ـ غازي التوبة ص144.
(2) العقاد لا يصلي على النبي، يكتفي بقوله ـ عليه السلام ـ فقط. أو لا يقول شيئًا، تمامًا كحال القذافي الآن.

الاعتبار) في لغة القانون، ولم ينصرف حتى أعلن احترامه واعترافه بالجميل لكل عظيم حتى ولو كان من غير المسلمين، أو كما يقول هو: من (عظماء الأديان)[1].

وحال حديثه عن الصديقة بنت الصديق.. حبيبة الحبيب.. أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ذكر أن الغرض الأول أو الغرض الذي تنتهي إليه جميع الأغراض من تدوين سير العظماء هو (توثيق الصلة بين الإنسانية وبين عظمائها وعظيماتها، والنفاذ إلى الجانب الإنساني من كل نفس تستحق التنويه والدراسة)[2].

وحال حديثه عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أكد أن الذي يعنيه من عرض العبقريات هو (التعريف بالنفس الإنسانية في حالة من أحوال العظمة والعبقرية)[3].

وحال حديثه عن (بنيامين فرانكلين) بثَّ شكواه من تطاول الكثرة وظهور التخصص على العظماء، وأعلن أنه إذْ يؤرخ لبنيامين فرانكلين فهو ينقذ العظمة من هجمة الكثرة وظهور التخصصية بإبراز حياة هذا العبقري[4]، وهو كاذب؛ فلم يؤرخ لبنيامين فرانكلين وإنما علَّق على مذكراته.

نعم.. لا يشك عاقل في أن عبقريات العقاد لم تكتب أبدًا انتصارًا للإسلام، بل كتبت لغرضٍ آخر هو الدفاع عن (الفردية).. (العظماء).. (رد هجمة التخصصية)..

---

(1) انظر: مقدمة عبقرية الصديق.

(2) الصديقة بنت الصديق ص23.

(3) عثمان ذو النورين ص 17، وعثمان ليس بعبقري عند العقاد.

(4) بنيامين فرانكلين ص14، 15.

إلى آخر ما يقول هو[1]، وهذا ما يفهمه المسوقون لبضاعة العقاد الفكرية، فمقدم رسالة (الصهيونية العالمية) يقول عن العقاد: (ومن يقرأ كتبه ـ ولا سيما عبقرياته وحملاته ضد الحكم المطلق والمبادئ الهدامة ـ يعرف أنه يدين بالقيم العليا، ويقيس عظمة الرجال والأعمال بالمقاييس الأخلاقية)[2].

يُقدَّمُ عباسُ العقاد للناس أديبًا، والحقيقة أن عباسَ العقاد ـ شخصًا ونتاجًا ـ لم يكن أديبًا إلا قليلاً، فجل ما تركه لنا أطروحات فكرية وليست أدبية.. بل لا أكون مبالغًا إذا قلتُ: إن عباس العقاد أعاد صياغة الشريعة الإسلامية من جديد، حاول إخراج الإسلام في ثوبٍ جديد! لا أنه حاول الانتصار للإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ وكان عليه صحابته والتابعون لهم.

ما عباس العقاد إلا قراءة جديدة للشريعة الإسلامية، لا أراه غير ذلك، ومن قدَّمه لنا يعرفون ذلك بل ويقصدونه، يقول صاحب دار الكتاب بدولة لبنان في تقديمه للمجلد الخامس والأخير من موسوعة العقاد الإسلامية: (يتألف هذا القسم من نتاج العقاد، والذي دعوناه بـ(موسوعة العقاد الإسلامية) من خمسة مجلدات: هي: العبقريات و(شخصيات إسلامية) و(توحيد وأنبياء) و(القرآن والإنسان) و(بحوث إسلامية)، ويشتمل على خمسة وعشرين كتابًا مختلفة، تؤلف الذخيرة اللازمة للاطلاع على حقيقة الدين الإسلامي وجوهره)[3].

---

(1) رجاء النقاش وغيره يقولون بأن العقاد كتب للسوق، وهذا هدف، والشواهد عليه قائمة، ورد المحجوب عليه هزيل ضعيف، وسآتي عليه وأناقشه في سياق آخر إن شاء الله.

(2) المقدم هو محمد خليفة التونسي. الصهيونية العالمية ص8. ط. دار المعارف.

(3) المجلد الخامس ص11.

هذا ما يدور في رأس من قدّمه لنا.. يُخرجه لنا لنطلع من خلاله على (حقيقة الدين الإسلامي وجوهره).. يهدف إلى (بعث التراث العربي، وتوجيه الأفكار إليه، وحمل الجماهير العربية على الإعجاب به والاطمئنان إليه)[1]. كما يقول هو بلسانه.

وزد على ذلك أنه إلى يومنا هذا تعقد الندوات والمؤتمرات من أجل تعريف الناس بأفكار عباس العقاد[2]، فالأمر جدٌّ خطير، والتصدي لعباس العقاد لابد منه، والتحدث عن عباس العقاد أديبًا لابد أن يتوقف، ومن يروّجون لكتبه على أنها نصوص نثرية ذات قيمة أدبية لابد أن يراجعوا أنفسهم من جديد.

المقصود هو بيان أن عباس العقاد كتب العبقريات لشيءٍ آخر.. كتب من أجل (العظمة).. من أجل (الإنسانية)، يؤرخ للفردية كما يقول هو، كتب عن الشاذين عقديًّا، وكتب عن الكافرين: (غاندي وبنيامين فرانكلين مثلاً)، كما كتب عن المرسلين والصِّديقين، فلا داعي أن نحمله على أكتافنا ونقول: يدافع عن إسلامنا، فلا هو ابن أخينا ولا ابن اختنا!!

ثالثًا: هل كان ظلامًا؟!

أحد المدافعين عن العقاد يقول: لم يكن هناك علم بالدين.. كان ظلامًا!!

وكأنَّ العقاد جاء على فترة من الرسل، في أمة أمية لم تقرأ ولم تكتب ولم تسمع عن

(1) مقدمة المجلد الخامس من (موسوعة العقاد الإسلامية) ـ دار الكتاب بلبنان ص13.

(2) في 2004 عقد المركز القومي للثقافة ندوة خاصة بعباس العقاد شارك فيها عدد من المثقفين، وكان لإحياء ذكرى وفاته، وتعريف الناس بأفكاره وأحواله، وتكرر الأمر في عام 2007م؛ حاولوا إحياء ذكر ميلاد العقاد بندوة في مكتبة القاهرة تقدم للناس أفكاره.

الأولين أو المعاصرين!!

وهو قولُ من لا يعرف، بل قولُ من لا يريد أن يعرف[1]، هو قول من يدفع الحقائق لا تكذيبًا لها ولا لمن جاء بها وإنما مخافة ما تنطوي عليه!!

عايَشَ عباس العقاد الصحوة الإسلامية في أوجها، وكانت الأكثر دويًّا في تاريخنا المعاصر؛ كانت تناظر، وكانت تجاهد، وكانت منتشرة في كل مكان، وكانت موصولة بالجماهير تهتف بها فترد عليها من كل مكان.. الهند والعراق واليمن والحجاز والشام والمغرب ومصر والسودان[2].

عاصر عباسُ العقاد مَن لا زالوا بيننا أحياءً ـ بذكرهم إلى اليوم ـ.. الأستاذ حسن البنا (مؤسس جماعة الإخوان المسلمين)، وعز الدين القسَّام، ومحمد شاكر، ومحمود شاكر، ومحمد عبد الله دراز[3]، ومحمد رشيد رضا، وعبد الكريم خطابي (المغرب

(1) والصورة المظلمة القاتمة عن فترة ما قبل الثورة في مصر سببها الإعلام، والحقيقة أن واقعنا الآن أسوأ في كل شيء من أيام ما قبل الثورة، اللهم ما جدَّ في وسائل المواصلات والاتصالات. وكأن ظلام الطرق كان في العقول!!

(2) مصر قديمًا هي مصر والسودان حاليًا عدا غرب السودان (يتبع منطقة الولايات تاريخيًّا)، وجنوبها (يتبع الحبشة)، والسودان قديمًا هي إفريقيا الآن عدا مصر والمغرب العربي، وكانت تسمى سودان لسواد بشرة سكانها، وإفريقيا هي المغرب الأدنى (ليبيا وتونس)، والمغرب الأوسط الجزائر اليوم، والمغرب الأقصى قديمًا هو المغرب وموريتانيا، والإنجليز هم من غيروا الأسماء.

(3) صاحب كتاب (النبأ العظيم)، وهو مصري توفي في باكستان في مؤتمر حضره هناك، وكان ممن ابتعث للغرب.

العربي)، وعبد الحميد بن باديس (الجزائر). وعاصر عباس العقاد ما حدث للتوجه الإسلامي على يد الأثيم الخاسر عبد الناصر، وكانت رحاها تدور على سيد قطب وهو صديق العقاد لأربعة عقود وكانا صفًّا واحدًا في حزب الوفد في العقد الثالث من القرن العشرين. وعاصر أحداثًا أضخم وأكبر مما نحن فيه.. سقوط الخلافة الإسلامية، وتسلل إخوان القردة والخنازير إلى بيت المقدس وفلسطين.

كانت الحركة الفكرية إسلامية كلها، أو بالأحرى ذات مواضيع إسلامية كلها ـ تؤيد أو تعارض ـ وكانت الصحوة كبيرة برموزها وجماهيرها، وعريضة بمساحة انتشارها، ولم يكن عباس العقاد إلى يوم مماته ضمن المنظومة التي تدافع عن الإسلام أيًّا كان توجهها، لم يكن ما أفرزه عباس العقاد من بنات أفكارها، بل كان من المتحرشين برجالها!!

إذ كان مجافيًا للتوجهات السلفية المعنية بالسنة النبوية، وينظر بعين الازدراء إلى الدعوة السلفية في نجد (بالسعودية)[1]، واتهم (الإخوان المسلمين) بالعمالة للعدو الصهيوني وأسماهم (خدام الصهيونية)، وزعم أن الأستاذ حسن البنا من يهود ويعمل لصالح يهود، وكان هذا في فترة الخمسينيات وقد امتحنوا بأشد بلاء سمع به في التاريخ[2]، وقبل ذلك أسماهم (خُوَّان المسلمين) حين قتلوا النقراشي (باشا).

وأعرف أن الأستاذ حسن البنا ـ رحمه الله ـ كان من بيت طيب يُعنى بالعلم الشرعي، وكان سعيه في خدمة الدين ـ والله حسيبه ـ وهو عندي خير من ملء الأرض

(1) عقد فصلاً في كتاب: (الإسلام في القرن العشرين)، تكلم فيه عما أسماه (الدعوة الوهابية).
(2) انظر: (الصهيونية وقضية فلسطين) ص 256، ط. المكتبة العصرية.

من أمثال عباس العقاد، ولكني فقط أبيّن كيف كان العقاد مع مـن ينتـصرون للـدين، أبيّن أن العقاد كان عدوًّا للصحوة، كما أنه كان بعيدًا تمامًا عن طرحها وأفكارها وعـن رجالها.

وعباس العقاد كان يقرأ في أمهات الكتب يعرف البخاري ومسلم، ويعرف شيخ الإسلام ابن تيمية وينقل عنه ويسميه (الإمام الثبت)[1]، ويعرف ابن القيم[2]، ويعرف القرافي[3]، ويعرف ابن الجوزي[4]، ويعرف أئمة السلف وكثيرًا مـن مـشاهير الخلـف، ويرجح بين الروايات كما في وفاة أم رومان زوجة أبي بكر رضي الله عـنهما[5]، ويعـرف أننا ننقد المتن وننقد السند[6]، ولك أن تراجع ما قاله حـول قـصة وأد عمـر لابنتـه في الجاهلية[7] يتكلم عن السند والمتن، يرد المتن بعقله، ويشكك في الـسند دون أن يـذكر عنه شيئًا، فقط بالتخمين والظن، وما يعنيني أنه يعرف أن ثَمَّ متنًا وسندًا.. يعرفه جيدًا.

(1) انظر: (التفكير فريضة شرعية) ص865 وما بعدها، فقد أطال الكلام عن وحول شيخ الإسلام ابن تيمية.

(2) في كتابه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) ص134 ذكر (إعلام الموقعين) لابن القـيم، وفي صفحة 248 من الكتاب نفسه شرح منهج ابن القيم في تعاطي المسائل الفقهية شرْح مَـن قـرأ وعلم. وفي كتاب (التفكير فريضة إسلامية) ص928 ذكر ابن القيم وكتابه إعلام الموقعين ثانية ينقل عنه.

(3) التفكير فريضة إسلامية ص927.

(4) التفكير فريضة إسلامية ص935.

(5) الصديقة بنت الصديق ص32.

(6) فاطمة الزهراء ص55.

(7) عبقرية عمر ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ دار الكتاب ص511.

والشيخ الدكتور صالح سعد اللحيدان[1] في نقده للعبقريات يعتذر للعقاد بشيء قريبٍ من هذا.. أنه يجهل المصادر الصحيحة، أو يجهل التفرقة بين الصحيح وغيره، وهذا غير صحيح؛ كان عالمًا بها مطلعًا على كثير منها، يدري أن ثمَّ صحيحًا مقبولًا وضعيفًا مردودًا.

المبحث الثاني: عبقريات العقاد ركوب للكذب واستخفاف بالعقول:

توطئة لابد منها:

مَعْلَمٌ ثابت يأتي إليه عباس العقاد حال التحدث عن أي (عبقري) من (العباقرة)، أمُّ هذا العبقري وأبوه وأخته وأخوه.. أصل (العبقري) وبيئته التي نشأ فيها، ويربط كلَّ الكرائم التي تظهر على هذا (العبقري) بأصله وبيئتِهِ، ولا يجعل شيئًا من ذلك لعقيدته.

وفي كل مرَّةٍ يقبض العقاد بيديه ويضغط بقدميه ويَعضُّ بفكيه على نصٍ أو نصين، وربما لا تدري من أين يأتي بهما، فهو لا يبالي بمصدر التلقي؛ كله عنده صحيحٌ إن وافق هواه، يسير بين المصادر يفتش فيها حتى يجد ما يوافق هواه فينقله، كان البخاري أم كان الأصفهاني!!

وما درى العقَّاد أن الخبر بالمُخْبِرِ أو بشواهدٍ في ذات الخبر تشهد على صدقه، فنحن نفتش في النص (المتن) ونفتش فيمن نقل إلينا النص (السند)، ولا بد من صحّة الاثنين معًا، فلا نقبل من الكذوب ولا نقبل ممن لا يَضْبِطُ ولا ممن خدشت عدالته، ولا نقبل نصًّا يتعارض مع الصريح الصحيح. وما نفعله ـ نقد المتن والسند.. النص ومَنْ نقل

(1) غير الشيخ صالح اللحيدان الشهير.

إلينا النص ـ مُسَلَّمَةٌ عقلية لمن أراد الصدق فيما يقول ويفعل[1].

والعقاد لا يعرف هذا، عباس العقاد لا يبالي بالخبر أو بمن جاء بالخبر، المهم أن يتفق وهواه.

بل إن أمر العقاد أشد من هذا، فالرجل عنده ثوابت قدَّم من أجلها سيرة رسول الله ﷺ ونفرًا من صحابته الكرام.

عند العقاد قوالب فكرية جاهزة، يحاول أن يخرج سيرة هؤلاء الكرام في قوالبه المعدة سلفًا.

الرجلُ يعتقد ثم يستدل، يثبت الأفكار ثم يتجول بين الكتب حتى يعثر على نصٍّ يستدل به على ما استقر عنده ابتداءً[2]، وإن لم يجد وقف أمام النص يحتال عليه أو يضغط عليه حتى يخرج منه ـ رغمًا عنه ـ بما يريد؛ فمرةً يبتر النص من سياقه القولي أو العملي، ومرةً يعتمد الضعيف والشاذ وما لا يصح، ومرةً يقدم تفسيراته الكاذبة الخاطئة يحرف بها الكلم عن مواضعه ويضلل بها مَنْ يقرأ.

فالخطأ عند العقاد ليس فقط في مصادر الاستدلال كما يذهب الدكتور صالح اللحيدان في نقده للعبقريات، وإنما **في المصادر وفي طريقة الاستدلال**. وبالتالي هو خطأ

---

(1) قلت: وعباس يعرف هذا ويتكئ عليه وهو يبرر ما حدث بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ ويصرح بأنه لا بد من صحة السند، ولكنه لا يلتزم به كما سيأتي إن شاء الله تعالى. انظر: عبقرية عمر ص480.

(2) وهي طريقة أهل الباطل عمومًا، تكلم عنها الشاطبي في موافقاته، وابن عثيمين في شرح نظم الورقات. وللمزيد انظر للكاتب: (ثم يستدلون) بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد.
http://saaid.net/Doat/alkassas/70.htm

متعمد.

فحينًا تجد الخطأ عنده أنه اعتمد على نصٍّ ضعيف أو غير صحيح، وحينًا تجده يمسك بنص صحيح ولكنه يغير المعنى بطريقته في الاستدلال، وكثيرًا ما يجمع بين الأمرين.. نص غير صحيح ومعالجة غير صحيحة. أو يتكلم من تلقاء نفسه بلا دليل صحيح أو غير صحيح!!

وتسمع من العقاد بعض الجمل التي يضحك بها على من يسمع ويستغل جهالته؛ مثلاً يقول: عن ابن عباس، ثم وكي يقتنع من يقرأ بما ينقله العقاد يعقب قائلاً: وكان حاضرًا، وكأن ابن عباس حدَّث العقاد بنفسه عن شيء رآه!!

المشكلة ليست في الصحابي أبدًا، ولكن فيمن يروي عن الصحابي من التابعين أو مَن بعدهم.

وتسمع منه: (وأيده على ذلك بعض المجتهدين)، ولا تدري من هم المجتهدون هؤلاء، ولا أين يجتهدون، ولا فيم يجتهدون؟!!

وهذا كله نوع من المحاصرة للقارئ وفرض الرأي عليه.

وتجد في هذا المبحث بيانٌ لمذهب العقاد في التعامل مع النصوص، وتجد في هذا المبحث تكملة لما مضى الحديث عنه من إنكار العقاد أثر العقيدة في حياة الناس.

والآن مع الأمثلة، **أبين في كل مثال أمرين**: كيف يتعامل مع النصوص، وكيف أنه لا يرى أثرًا للعقيدة في حياة الناس. أدعم ما سبق من الجزء الأول، وهو (عبقريات العقاد.. إنكار للوحي).

بينت في الجزء الأول (عبقريات العقاد.. إنكار للوحي) أن عباس العقاد نسب الصفات الكريمة التي كانت في النبي ﷺ إلى شخصه أو أصله!! والآن أبيّن عددًا من الشخصيات الإسلامية التي تناولها بعد النبي ﷺ.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

ما علمنا عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ من صفات حميدة هي عند العقاد من عند أبي بكرٍ الصديق.. من نفسه يقول: (أدب الطبع الذي يهتدي من نفسه)، (يدري بوحي نفسه)[1]!!

فأبو بكر ـ عند العقاد ـ أُعْجِب ببطولة النبي ﷺ، ولذا آمن به[2]، وأبو بكر ـ عند العقاد ـ سيَّر جيش أسامة بعد وفاة الحبيب ﷺ، وقاتل المرتدين، وكان على هدي النبي ﷺ في كل شيء؛ لأنه مُعجب ببطولة النبي ﷺ، أو ـ كما يقول العقاد ـ **لأنها أوامر بطله العزيز عليه**[3]!!

لا يرى عباس أثرًا للعقيدة في حياة الصِّديق ـ رضي الله عنه ـ، ويتكلم من عند نفسه، يضرب بالأدلة عرض الحائط، ويقدم وجهة نظره التي لا دليل عليها، ولا يناقش العقاد أدلة المخالفين ولا يهتم.

أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عاش قريبًا من أربعين عامًا قبل البعثة نسيًا منسيًّا، ولولا الله ما اهتدى ولا صام ولا صلى، ولمات كما ماتت ألوف من قومه لا

---

(1) السابق ص228.

(2) انظر: الأعمال الكاملة (1/ 230، 231، 239، 344).

(3) السابق ص287.

يسمع بهم أحد؛ والله يقول:] P Q R S U V W X Y Z
[\ Z [النور: ٤٦]، والله يقول:] 3 4 5 6 7 8 9 : ; <
= > ? @ A B D E F Z [النور: ٢١]، والله يقول:] . / 0 1
2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @
A B C D E F G H J K L M N O P Q R S
U V W X Y Z [الجمعة: ٢ - ٤]، فكله من فضل الله علينا ابتداءً وسيرًا وختامًا، وفي الحديث: «**وَاللهِ لَوْلا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا**»[1].

السيدة عائشة رضي الله عنها:

قدَّم للحديث عن السيدة عائشة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما ـ بحديثٍ طويلٍ يتكلم فيه عن حال المرأة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وخاصة النساء اللاتي في بيوت سادة العرب، يقول: كانت تستشار، واستشهد بحالتين تستشار كل منهما فقط في أمر زواجها، ينقل عن كتب الأدب، وعِلْمي أن ليس في كتب الأدب غير هاتين الحالتين[2]. ثم ينثني بعد ذلك على بيت أبي بكر الصديق في الجاهلية فيقول: بيتُ سيادةٍ متحضر، رجاله رقاق القلوب يهيمون بنسائهم، ونساؤهم حسناوات منعمات أو كما يقول هو واصفًا بيتَ أبي بكر ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ (ظرف الرجال وتدليل النساء)، ويستدل بعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر كان حازمًا لا مربًّا

(1) البخاري برقم 3795.

(2) يسميهم جواد علي، صاحب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) الإخباريين، ولا يأخذ كلامهم كله، بل يقبل منه ويرفض، وقبوله ورفضه بهواه كالعقاد.

بعرسه ـ كما يصوره العقاد ـ طلَّق زوجته وحملها إلى أهلها حين رأى من نفسه شدةَ ميلٍ لها، والعقاد يعرف ذلك[1].

ثم يبني على ذلك فيقول بأن هذه النشأة ـ في بيوت السيادة والشرف ـ جعلت لها شخصية قابلة للمشورة وللمشاركة في الأمور العامة، ويصورها بأنها كانت (سيدة المجتمع الأولى)، فقد كانت للنبي ﷺ (سفيرته الأولى لعالم النساء في عصره وفيما يليه من العصور، فكانت تحضره إذا بايع النساء أو صلى بهن أو جلسن إليه يسألنه في أمور الدين)[2].

وهذا الكلام غير صحيح، ما بنى عليه العقّاد غير صحيح، وبالتالي ما استنبطه غير صحيح، خطأ في الدلالة وخطأ في الاستدلال.

أبو بكر الصديق من بني تَيْمِ بن مُرَّةٍ، وبنو تيم بن مرة هم أضعف قريش نسبًا وأقلهم حسبًا، فكانوا بين قريش في الجاهلية لا يفاخرون بغير ابن جدعان، وهو صعلوكٌ مطرود عثر على كنز فراح ينفق أمواله فيما كانت العرب تفاخر به وهو إطعام الطعام ليخلد في الناس ذكره، واجتمع حوله عدد من الجياع ممن ينظمون الشعر يمدحونه إن أطعمهم ويذمونه إن أُطعموا ما هو أشهى (البر بالشهاد) عند غيره، فشاع بين الناس ذكره. وكله من فخر الجاهلية، ومشهورٌ قول أبي سفيان يوم بويع أبو بكرٍ بالخلافة: (ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها ذلة)[3]. ومشهورٌ أيضًا قول أبي

---

(1) مقدمة كتاب الصديقة بنت الصديق.

(2) ص65.

(3) انظر: المستدرك (3/83) حديث (4462)، وانظر: تاريخ الطبري (2/2237)، وحياة الصحابة (2/148)، وانظر: كنز العمال (5/657) حديث (14155).

قحافة (أبي الصديق) يوم بويع أبو بكر بالخلافة: هل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟! قالوا: نعم، فقال: لا واضع لما رفعت، ولا رافع لما وضعت[1]. فهو يشي إلى موضوعٍ رُفع، ومرفوعٍ وضع. والرجل حديث عهد بإيمان.

وحال بني تيم بن مرة في الجاهلية معروفٌ في كتب الأنساب وكتب السيرة وكتب الحديث، فكيف حاد عنها العقاد وقد مر عليها أكثر من مرة؟!

ولم يكن النبي ﷺ يستشير السيدة عائشة في شأنه كله، بل ولا استشار السيدة أم سلمة يوم الحديبية كما هو مشهورٌ بين الناس، وإنما دخل خيمته وهي ـ رضي الله عنها ـ فيها وتحدث إليها حديث المدهش المأخوذ بما رأى من الناس وقد أمرهم فتباطؤوا، فسمعت قوله وعرضت عليه رأيًا فأخذ به. فلم يكن الحال هو المشورة وإنما حديث العفو، ولم يكن الحال أن تعقد مجالس الشورى بالنساء، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، بل كانوا يأنفون من ذلك، وشاعرهم يقول مفاخرًا بنفسه:

وَلا جَبأٍ أَكهى مُرِبٍّ بِعرسِهِ ... يُطالِعُها في شَأنِهِ كَيفَ يَفعَلُ[2]

ولم يكن النبي ﷺ يفرد النساء بصلوات دون الرجال، ولا بمجلسٍ دون الرجال،

---

(1) انظر: أسد الغابة (1/650)، تاريخ الخلفاء ص73.

(2) هذا البيت من (لامية العرب) للشنفري، وهي من مشهور شعر العرب، وكانوا يحفِّظونها صغارهم. وجبأَ: جبان. وأكهى: أفعل من الكهاةِ، يدور معناها على الضخامة والعظمة، والمقصود هياب متردد تكبر الأشياء في حسه، يدعم الوصف الأول (جبأ). والمربُّ: الملازم. انظر: لسان العرب (15/234). والشنفري: هو عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. انظر: الأعلام للزركلي (5/85).

يجلسن بين يديه أو يجلس إليهن مصطحبًا السيدة عائشة أو أخرى من نسائه، لم يكن يحدث هذا.. فقط يأتين لبيته يسألن نساءه أو يسألنه في حضرة نسائه كالتي جاءت تجادل النبي ﷺ في فراق زوجها بعد أن جعل ظهر أمه كظهرها[1].

وما كان له ﷺ سفيرة أولى ولا ثانية لعالم النساء بالمعنى المعروف المتبادر للذهن من السفارة[2].

وكانت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تُحَدِّثُ بما علمت من النبي ﷺ النساءَ والرجالَ، بل وأكثر من روى عنها هو ابن أختها عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ. فلم تكن بين النساء فقط بما يشبه اليوم الجمعيات النسائية، وبما تصوره كلمات العقاد، كان مجتمعًا واحدًا متكاملًا، النساء في البيوت شريفات مصونات يقمن بما خلقهن الله له من تربية الأولاد والقيام بحق الزوج، والرجال بالخارج يضربون في الأرض دعوةً إلى الله وسعيًا على الرزق.

وما كانت تفعله السيدة عائشة ـ رضي الله عنه ـ في بيت النبي ﷺ من غيرةٍ عليه، وأشياءٍ أقرب للفكاهة منها للجد بينها وبين أمهات المؤمنين، مرجعها لصغر السن، لا لأنها ولدت في بيت من بيوت سادات العرب فصبَّ عليها الدلال والجمال وأتاها العقل ولزم من يتزوجها أن يشاورها ولا يقطع أمرًا دونها!!

(1) هي خولة (أو خويلة) بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت، والحديث في الصحيح. البخاري برقم 360.

(2) وأسماء بنت يزيد الأشهلية الأوسية الأنصارية، وافدة النساء، كانت وافدة ولم تكن سفيرة، تتحدث بما يدور بخاطرها، وحديثها ضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة برقم 6242.

لو كان مرجع الأمر لبيت أبيها الذي نشأت فيه، لكان أولى منها السيدة أم حبيبة بنتُ سيد قريش أبي سفيان بن حرب، أو الحلوة المليحة التي تأخذ بنفس من يراها[1]، الصوَّامة القوامة[2]، بنت سيدِ قومها: جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ؛ وكذا بنت سيد قومها صفية ـ رضي الله عنها ـ زوجها نبي وعمها نبي وأبوها نبي ـ عليهم الصلاة والسلام[3] ـ.

فلم يكن الأمر متعلقًا بالبيت الذي نشأت فيه السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وإلا لما كانت وحدها، وإنما بصغر السن، وقد صرحت هي بذلك كما في روايتها لوفاة النبي ﷺ[4].

ولم تكن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ تشارك في الأمور العامة للدولة، فلم تكن ـ هي وغيرها من النساء جميعًا ـ من أصحاب الشورى، وما شاركت في الأمور العامة، وخرجت يوم الجمل للصلح بين الناس كما تفعل الأم مع أبنائها، والأحداث توالت ولم يكن هناك من يعد لها ويخطط، بل ولا من يتوقعها، وبقيت بعد النبي ﷺ قرابة نصف قرن من الزمان تعبد ربها في بيتها وتحدث الناس بما سمعت ورأت في بيت

(1) هذا وصف السيدة عائشة لها. المستدرك للحاكم، حديث 6779.

(2) دخل عليها النبي ﷺ وكانت صائمة، وكانت حديثة عهد بالإسلام، وهي التي تركها النبي ﷺ بعد الغداة تذكر الله، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة تذكر الله، فعلمها وأرشدها إلى كلمات خير مما قالت هي: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**». انظر: البخاري برقم 1850، ومسلم برقم 4905.

(3) وحديث الترمذي (3827) الذي فيه: (فكيف تكونان خيرًا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟!). ضعفه الألباني؛ انظر: السلسلة الضعيفة برقم 4963.

(4) البخاري برقم 1300.

رسول الله ﷺ، وإن قصدها أحد المؤمنين بشيء شفعت له، وهي في بيتها، وهي حالات قليلة جدًّا.

وما رفعت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ النعل على عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كما يفتري العقاد، فلا هي مَن ترفع النعل على أحد، ولا هو (عثمان رضي الله عنه) من يُرفع عليه النعل مِن أحد، وإنما هو (عباس العقاد) وخليلاته مَن يَفعل ويُفعل به مثل هذا.

مثال آخر لدلالة على فساد منهج العقاد في الاستدلال، وعلى قوله بأن لا أثر للعقيدة في حياة الناس.

عثمان بن عفان:

في مكة كفر بنو أمية كلهم وآمن عثمان بن عفان، لا لأن خطاب الوحي أثر فيه فاستجاب لمن يدعوه إلى الله صاحِبه أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كما فعل الزبير بن العوام وأبي عبيدة بن الجراح وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف حين استجابوا لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وإنما لأنه نشأ في بيت عقبة بن أبي معيط ـ زوج أمه ـ!!

فنشأة عثمان ـ رضي الله عنه ـ في كنف عمِّه وزوج أمه عقبة بن أبي معيط الأموي أورثه جفاءً من ناحية الأسرة ومن ناحية بني أمية عمومًا جعله لا يسايرهم في كفرهم ولذا أسلم[1]، واشتد إقباله على الإسلام بحديث لخالته الكاهنة التي تنبأت له فاتبع محمدًا ﷺ.

---

(1) عبقرية عثمان ص53.

هكذا يقول عبّاس.. وكأنه يحكي قصة مسلسل!!

ولا تصدق عباس، فكل هذا من عنده؛ يتقمص شخصية الكاهن الذي يخلط قليلًا من الحقيقة بكثيرٍ من الكذب.

لم يكن عثمان وحده مَن أسلم من بني أمية، بل لم يكن وحده من السابقين إلى الإسلام من بني أمية، كان منهم غير عثمان بن عفان عمرو بن سعيد بن العاص، وخالد بن سعيد بن العاص، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[1] ـ، وهي من ذات البيت الذي نشأ فيه عثمان ـ رضي الله عنه وعنها ـ وقد أكثر العقادُ من الحديث عن بيت أبيها وكأنه كان يسكن فيه ولم يذكر شيئًا عن أم كلثوم بنت عقبة هذه ـ رضي الله عنها ـ.

فلم يكن بنو أمية كلهم صفًّا واحدًا ضد الإسلام، كونه خرج من بني هاشم، ولم يكن الأمر كما زعم العقاد جفاءً بين عثمان وبني أمية دفعه إلى الإسلام وترك ما عليه قومه من الكفر، بل جاءت الأخبار أن عثمان كان محببًا لبني أمية، ولذا آووه يوم الحديبية ومنعوه، بل وعرضوا عليه أن يطوف آمنًا بالبيت، وخاف عمر من توليته الخلافة حتى لا يجمع حوله بني أمية فيجتمع عليه الناس، بل وكانت قريش تحب عثمان كلها، وكانت المرأة تهدهد طفلها وتقول: أحبك والرحمن حب قريش عثمان.

ولم يكن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حبيس بيت عمه وزوج أمه (عقبة بن أبي معيط)، يركله ويؤذيه، كما هو الحال اليوم فيما تصوره المسلسلات التليفزيونية تبغض

(1) تجد أسماء من أسلم من بني عبد شمس في ذكر من هاجر للحبشة، وذكر من حضر بدرًا في سيرة ابن هشام (1/323).

الناس في الحلال، بل كان غنيًّا ثريًّا يدير التجارة إلى الشام وداخل مكة، وكان زواج الأم بعد موت الأب من العم أو غيره أمرًا عاديًّا، والعقاد يعرف ذلك في مكانٍ آخر وينكره أو يتنكر له هنا كما هي عادته[1].

المقصود هو بيان كيف أن العقاد لا يرى أثرًا للعقيدة في أفعال أبي بكر والسيدة عائشة وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم ـ.

والمقصود هو توضيح حال العقاد: بَمَ يستدل؟! وعلى ماذا يبني تحليلاته؟!

المقصود هو بيان أن تحليلات العقاد خفيفة سخيفة تُضحك من يقرأ إن وقف أمامها ينظر قليلًا في حالها.

المقصود هو بيان أن عباس العقاد قليل الأدب مع صحابة رسول الله ﷺ.

استراحة! أكسرُ بها الملل، وأؤكد فيها على ما مضى ثم أستأنف المسير!!

نصٌّ مجمل من كلام العقاد أبيِّن فيه أن العقاد لا يرى أثرًا للعقيدة في إسلام أحد من (العباقرة)، يقول في عبقرية الصديق: (وهكذا يبين لنا في إسلام أبي بكر كما بان لنا في إسلام كل رجل ذي بال من السابقين إلى الدعوة المحمدية أنها دعتهم إليها بأسبابها المعقولة؛ **فاستجابوا إليها بأسبابهم المعقولة التي توائم كلاً منهم أصدق المواءمة ولا تحوج أحدًا من المعللين والمفسرين إلى الخوارق المكذوبة، أو إلى تفسير الأمر بالوعد والوعيد ورغبة الجنة ورهبة السيف)**[2].

---

(1) تكرر في كتابه عن عثمان بن عفان (عثمان ذو النورين).

(2) موسوعة العقاد الإسلامية ص276.

وهو يكذب، وهو يسلك طريق َ الضالين، فالخطاب الشرعي في دعوة الناس ارتكز على تعريف الناس بربهم وما أعده من الثواب لمن أطاع ومن العقاب لمن عصى، وقصَّ عليهم خبر مَن قبلهم ، ماذا فعل الله بمن أطاع منهم وبمن عصى ، وقدم آياتٍ بينـات يدلل بها على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأجاب على تساؤلات من سـأل ، وارتكز الخطاب الدعوي على تعريف الناس باليوم الآخر وما فيه ، فلا تجد شـبهةً ولا سؤالاً للمخالفين ولا تشريعًا للمؤمنين المتبعين إلا مشفوعًا بذكر اليوم الآخر تـصريحًا أو تعريضًا[1] وهذا يتنافى تماما مع ما يقرره العقاد في كل مكان من أن الاستجابة جاءت لأمور عقلية أو إعجاباً بشخص الداعي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقط .

بل وكل شيء في الشريعة مربوط بالوعد والوعيد الذي يسخر منه العقاد، فـإيمان المؤمنين سببه معرفتهم بـاليوم الآخـر:] a b c d e g h i j Z [الأنعام: ٩٢]، وكفر الكـافرين سـببه جهلهـم بـاليوم الآخـر:] وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ à Z [المؤمنـون: ٧٤]،] c d e g h i j k l m n o Z [النحل: ٢٢]. وهذا صريح أعرفه في كل سور القرآن الكريم بل في كل آياته، ولا أبالغ، ويضيق المقام عن التفاصيل.

والرجل ينكر المعجزات، ويسخر منها ويتطاول عليها بتـسميته إياهـا (الخـوارق المكذوبة)، وهي ليست مكذوبة، وإنما صادقة جاءت بها الأخبار عن جميـع المرسـلين، وهي ضرورة لتصديق النبي، أي نبي، فلا يكون النبي نبيًّا حتى يأتي بمعجـزة حـسية،

---

(1) انظر للكاتب: الخطاب الدعوي المنقوص، بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام.
http://saaid.net/arabic/44.htm

كتكلم الجمادات بين يديه، وشفاء من لا يرجى شفاؤه، أو غيبية كالإخبار عن غيب، فهاتان أمارتان على أن المتكلم بها مؤيَّد من الله العليم الخبير القادر على كل شيء.

والعارفون من المختصين في الحوار مع النصارى وغيرهم يعلمون أن دعوى النبوة لا دليل عليها غير المعجزة والإخبار بالغيب[1]، ولكن العقاد ينكر الوحي وينكر الرسالة ويعطي تفسيرًا آخر للنبوة، فأنى له أن يقر بالمعجزات؟! لابد له أن يجحد كي يستر سوأته.

خالد بن الوليد رضي الله عنه:

كالبقية (العباقرة) لا يرى أثرًا للعقيدة فيهم؛ يقول عن خالد ـ رضي الله عنه ـ: (مدّخر للقيادة والرئاسة بميراث حسبه وطبعه، وملكات نفسه وجسده)[2]!!

بل هو لم يكتب عبقرية خالد إلا لبيان أنْ ليس للعقيدة أثر في شخصية خالد وإنما: (أعمال خالد تعنينا في هذا الكتاب لمقصدٍ واحد، وهو الرجوع بها إلى مصدرها من نفسه وعقله ومقومات شخصه)[3]. وفي (عبقرية خالد) يؤكد أن خالدًا إنما انتصر بما له من صفات شخصية؛ يقول في نهاية بحثه عن خالد وهو يلملم أفكاره ومفاهيمه التي

---

(1) انظر للكاتب: فصل (مقاييس النبوة) من كتاب الكذاب اللئيم زكريا بطرس الجزء الأول.
http://saaid.net/book/open.php?cat=88&book=4911

(2) عبقرية خالد ص34. نشرتُ من قبل طرحًا مستقلاً عن أثر العقيدة في خالد بن الوليد بيانًا للحق وكشفًا لزيف العقاد. موجود بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام تحت عنوان (أثر العقيدة في بناء الشخصية. خالد بن الوليد نموذجًا):
http://saaid.net/Doat/alkassas/81.htm

(3) عبقرية خالد ص126.

يريد أن يقدمها للقارئ من هذا البحث يقول: (وإجمال القول في توفيق خالد بن الوليد أنه لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال: وهي الشجاعة والنشاط والجلد واليقظة وحضور البديهة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير.. كان يضع الخطة في موضعها ساعة الحاجة إليها)[1]. لا مجال للعقيدة أبدًا.

وأقول: لولا الدعوة لبقى هؤلاء جميعًا في الوديان حول الآبار يرعون الإبل والأغنام وما سمعنا بهم ، وما تجرأ أحدهم على الخروج من بين إبله وأغنامه إلا لتجارة أو سياحة. المؤثر الحقيقي هو العقيدة وليس الأفراد، وإن شاء الله تعالى أتعرض لأصرح نموذجٍ يقدمه العقاد دليلاً على فكرته، وهو خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ لأبيّن أن قراءته معكوسة لا تصلح، وأن الرجل يمتطي الكذب ويستخف بالعقول.. فقط أسأل: **كيف وصل العقاد إلى هذا الكلام الذي يقوله عن خالد؟! ماذا تقول تحليلات العقاد؟!**

وصل إلى هذه النتيجة ـ الموجودة أصلًا قبل البحث ـ بالتلفيق واللف والدوران حول الدليل والتحايل عليه كما هي عادته. وها أنا ذا أبين لك حتى لا تخدع ثانية بالعقاد.

يريد أن يسند جَلَدَ خالد ـ رضي الله عنه ـ وقوته في الحرب إلى بيئته وليس إلى عقيدته، فيقول: (وموضع الترجيح والاستنتاج هنا إنما هو في إرسال خالد إلى البادية قصدًا لرياضة النفس والجسد على خشونة الأعراب وشدائد الميادين.. فهذا، وإن جرت به عادة بعض الأشراف في حواضر الحجاز، لم يقطع به قول من الأقوال في سيرة

---

(1) عبقرية خالد ص163.

الوليد بن المغيرة وبنيه (الشهود) على احتمال الشهادة للمعنى الذي قدمناه. ولكن الأمر الموثوق به كل الثقة، والذي لا موضع فيه لترجيح ولا استنتاج، أن خالدًا قد نشأ حيث نشأ في الحاضرة أو البادية مستعدًا للخشونة مستطيعًا لمعيشة الأعراب، مستجيب السليقة والبيئة لما يتكلفه المجاهد في أوعر القفار وأعنف الحروب).

ماذا يفعل؟!

يريد أن يثبت أن خالدًا ـ رضي الله عنه ـ اكتسب القوة والجلد من البدو في الصحراء، ولم يجد دليلاً على ذلك، بل وجد عددًا من الأدلة وقوفًا يقطعون عليه الطريق ويأمرونه بالرجوع؛ منها أن القرآن الكريم صريحٌ بأن أولاد الوليد بن المغيرة ـ ومنهم خالد ـ كانوا شهودًا حول أبيهم؛ بمعنى أنهم لم يتركوه:] وَبَنِينَ شُهُودًا Z [المدثر: ١٣]. ومنها أن خالدًا ـ رضي الله عنه ـ لم يكن بدويًّا، وإنما من حواضر الجزيرة.. من أم القرى (مكة المكرمة)، ولم تأتِ الأخبار بأنه عاشر البدو.. لا يوجد في الكتب خبر يفيد أن خالدًا بادَ في الأعراب.

ماذا فعل العقاد أمام هذه الأدلة التي تقطع عليه الطريق وتأمره بالرجوع؟!

كعادته راح يحتال ويكذب.. راح عباس العقاد يحور ويدور حول النص الصريح والحقائق الثابتة في التاريخ كي يثبت أن خالدًا كان قويًّا بنشأته وفطرته، وأنه كان على علم تام بالصحراء والعرب، ولذا استطاع أن يهزمهم في حروب الردة وما بعدها. ويتكلَّم من تلقاء نفسه، يكذب، أو قل: يخدع القارئ البسيط، يقول: (**فلعله سافر** كثيرًا في الجزيرة قبل الإسلام، **ولعله عرف في تلك الأسفار** دروبها العصية التي كان يطرقها من العراق إلى الحجاز ومن الحجاز إلى اليمن، ومن نجد إلى الشام).

ولنا أن نسأل: إذا كان السر في نشأة البادية، فكيف هـزم خالـد مـن نـشأ عنـدهم وتحلى بصفاتهم وهم أوفر عددًا وعدة؟!

إننا لو قلنا بقول العقاد: إن السر في النشأة في البادية لكان أولى بالنصر أهل البادية.

وخالد واحدٌ من قريش لم يكن يتجول في الصحراء، بل كانوا يسيرون في الدروب المشهورة ولا يقتحمون الصحراء، وكانت رحلاتهم شـمالاً وجنوبًـا ولـيس تجـوالاً في دروب الصحراء، ولم يعرف خالد بتجارة، والعقاد يقر بذلك بعد هذا الكـلام بقليـل، وخالد كان يسير بدليل لا بغير دليل في الصحراء كما في قصة عبورة من العراق للأردن وهي شهيرة !!

إنه العقَّاد، يكذب ويحتال ويلف الكذب في ثوب البيان.. إنه العقـاد يتخـبط ذات اليمين وذات الشمال، وليس عنده سوى: إنكار أثر العقيدة في حياة خالد بـن الوليـد ـ رضي الله عنه ـ، سوى القول بأن الإسلام لم يضف شيئًا لخالد، سوى القول: إن السبب هو النشأة والصفات الموروثة وليس العقيدة!!

فقط ألفت النظر إلى أن العقاد يملك مسلمات قبل البحث، ويحاول أن يصل إليها عنوةً رغمًا عن الدليل، وإن لم يطاوعه الدليل تخطاه وركب الكذب مستخفًّا بعقول من يقرأ.

ألفت النظر إلى أن العقاد وقد (نفخوه) حتى جعلوه (عملاقًا)، فحقيقته أنـه قـزم صغير ليس عنده سوى الكذب وخداع القراء.

وهذا دليل آخر يؤكد كلامي، يقول ـ وهو يتكلم عن خالد بن الوليد ـ بـأن بنـي

مخزوم (باؤوا بأسباب المحافظة على القديم جميعًا حين تصدى الإسلام لتبديل ذلك القديم، فهم أول من يصاب بهذه الدعوة الجديدة وآخر من يلبيها وله مندوحة عنها، ومن ثم **كانت المصاولة بين الإسلام والجاهلية في وجه من وجوهها مصاولة بين محمد عليه السلام وبين خالد بن الوليد الذي انتهى إليه شرف الرئاسة المخزومية في ذلك الأوان)**[1].

هذا الكلام في صفحة 22، وبعده بقليل وهو يحسب عُمْر خالد بن الوليد يقول قولًا آخر، يقول بأن خالدًا كان غلامًا صغيرًا والرسول ﷺ في مكة.

وفي كل الأحوال العقاد يتعدى على الحقيقة بكثيرٍ من قلة الحياء، فخالد لم يكن يومًا رأس بني مخزوم، ولا رأس بني أبيه، فضلًا عن أن يكون رأس المشركين كلهم ويكون هو رأس الجاهلية في مواجهة سيد البشرية ﷺ[2].

لاحِظ شيئًا، آلية التفكير عند عباس واحدة، وتنبني على أن من آمن، آمن لغرض ما غير العقيدة، إما إعجابًا بالنبي، وإما نكاية في أهله.

وفي كل مرة يفسر كل الخلافات استنادًا للقرابة القبلية؛ فهذا مجافٍ لأهله ولذا خالفهم حين كفروا فآمن، وهؤلاء منافسون لبني هاشم ولذا لم يؤمنوا، وعائشة تريد طلحة لأنه من بني عمومتها، وأهل الشورى انقسموا على القرابة بين علي وعثمان.

---

(1) عبقرية خالد ص21، مع أنه ذكر في ص27 أي بعد ذلك بقليل أن خالدًا كان (غلامًا) في قريش.. صغير السن!!

(2) استنبط هذا مما ورد في قصة حبس الوليد بن الوليد في مكة عن الهجرة، والحديث عند البخاري ص762. وكتب التراجم صرحت بأن الوليد بن الوليد أكبر من خالد، وأسلم بعد بدر.

حين يتكلم عن أحدٍ من بني أمية يصور لك جبهة الكفر وكأنَّ بني أمية هم الكفر ومن يحمل الناس على الكفر، والآن يتكلم عن خالد بن الوليد فيصور لك جبهة الكافرين وكأن ليس فيها إلا بني مخزوم كفروا وحملوا الناس على الكفر. والتضارب شيمة المزورين الكذابين الأفاكين.

قريش كلها، وسادة قريش كلهم كانوا في صف الكافرين، سادة بني مخزوم، وبني هاشم (أبي لهب عم النبي ﷺ) وبني أمية (عتبة بن ربيعة ثم أبي سفيان) وغيرهم من سادة قريش، وهذا حال الملأ في كل زمان ومكان:] W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z [سبأ: ٣٤]، وهم الملأ، وهي علة في مكذبين الضالين وليس خللًا في دعوة ولا شخص المرسلين[1].

ولم تكن زعامة قريش يومًا في يد خالد بن الوليد كي يكون طرفًا في الصراع مع الرسول ﷺ كما يفتري العقاد.

ولم يكن بنو مخزوم كلهم صفًّا واحدًا في وجه النبي، بل في أحد بيوتهم بدأت الدعوة الإسلامية، وهو بيت الأرقم بن أبي الأرقم، بل وكان من إخوان خالد بن الوليد وأبناء عمومته من أسلم سابقًا غيره إلى الإسلام، أعني الوليد بن الوليد بن المغيرة (أخا خالد) وكان أكبر منه سنًّا، وسلمة بن هشام بن المغيرة (ابن عم خالد)، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة[2]، وأم سلمة ـ أم المؤمنين رضي الله عنها ـ وزوجها أبا

(1) شرحتُ هذا وفصلته في أكثر من سبعين صفحة في مقدمة عن السيرة النبوية، أسأل الله العظيم أن تخرج للناس قريبًا، وشيء منه في مقالٍ بعنوان (جدال وقتال) بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام.

(2) أسد الغابة (1/37)، و(1/470)، و(1/682)، و(1/884).

سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي. فانظر إلى العقاد كيف هو معوج؟!

الفتوحات العربية!!

كلنا نقول: (الفتوحات الإسلامية) إلا العقاد يتكلم عن (العرب) كما المستشرقين ، تقرأ له كثيرًا (وانتصر العرب)، (جيش العرب)[1]، (لكن حركة العرب حركة إنشاء ونماء).. فهي عنده عربية تكملة للجاهلية يقول: (وهناك حلقات من الحوادث تسوغ لنا أن نعتبر حرب فارس الثانية امتدادًا للواقعة الأولى بذي قار، أو استئنافًا لتلك الواقعة)[2].

والحديث عن أنها كانت عربية لا إسلامية هو أخف العجب فيما نقرأ للعقاد. **وأعجب منه تحليلات العقاد** لانتصار العرب ـ على حد قوله ـ على الفرس والروم، وهاك البيان، فأعرني عقلًا وصبرًا، فوالله حريصٌ على الاختصار حتى لا يطول المقال فيمل المقال.

عند عباس العقاد أن العامل الأساس في النصر والهزيمة هو الخبرة بالفنون العسكرية، يقول بأن العرب كانوا أخبر وأقدر من الفرس والروم ولذا انتصروا عليهم!! عنده (كتب النصر لأولى الفريقين به في ميزان الفن العسكري الذي يشمل جميع المرجحات)[3]، ويقول: (وفرة نصيب العرب يومئذٍ من أقطاب الرجال ذوي الحنكة والنظر البعيد، وإنهم قد ظهروا لأنهم كانوا على أهبة في هذا الباب حُرِمتها كلتا

(1) انظر مثلاً: ص3، ص145 من عبقرية خالد، وما بعدها، تجده مصرًّا على أنه جيش العرب.
(2) عبقرية خالد ص123.
(3) عبقرية خالد ص10.

الدولتين)[1]. وفي ذات السياق يشكك في أمر العدد، بما يشي بأن المسلمين كانوا هم الأكثر أو مماثلين!!

هل كان العرب على أهبة للقتال أكبر من الفرس والروم؟!

لم يقل بهذا أحد غير عبّاس ـ فيما أعلم ـ ، يسرح عباس بعقل القارئ، وكأنه على ناصية شارع بليلٍ في إحدى الهجر (العزب) البعيدة في مطلع القرن الماضي بين قومٍ لم يقرؤوا ولم يكتبوا ولم يخرجوا من مكانهم.

يقول: جَمَعَ العربُ بين جميع فنون القتال التي يمارسها أهل البادية والتي يمارسها أهل المدن، ويستشهد بالمناذرة والغساسنة، يقول بأن هذه القبائل جمعت بين خبرة البدو في حرب العصابات وخبرة أهل المدن في الحروب النظامية!!

والعقاد يكذب؛ فهذه القبائل كانت حربًا على الإسلام وأهله ، الحرب في (مؤتة) و(تبوك) و(اليرموك) و(فتوحات العراق) و(وفتوحات الشام).. (الفتوحات العربية) التي يتكلم عنها العقاد كانت في هذه القبائل.. فكانت خبرتهم القتالية على المسلمين وليست معهم.. كانوا يحاربون خالداً والصحابة مع الفرس والروم ، لا أنهم يحاربون مع الصحابة . فانظر كيف يقلب الحقائق!!

ويقول بأن قريشًا تعلمت علم العالمين في الحرب؛ إذ كانت تنتقل إلى العرب وينتقل العرب إليها، (فقلما غاب عنها علم عربي وصل إليه أبناء الحواضر والبوادي باجتهادهم واختبارهم، أو وصلوا إليه بالقدوة والسماع عن الأمم الأجنبية)[2]!!

---

(1) عبقرية خالد ص118، 119.

(2) عبقرية خالد ص15.

والعقاد يكذب.. أو يسرح بعقل من يقرأ كما هي عادته.. قريش كانت ترحل إلى الأسواق تحمل البضائع على البعير والحمير تبحث عن رزقها، وينتقل العرب إليهم حجاجًا محرمين، ولم يكن الغساسنة ولا المناذرة ممن يأتي إلى مكة حاجًّا أو معتمرًا كونهم نصارى، وقريش كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، وما كان لها جيش نظامي، ولا قائد عام، فضلاً عن علم بالفنون العسكرية، وهكذا كنانة وقيس وأبناء عمومتهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[1]، وإخوانهم في اللغة من أهل اليمن إلا ما دخل في حلف الفرس (اللخميين) والروم (الغساسنة) وأولئك كانوا حربًا على الإسلام وفيهم كانت الفتوحات كما قدمت.

كانت حروبهم أشبه ما تكون بحرب العصابات، وغزوة بدر دليل على ذلك؛ تدبر كيف تجمعت قريش للقتال يوم بدر ويوم أحد والأحزاب، وكيف سارت للقتال، وكيف كانت تنفق على المقاتلين، وكيف باشرت القتال؟!

وارجع إلى الوراء في التاريخ واستحضر أيامهم في الجاهلية[2]، فلن تجد فنونَ قتالٍ جاءت لقريش من خارجها أو خرجت منها، وإنما العقاد سينمائي ينسج من خياله، يركب الكذب ويستخف بعقل من يقرأ.

---

(1) أهل النسب على أن العرب عدنانية وقحطانية (مستعربة وعاربة) وبعضهم يخرج قضاعة من القحطانيين ويجعلها قسمًا مستقلاً. وقحطان اليوم هي مذحج بالأمس (فرع من قحطان الجد الكبير).

(2) انظر: (نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب)146/1عدَّ من أيامهم (حروبهم) في الجاهلية وشرحها. والكتاب موجود بالشاملة ومكتبة الوراق.

المبحث الثالث: عبقريات العقاد إنكار للوحي:

تقدم الحديث عن (الوعي الكوني)، وقلنا: إنه من تأليف عباس العقاد يخالف به المتكلمين في نشأة الأديان من الصالحين والفلاسفة الملحدين، يرى أنه هو الوسيلة التي تنشأ بها الديانة عند الإنسان، وأنه يصرح بأن أرباب (الوعي الكوني) هم العباقرة، فالعباقرة عند العقاد هم أولئك الذين يمتلكون قدرات ومهارات نفسية خارقة تجعلهم يعقلون عن الله.

يسحب هذا الوصف (العبقرية) على رسول الله ﷺ وعلى كبار الصحابة رضوان الله عليهم.. عمر وأبي بكر وعلي وخالد[1]، ويسحبه على غيرهم.

وتنطوي فكرة العبقريات عند العقّاد على إنكار الوحي، فالرسول ﷺ عند العقاد (عبقري)، يمتلك قدرات نفسية ومهارية خارقة هي التي جعلته يعقل عن الله بلا واسطة، وهذا الأمر ـ إنكار الوحي ـ صريح جدًّا فيما طرحه العقاد، وها أنا ذا أعرض عليك عددًا من الشواهد على أن عبقريات العقاد ما هي إلا إنكار للوحي، ولا تحسبني متعسفًا بذلت جهدي في البحث عن الشهود، بل بذلك جهدي في استحضار بعض الشهود لا كل الشهود.

كانوا (الشهود) جميعًا يتصايحون ليشهدوا على هذا الخبث الفكري الذي يسير بيننا على أنه من بنات أفكارنا، وبعد جهدٍ جهيد أحضرت بعضهم واعتذرت لبعضهم كي لا يطول المقام فيمل القارئ المقال!!

---

(1) أخرج العقاد عبقرية عمر قبل عبقرية الصديق.

النبي ﷺ ونابليون:

عند العقاد أن النبي ﷺ عبقري من العباقرة، ولذا تراه يقارن بينه وبين العباقرة في زمانه، فكما أن نابليون عبقري فكذا كان محمد ﷺ[1]؛ فكلاهما يفاجئ عدوه، ووكلاهما يعطي اهتمامًا للقوة المعنوية، وكلاهما يتجه للقضاء على القوة المالية، وكلاهما يهتم بالجيش ولا يُشغل باله بالمدن إلا قليلاً، وكلاهما كان يشاور أصحابه، وكلاهما كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال، وكلاهما كان يعرف قيمة الدعوة والبيان، وكلاهما حاول أن يغتال معارضيه من أصحاب الأقلام[2]. ثم يفضِّل النبيَّ ﷺ؛ إذ كانت عبقريته أقوى!!

وراح يقارن بين الرسول ﷺ وبين غيره من (عباقرة) الحروب في العصر الحديث، فهو ﷺ قد عرف سياسة الأوامر المغلقة، ويضرب مثلاً بـ(سرية عبد الله بن جحش) إلى بطن نخلة، وكتمان الخبر على من حوله من أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(1) في ص120، 121 من كتابه (عبقرية محمد)، وهو يتكلم عن تعدد الزوجات تكلم عن أنه (ضرب المثل بنابليون لأنه حضر انقلابًا في الأطوار والعادات يشبه نشأة الدين في أيام الدعوة المحمدية ويعني به الثورة الفرنسية، وحضر انحدارًا في الأخلاق يشبه الانحدار الذي أصيب به العرب في أواخر عهد الجاهلية، وأسس دولة، ونظر في سن قانون وحاول ضروبًا من الإصلاح).

(2) النبي ﷺ لم يقتل أحدًا من أرباب الأقلام، فقط قتل من سبوه بدون وجه حق، قتل من تعرضوا للنساء والحرمات، قتل مَنْ حرضوا القبائل على القتال، قتلهم فأحيا بقتلهم قومهم، ومنع الفتنة عن الناس، وهم نفر قليل جدًّا.

النبي ﷺ وغاندي الهندي عابد البقرة:

بل والنبي ﷺ (عبقري) كغاندي الهندي.. عابد البقرة!! فإن كان غاندي الهندي عابد البقرة قد استعمل المقاومة السلبية المخزية فإن النبي ﷺ كما يقول العقاد ـ استعملها يوم الحديبية!!

ولا أدري أي سلبية كانت يوم الحديبية؟!!

أي سلبية وقد خرج يريد بلد عدوه وقد وتَرَهُمْ في سادتهم وأشرافهم؟!! حتى ظن المنافقون (وهم يومها كالعقلانيين اليوم)[1] أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا؟!

أي سلبية كانت وقد بايع أصحابه تحت الشجرة على الموت؟!!

أي سلبية وهو يشرط لنفسه أن يعود إليهم بعد عام ويقيم بديارهم ثلاثة أيام، وقد عاد وأقام بدارهم ونكح من نسائهم[2]؟!!

أي سلبية وقد استغل الصلح للتفرغ لمن حوله من اليهود والأعراب[3]، بل والخروج للروم ذات القرون وقد تترست بمئات الألوف من العرب والعجم؟!

(1) انظر للكاتب: (ارتباط النفاق بالعقلانية والإصلاح) بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد.

(2) تزوج النبي ﷺ السيدة ميمونة بن الحارث العامرية في عمرة القضاء، وأقام عرسًا بمكة. سيرة ابن هشام ص272، وزاد المعاد (3/ 228).

(3) شهدت فترة ما بعد الحديبية نشاطًا عسكريًّا أكثر من غيرها؛ ففيها كان فتح خيبر وغزوة مؤتة وعدد من السرايا والبعوث في غطفان ومن حول المدينة من الأعراب.

أي سلبية وهو الذي دعا الدنيا كلها لما هو عليه، ولم يكن يعني هذا سوى إعلان الحرب على الدنيا كلها يومها، وأصحابه حين يصطفون للقتال بضع مئات؟!!

يحسب العقاد أن استجابة النبي ﷺ لشروط قريش والرجوع من أمامهم يوم الحديبية نوع من السلبية في المقاومة.. كأنه رضي بالهزيمة استجاشة لعطف الكافرين من قريش، أو مَن يسمع برجوع المسلمين من الحديبية وقد خرجوا آمّين البيت الحرام. وهذا خطأ محض.

كانت الحديبية كلها بتدبير الله عز وجل، بركت الناقة قبل أن يحدث أي شيء، وصرح الرسول ﷺ بأن حابس الفيل قد حبسها، والحديث في الصحيح: وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ، خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**»[1]. يقول شارح البخاري يروي ذلك من طريق آخر يصححه: (أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها).

وهاودهم للصلح مراعاةً لحرمات الله، وفي الحديث: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»[2].

ووافق على بنود الصلح بوحي من الله، دليل ذلك: أن أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ في جملتهم تباطؤوا عن الامتثال أملاً في التراجع أو في شيء يحدث يدخلون به

(1) البخاري برقم 2529.

(2) البخاري برقم 2529.

إلى البيت، وكأنها حالةُ تمردٍ وعصيانٍ، ولو كان الرسول ﷺ يسير بشيء من تلقاء نفسه.. لو كان يحسبها بعقله لقدَّم تلك الحجج العقلية التي بموجبها أمضَى الصلح على ما هو عليه من شروط تبدو جائرة، ولكنه لم يزد أن قال: إنه رسول الله (ﷺ) ولن يضيعه.

كان النبي ﷺ يسير بالوحي في كل شأنه، في يوم الحديبية وفي غير يوم الحديبية، فكان الوحي هاديًا، وكان الوحي مراقبًا لما يصدر من النبي ﷺ، فدِلالةٌ وإملاءٌ، أو إقرارٌ، أو تصويبٌ[1]، وفي التنزيل] 0 1 2 3 4 Z [النجم: ٤]، وفي التنزيل: [X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k l m n o p q Z [الأحقاف: 9]، وفي التنزيل:] n o p q r s t v w x y z } | { هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣ Z [الأعراف: ٢٠٣]، وفي التنزيل:] ! " # $ % ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > ? @ A B D E F G H I J K L Z [يونس: ١٥]، وفي التنزيل: [n o p q r s t u v w x y z { | ~ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي © وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ Z [الأنعام: ٥٠].

وهذا ما فهمه صاحب كتاب (النبأ العظيم) الشيخ محمد عبد الله دراز[2] من صلح

---

(1) من أفضل ما اطلعت عليه رسالة دكتوراه بعنوان (دفع الشبهات عن عصمة النبي ﷺ) للدكتور عماد الشربيني.

(2) محمد عبد الله دراز (1894م ـ 1978م) من أعلام القرن الماضي، وممن عاصروا العقاد وطه=

الحديبية.

رأى في ذلك اليوم دليلاً على أن الرسول ﷺ كان يسير بوحي من الله وليس من تلقاء نفسه[1]. والعقاد يقول: كان الحبيب ﷺ وقتها كغاندي الهندي عابد البقرة!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

والعقاد متضارب كما هي عادته، وكما هي عادة من ينكر الحقائق البينة أو يحاول إنكارها، ففي (عثمان ذو النورين) يسمي الحديبية حملة[2]، وهذا يناقض استشهاده بها في (عبقرية محمد) ﷺ على أنها نوع من المقاومة السلبية.

من تلقاء نفسه!!

العقادُ لا يعرف ملك الوحي الروح الأمين جبريلَ ـ عليه السلام ـ ولا يعرف توجيه السماء للنبي ﷺ، وإنما عنده أن النبي ﷺ كان يفعل كل ذلك من تلقاء نفسه، بما أوتي من حاسة (الوعي الكوني) التي جعلته يفهم عن الله دون واسطة!!

يقول: (هذا الإلهام النافذ السديد في تدبير المصالح العامة، وعلاج شئون الجماعات، **هو الذي أوحى إلى الرسول الأمي** قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر

=حسين، وممن حملوا الشهادات العليا من مصر ومن الخارج، وممن منَّ الله عليهم بحسن البيان، وآية ذلك فيما كتبت يداه وخاصة كتاب (النبأ العظيم)، ولم يحظ بهذا الدوي الإعلامي كما العقاد وطه حسين وغيره؛ كونه لم يكن معوجًّا مثلهم.

(1) انظر: النبأ العظيم ص28، 29. ط. دار القلم. وفي الكتاب أدلة أخرى كثيرة ـ قبل وبعد حديثة عن الحديبية ـ يثبت فيها بالعقل والشرع من الواقع ومن السيرة أنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين.

(2) عبقرية عثمان ص81.

الصحي بين الدول، وقبل العصر الحديث بعشرات القرون، أن يقضي في مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بفصل الخطاب الذي لم يأت العلم بعده بمزيد؛ حيث قال: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها**»)[1].

وعندنا:] + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 8 9
: ; < = > ? @ A Z [النجم: ٣-٧].

وكثيرًا ما نسمع من عباس العقاد (الدعوة المحمدية) في عبقرية عمر وأبي بكر وعثمان وخالد وفي كل العبقريات تقريبًا؛ فهو ينسبها لشخص الحبيب ﷺ.

ويسرد العقاد أحداثَ الحديبية ولا يرى فيها أثَرَ الوحي مطلقًا، مع أنها كلها كانت من الوحي، حُبِسَت القصواء بحابس الفيل، وكانت المعاهدة، وكان (الامتناع) عن امتثال الأمر من الصحابة الكرام والذي ينذر بالتمرد في ظاهره، ولم يقدم النبي ﷺ تفسيرًا غير قوله: «**إني رسول الله ولن يضيعني**» ﷺ، ولو كان عنده تفسير لقدَّمَهُ، بل كان وحيًا يسمع له ويطيع وإن لم يفهم مآلات الأمور.

ناقة النبي ﷺ:

وتعرض العقاد لدخول النبي ﷺ المدينة المنورة، وتنافس الأنصار على ضيافته، فانظر ماذا يقول العقاد!!

(1) الأعمال الكاملة (75/1) ط. بيروت، وهو بهذا يسوي بين النبي ﷺ وبين إخناتون. انظر: رسالة الله ص40. ط. نهضة مصر.

يقول: (استقبلته الوفود تتنافس على ضيافته ونزوله، وهو يشفق أن يقدح في نفوسها شرر الغيرة بتميز أناس منهم على أناس أو اختيار محلة دون محلة.. فترك لناقته خطامها تسير ويفسح الناس لها طريقها **حتى بركت حيث طاب لها أن تبرك، وفصلت فيها لو فصل فيه إنسان كبير أو صغير لما مضى فصله بغير** جريرة لا تؤمن عقباها بعد ساعتها، ولو أمنت في تلك الساعة على دخل وسوء طوية).

انظر كيف يقرأ الحدث؟! كيف يلوي الحقائق؟!! بل وكيف يكذب؟!

يقول ابن القيم: (ركب بأمر الله له، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب فأخذوا بخطام راحلته هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، **فقال**: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**»، فلم تزل ناقته سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول عليهم ويقول: «**دعوها فإنها مأمورة**»، فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم وبركت)[1].

فالنبي ﷺ ركب بأمر الله، والناقة مأمورة تسير بأمر الله، ولكن العقاد لا يرى ذلك كله، إنه يتكلم من تلقاء نفسه.

خالد بن الوليد رضي الله عنه:

ويوم الحديبية عزم خالد بن الوليد ـ وكان على رأس خيل قريش ـ أن يغير على المسلمين حال صلاتهم العصر، وتكلم هو وأصحابه بأن للمسلمين صلاةً (العصر)

---

(1) انظر: زاد المعاد (3/50)، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير (2/271)، والحديث أورده ابن حجر في شرحه لحديث البخاري برقم 2134.

هي أحب إليهم من أبنائهم وأموالهم)[1]، وتقول الروايات بأن جبريل نزل من السماء وأخبر النبي ﷺ بما يفكر فيه خالد وأصحابه، فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف[2]، فعلم خالد أن الرسول ﷺ ممنوع، وحاول خالد أن يغدر بالمسلمين بغير هذه الوسيلة.. كان عازمًا على الحرب سالكًا أسبابها، وعباس العقَّاد لا يعرف هذا، بل يسند الفعل للنبي ﷺ وكأنه ﷺ من تلقاء نفسه عرف ما ينويه خالد وأصحابه، يقول العقاد على لسان خالد بن الوليد: (هممنا أن نغير عليه، ثم لم يعزم لنا، **وكان فيه خيرة،** فاطلع على ما في أنفسنا من الهجوم به، فصلى بأصحابه العصر صلاة الخوف)[3]. وقبل هذا النص بسطرين يقول: (وهمَّ خالد أن يغير عليه لولا نخوة من الفروسية أبت له العدوان على المسالم، وقمعت فيه طمع الرئيس الموتور). وهذا تضارب؛ فلا ندري هل مُنع الرسول ﷺ من خالد بخيريته التي علم بها كما يدعي فيما ينقله عن خالد؟! أم أن خالدًا كف شره بموجب حسن الخلق الذي يتمتع به كما يزعم العقاد؟!

ولو نقل الرواية التي نقلها ابن حجر في شرح حديث البخاري رقم 3817 وهي أشهر وأوضح وفيها أن جبريل هو الذي أخبر النبي لكان أولى به وأفضل.

---

(1) صلاة الخوف جاء ذكرها في أكثر من غزوة منها ذات الرقاع، ومنها غزوة لجهينة، ومنها يوم الحديبية. والروايات كثيرة في البخاري ومسلم وغيرهما.

(2) أحمد برقم 15986. وانظر: شرح ابن حجر العسقلاني لحديث البخاري رقم 3817، فقد جمع الروايات كلها التي في صلاة الخوف. وانظر: القرطبي والطبري وابن كثير في تفسير الآية 102 من سورة النساء.

(3) عبقرية خالد ص38، وقبل هذا النص بسطرين يقول: (وهمَّ خالد أن يغير عليه لولا نخوة من الفروسية أبت له العدوان على المسالم، وقمعت فيه طمع الرئيس الموتور).

وتعرض العقاد لإرسال النبي ﷺ لخالد بن الوليد إلى سرية أكيدر صاحب دومة الجندل فقال: (ومن خبرة النبي عليه السلام بالقبائل وأحوالها والأمراء وعاداتهم أنه قال لخالد: **ستجده يصيد البقر..** فكان ما قال)[1].

وهو الوحي لا الخبرة.. ولكن العقاد لا يعرف أثرًا للوحي.

وتعرض العقاد لصلح الحديبية وما ترتب عليه من آثار عظمية؛ إذ كان فتحًا، ولم يتكلم بأن شيئًا من ذلك كان بالوحي.. يسند كل شيء لشخص النبي ﷺ[2].

نعيم بن مسعود:

ويقول بأن النبي ﷺ ربما بلغ برجل واحد في هذا الغرض ما لم تبلغه الدول بالفرق المنظمة، وبالمكاتب والدواوين، وبدر الأموال، ويضرب مثالاً بنعيم بن مسعود ـ رضي الله عنه[3].

والعقاد يقف منفردًا كما هي عادته، فهو أول من قال: إن ما كان من نعيم بن مسعود هو بتدبير رسول الله ﷺ، وقد راجعت ما لا يقل عن عشرين مصدرًا للسيرة والحديث والتفسير كلهم على أن رسول الله ﷺ لم يزد على أن قال لنعيم بن مسعود كلمة واحدة: «**إنما أنت رجل واحد؛ فخذِّل عنا ما استطعت**»، وما درى النبي ﷺ بشيء بعد ذلك.

بل يصرحون بأن ذلك كان من تدبير الله عز وجل؛ يقول ابن القيم: (ثم إن الله لأ ـ

---

(1) عبقرية خالد ص75.

(2) عبقرية عمر ص449.

(3) عبقرية محمد ص53، 55.

وله الحمد ـ صنع أمرًا من عنده خذل به العدو وهزم به جموعهم وفلَّ به حدهم، فكان مما هيّأ من ذلك أن رجلًا من غطفان يقال له: نعيم بن مسعود بن عامر...)[1]. وابن هشام بعد سرد القصة يقول: (وخذَّل بينهم)[2]. ينسب الفعل لنعيم بن مسعود، والعقاد ينسب الفعل للرسول ﷺ، وكأنه خطط له ودبر، وكأنه هو الذي جاء بنعيم بن مسعود وهو الذي رسم له الخطة وأعانه على تنفيذها، كل ذلك لأن الرجل لا يرى أثر الوحي.

وهو متردد كعادته؛ ففي مكانٍ آخر أسند الفعل إلى نعيم بن مسعود لا للرسول ﷺ.

العقاد يُعرِّف الرسول ﷺ!!

يسأل في بداية (عبقرية محمد): من هو الرسول؟! ويجيب: (هو الذي **له وازع من نفسه** في الكبير والصغير مما يتعاطاه من معاملات الناس؛ لأن عمل الرسول الأول أن يقيم للناس **وازعًا يأمرهم بالحسن وينهاهم عن القبيح** ويقرر لهم حدودهم التي لا يتخطونها فيما بينهم).

لاحظ: لا تسمع حسًّا للوحي في كلامه!!

العقاد يُعرِّف البلاغ المبين:

ويتكلم عن البلاغ، ويأتي بقول النبي ﷺ يوم عرفة: «**اللهم هل بلغت؟! اللهم فاشهد**»، ويحور ويدور ليعطي البلاغ معنى غير الوحي.. غير البلاغ عن الله، يفسر البلاغ بالإبلاغ.. البلاغ عند العقاد أسلوب من أساليب التعبير يستطيع بها المتكلم أن

---

(1) زاد المعاد (3/240).

(2) (2/230).

يوصل المعنى من أقصر طريق وأوضحه!!

كل هذا لينكر الوحي، وليقول بنظرية (الوعي الكوني) والتي من صِوَرِها (العبقريات) أو لينتصر للفردية، وهي منهجه في التفكير، وقضيته الرئيسة التي كتب من أجلها العبقريات.

وكل الشريعة وكل الملتزمين بها، بل وكل المنصفين من الناطقين بالضاد، يتجمعون في وجه العقاد رفضًا لكلامه، فهو رسول الله ﷺ، ورسول تعني مرسلاً من عند الله برسالة، وفي التنزيل: [A B C D F G H I J K
L M Z [التغابن: ١٢]، [U V W X Y Z [ ] ^ _ `
a b c Z [العنكبوت: ١٨]، [! " # $ % ' ( ) * +
, - . / 1 2 3 5 6 7 8 9 : ; Z [النور: ٥٤]، [W X Y Z [\ ] Z [النحل: ٨٢]، [= > ? @ A
B Z [النحل: ٣٥]، [G H I J K M N O P Q
R S T U Z [المائدة: ٩٢]، وعلى لسان الرسل يقول الله تعالى: [M N
O P Q R Z [يس: ١٧].

والبلاغ المبين هو: الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها[1]. أو هو الَّذِي يُبِين عن معناه لمن أَبْلَغَهُ[2]، ويفهمه من أُرْسِلَ إليه[1].

(1) السعدي عند تفسير الآية 17 من سورة يس.
(2) الطبري عند تفسير الآية 35 من سورة النحل.

فالرسول ﷺ لم يأتنا فقط بألفاظ القرآن، بل بألفاظ القرآن وبمراد الله من هذه الألفاظ.

والصحابة رضوان الله عليهم لم يتلقوا من النبي ﷺ فقط منطوق القرآن الكريم ثم ذهبوا يفهمونها كما شاؤوا، كلا.. بل كانوا يتعلمون الإيمان ثم يضبطون ما فهموه بالقرآن الكريم، كما جاء في الحديث عن جُنْدُبِ بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا[2].

وجاء في مسند الإمام أحمد من حديث أَبِي عبد الرحمن[3] قال: حدثنا من كان يُقْرِئُنَا من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقترِئُونَ من رسول الله ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ.

والمراد: أن الصحابة رضوان الله عليهم تلقّوا نصًّا منطوقًا، وتلقوا معنى، وهذا كله هو ما جاءنا من الله على لسان رسوله ﷺ، هذا كله ما نحن ملزمون به ـ تابعين لهؤلاء الكرام ـ؛ قال تعالى:] > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S Z [النساء: ١١٥].

---

(1) راجع ـ إن شئت ـ تفسير الطبري للآية 35 من سورة النحل.

(2) الحديث في سنن ابن ماجه برقم 60، والحديث صحيح رجالة ثقات كما جاء في شرح السندي لسنن ابن ماجه. والفتيان الحزاورة هم من قاربوا البلوغ.

(3) هو زيد بن خالد الجهني توفي بالمدينة 68 هـ. والحديث في مسند الإمام أحمد برقم 22384.

وقال تعالى:] S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a c d f g h i Z [البقرة: ١٣٧].

فالصحابة هم من أراد الله بوصف المؤمنين في هذه الآيات؛ ذلك أن الله عز وجل شهد لهم بالإيمان في آيات أخرى من كتابه[1]؛ قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; Z [التوبة: ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَى:] _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r Z [الفتح: ١٨].

عبادة النبي مصدرها الجاهلية!!

ويدَّعي عباس العقَّاد أن عبادة النبي ﷺ قيامه وصيامه، لم يكن شيء من ذلك بتعاليم الوحي؛ يقول تحت عنوان (العابد): (تهيأ للعبادة بميراثه ونشأته وتكوينه؛ فولد في بيت السدانة والتقوى، وتقدمه آباء يؤمنون ويوفون بإيمانهم، ويعتقدون ويخلصون فيما اعتقدوه...)[2].

وهو جاهل أو كذّاب؛ فَسَدَانَةُ البيت لم تكن في بني عبد المطلب، ولا في بني عبد مناف وإنما كانت في بني عبد الدار، وحديث رد مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة معروف

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية (3/4).
(2) عبقرية محمد ص142، وسدانة البيت لم تكن في بني عبد المطلب، ولا في بني عبد مناف وإنما كانت في بني عبد الدار، وحديث رد مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة معروف. انظر: زاد المعاد (356/3)، والرحيق المختوم (386/1).

مشهور[1].

وأكد مرارًا على أن ما كان بأبي بكر هو خلق أصيل فيه: (أدب الطبع الذي يهتدي من نفسه بدليل).. (يدري بوحي نفسه)[2]!!

ولم تكن عبادة النبي ﷺ يشبهها شيء من فِعال أهل الجاهلية، لا في قريش ولا في غيرها، أكانوا يركعون ويسجدون؟! أم كانوا يصومون؟! أو كان يحج كما يحجون؟!

ليس ثم شك في أن العقاد لا يرى أثر الوحي في حياة النبي ﷺ، يذكر في عبقرية محمد[3] تحت عنوان (طريق الوصول) بأن الوصول إلى الله لا يكون إلا عن طريق التفكر في المخلوقات، ويؤكد على أن هذا أفضل من الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله.

ويؤكد في باب (محمد السيد) أن دافع هذا الكتاب هو بيان البواعث النفسية التي توحي إلى النبي ﷺ أعماله ومعاملاته... والخير المطبوع هو الذي قصدنا إلى بيانه بكل ما بيناه.. لا وحي!!

فطريق الوصول هو التفكر، و(البواعث النفسية التي توحي إلى النبي ﷺ أعماله ومعاملاته).

العقاد لا يرى الوحي.. هذه حقيقة ثابتة في كل كتاباته عن أنبياء الله، وليس فقط عن رسول الله ﷺ، فالأنبياء (العباقرة) تعلموا من البيئة أو من تلقاء أنفسهم أو من

---

(1) انظر: زاد المعاد (3/ 356)، والرحيق المختوم (1/ 386).
(2) السابق (1/ 228).
(3) عبقرية محمد ص146.

شيء آخر ولكن ليس من الوحي بالمعنى الذي نعرفه!!

وهو يتكلم عن المسيح عليه السلام يقدم بمقدمة طويلة عن موطن المسيح (الجليل أو فينيقية أو كنعان)، وكيف أنها كانت مدينة قوافل تجارية، وكيف أن المسيح عليه السلام ولد في بيئة عرفت التسامح وتنكرت للجمود، وحضرت الثورات، وحضر زوال مُلك مَلِكٍ وقيام مُلْكٍ لملك آخر، يقدم ذلك كله وكأنه هو الباعث على ما ظهر على يد المسيح ـ عليه السلام ـ من تسامح، ومن ثورة على الأوضاع ورغبة جامحة في تغييرها[1].

وهذا الفرض يكذّبه العقاد نفسه، فقد تكلم عن جشع (العشارين) الموجودين في بيئة المسيح ـ عليه السلام ـ، وتكلم عن طوائف يهود (الفريسيين) و(الصدوقيين).. طبقة المنافقين وطبقة الأرستقراطيين كما يسميهم، وفي الأحداث قرينة تكذبه، وهي بعثة يحيى عليه السلام، ذلك أنه يرتكز في كل ما يكتب على ضرورة الزمن، فيرى أن كل نبي يبعث بوحي مما حواليه.. يسميه ضرورة الوقت، ويرى أن هذه ـ ضرورة الوقت ـ كبرى الأمارات على النبوة، ومن أجلها ينكر النبوات. ويحيى ـ عليه السلام ـ وعيسى ـ عليه السلام ـ كانت أوصافهما متضادة ـ كما يحكي العقاد ـ أحدهما ـ يحيى عليه السلام ـ قوي شديد يعظ الملك وينهره، ويواجه الناس بقوة، والثاني ـ عيسى عليه السلام ـ هين لين؛ فأيهم (أرسلته) ضرورةُ الوقت؟!!

لا أدري.. ولا إخاله يدري.. ولا تبحث فلن تدري . إنه عباس العقاد أذهب الله بركته بإشغاله بما لا ينفع.

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/620). ط. دار الكتب لبنان.

عيسى ـ عليه السلام ـ من أرسله؟!

يبحث في نهاية كتابه (حياة المسيح أو عبقرية المسيح)، عن مصدر ما جاء به المسيح ـ عليه السلام ـ ومن أين تعلم؟!

ولا يجد مصدرًا، ذلك أن شخص المسيح ـ عليه السلام ـ لم يحظَ باهتمامِ مَن دونوا التاريخ من أتباعه، فحياةُ المسيح ـ عليه السلام ـ مجهولةٌ في كثير من مراحلها، لم يعثر العقّاد على شيءٍ ينسب إليه علم المسيح ـ عليه السلام ـ فراح يُخمن.. راح يتكلم بالظنون!!

يقول: **ربما** في كُتَّابِ القرية، أو من يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا عليهما السلام)، مع أن يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ على ما تذكر الأناجيل وما يعترف به عباس العقاد لم يُلْقِ إلى المسيح إلا كلمات معدودات، ولو سلّمنا بأن الذي علمه هو يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ فمن علم يحيى ـ عليه السلام ـ ومن علم زكريا ـ عليه السلام ـ ؟!

لا تجد إجابة عند العقاد، فقط يريد أن يثبت العبقرية للمسيح ـ عليه السلام ـ وأنه تعلم من تلقاء نفسه أو ممن حواليه، ليقول: إن ما تم على يد المسيح ـ عليه السلام ـ ما هو إلا مجهود ذاتي.. عبقرية!!

ويقول: ومن الخلوة في البرية (التي عالجها كل نبي قبل أن يصدع بها أمر الله به، وقبل أن يستيقن أن ما أُمر به من عند الله)[1]. ويقول بعد كلامٍ مرسل عن فترة الخلوة

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/ 726). ط. دار الكتب لبنان.

في البرية: (وإن فترة الخلوة في البرية على أثر ذلك كانت فترة اعتكاف لاستخلاص الحقيقة من أعماق الضمير... وعندنا أنفس خبر يعين على التعريف بمنهاج الإيمان في نفس الرسول العظيم هو هذا الخبر عن تجربة الوحدة في البرية...)[1].

والخلوة في البرية التي يتكلم عنها العقاد أمرها عجيب جدًّا، قد يذهب بعقلك أخي القارئ !!

لم تكن خلوة كما يدعي العقاد، وإنما ـ حسب رواية الأناجيل ـ تسلط الشيطان على ربهم ـ الذي هو المسيح بزعمهم الكاذب ـ أربعين يومًا وساح به في البرية يصعد به ويهبط، ويدخل به ويخرج، ويأمره وينهاه.

الشيطان تسلط على ربهم أربعين يومًا!! هذا قولهم.

وهم لا يجدون ما يعتذرون به، إلا كلامًا يَضحَكون به على أتباعهم ويُضحِكون به مخالفيهم.. ويأتي العقاد يُضحكنا عليه بسذاجته واستغفاله لمن يقرأ حين يدعي أنها كانت خلوة في البرية تعلم منها المسيح ـ عليه السلام ـ!!

وفي مكانٍ آخر[2] يعترف عباس بأن الخلوة في البرية كانت امتحانًا من الشيطان للمسيح.. تسلّط عليه يختبره.. وهناك في هذا المكان يتكلم كالمصدق للقصة، ويحللها بشيء كبير من الاستخفاف.

وفي كتابهم أن المسيح عليه السلام كان يتعلم في الهيكل على يد أحبار يهود، وكان

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/728). ط. دار الكتب لبنان.

(2) كتابه (إبليس) ص99.

يسبق باقي التلاميذ ممن يدرسون معه، والعقاد يقول: إنه راجع الكتاب ـ كتابهم ـ ألف مرة أو يزيد، فكيف لم يهتدِ إلى هذه، أتراه جهلها وهي من المواطن القليلة التي تتكلم عن شخص المسيح؟! أم تراه كتمها كي لا تنقض ما يذهب إليه من أن المسيح فطن من عند نفسه؟!

حقيقة بعد تأمل: لا هذه ولا تلك، العقاد يكتب كل كتاب بذهن مستقل، بل كل فقرة في كتاب يكتبها بتفكير مستقل ، لذا يأتي التضارب كثيرًا في كتاباته. وكان يتكئ على ندرة من يفقه فيما يكتب، وعلى تعقيد الأسلوب.

موسى عليه السلام:

وموسى ـ عليه السلام ـ علّمه بشر أيضًا عند العقاد، يقول: (موسى الكليم الذي تتلمذ على حمية نبي مدين قبل جهره بدعوته، وبعد أن جهر بهذه الدعوة في مصر وخرج بقومه منها إلى أرض كنعان، ولكنهم أخذوها وسلموها فنقصوا منها ولم يزيدوها)[1].

ونجد في كلامه ما يُبين أن الرجل ينكر الوحي من الله لأنبيائه مثل (هنا موقف من المواقف التي نسميها موقف استلهام الغيب واستخارة الحوادث)[2].

ومثل: (ولم تكن النبوءة بإذن من ذوي السلطان أمراءً كانوا أم كهانًا أم شيوخًا مطاعين في القبيلة، **بل يمتلئ يقين الإنسان بالإيحاء إليه، فيمضي في تبليغ وحيه ولا**

(1) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص83.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/733). ط. دار الكتب لبنان.

يقوى أحيانًا على كف لسانه)[1].

ومثل: (وإن الإنسان المتهيئ للنبوءة كان يخشى أن يسكت عن الدعوة متى جاشت ضمائره بحوافزها وألحت عليه أيامًا بعد أيام)[2].

ومثل: قوله عن إبراهيم عليه السلام: (اختبر حياة الشرك، واختبر شعائره وفرائضه، وخلصت له الهداية بالخبرة والهداية الإلهية)[3].

ومثل: (أما ديانات الأنبياء فلا وجود لها في غير السلالة العربية، والاختلاف بينها وبين الديانات الأخرى أن النبي لا يعينه أحد ولا ينبعث بأمر أحد، ولكنه ينبعث بباعث واحد من وحي ضميره ووحي خالقه)[4].

ووحي خالقه لا يفهم منها نزول ملك الوحي جبريل على النبي، أيِّ نبي، فهذا بيّن في كلامه كما تقدم، وإنما الوحي عنده أقرب ما يكون للوحي بمعنى الإلقاء في النفس.

وغاندي الهندي (نبي الهند) كما يسميه عباس العقَّاد، كانت عبقريته ـ أو نبوته ـ وراثية (رضعها من ثدي أمه قبل أن يتعلمها من مرشد إلى أدب، أو مبشر بدين)، كما يدّعي عباس العقّاد.

وفي غاندي الهندي عابد البقرة كما يصوره لنا عباس العقاد عجيبة تنقض ما مضى

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/571). ط. دار الكتب لبنان.

(2) موسوعة عباس العقاد الإسلامية (1/573). ط. دار الكتب لبنان.

(3) إبراهيم أبو الأنبياء ص200.

(4) ص157، وأكد ذات المعنى في ص179.

كله في العبقريات.

بعد أن قرر عباس العقّاد أنّ ما كان بغاندي الهندي جاءه من أمه وأبيه وكان في أخته وأخيه، وهو ما جرى عليه في الحديث عن (العباقرة)، بعد أن قرر هذا، استدار عليه من قريب وراح ينقضه، فذكر أن ما كان بغاندي الهندي عابد البقرة من عبقرية جاءه من الملة التي كان ينتحلها [الجينية]، فغاندي ـ عند العقاد ـ (ورث دواعي الثورة على «السيادة الغالبة» من عقيدة الجينية)[1]؛ فـ(عقيدة غاندي هي أهم شيء في بنيان شخصيته)[2].

وهذا تردد وتخبط؛ فلا أدري (عبقرية) غاندي المزعومة من ثدي أمه وفرجها أم عقيدته التي كان يدين بها؟!

العقاد متردد، وأفرد صفحات كثيرة في كتابه عن غاندي ليقول فيها بأن الذي صاغ هذا (النبي) ـ بزعم العقاد الكاذب ـ هو عبادته للبقرة وقوله بالحلول والاتحاد، والعودة للحياة الدنيا بعد الموت ، وأن الحياة سدى فلا هم يحشرون ولا هم يحاسبون.

وما بال العقيدة هنا هي صاحبة العبقرية وعند عباقرة الإسلام ليست كذلك؟! إنه عباس العقّاد متردد كعادته. بل وما بال غاندي الهندي عابد البقرة (نبيًّا) (عبقريًّا)؟!

ولا يقل لي أحد: إنها إحدى شطحات الأدباء، جاء وصف النبوة من عباس لغاندي شطحة قلم أو استرسال أديب، لا يقل أحد بهذا؛ فإن عباس يتكلم عن نبوة ورسالة انتشرت في الهند وأوروبا واعتنقها بعض الإنجليز في بريطانيا وبعض المفكرين

---

(1) عظيم المهاتما للعقاد ص71، وانظر ص83.
(2) ص 86.

في أوروباوإن كانت شطحة فالرجل مستخف باللفظ يطلقه على هذا الهزيل الرديء غاندي، وعلى بنيامين فرانكلين، وعلى لورنس[1].

أسأل: غاندي ـ بما يرويه عنه العقَّادُ ـ شبَّ جبانًا يخاف أن يخرج من بيته، وإن خرج يخاف من ظله، وإن دخل يخاف الظلام في البيت، وغاندي لص مارس السرقة مرات، وغاندي عربيد لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالًا، وغاندي في دراسته غبي بليد، لم يكن يحفظ إلا بشق الأنفس، وغاندي في وظيفته فاشل لم ينجح حتى ارتبط بالإنجليز مساعدًا لهم يركلوه ويهينوه حتى كادوا أن يحرقوه، وغاندي كان متناقضًا في وصاياه وأعماله[2]، ثم هو عبقري[3]، ومعجزة من معجزات الزمان! لم؟! من أين؟! وكيف يكون مثل هذا عبقريًّا في حسّ العقاد؟!

إن للأحداث قراءة أخرى، واضحةً أشد الوضوح لا تغيب عمن يبصر بعينين ويفكر في الأمر دقيقة أو دقيقتين.

الخطة في الهند كانت متطابقة أشد التطابق مع الخطة في مصر، في ذات الوقت الذي اقتنع فيه غاندي أن يبدأ كفاحًا وطنيًا من أجل الهند ـ وما كان هناك (هند) ولا ثـمَّ إلى اليوم هند، فهم شعوب، ولغات، وبقعة من الأرض لا تعرف لها تحديدًا واضحًا ـ في ذات الوقت بدأ مصطفى كامل في مصر على ذات الدرب.. الوطنية.

---

(1) انظر: بنيامين فرانكلين ص13.

(2) ذكر تناقضه في ص91، وبرر ذلك وعلل له، وذكر الباقيات من صفاته في ترجمته له في بداية كتابه.

(3) الكتاب لا يحمل اسم العبقري، ويحمل اسمًا أكبر منه، ووصف العقاد بالعبقرية ص70.

ويتكلم العقاد عن معرفة إبراهيم عليه السلام بعقيدة البعث بعد الموت، ويتعجب من ذلك، ولكنه يفسر هذا الأمر، ويزيل هذا العجب بأن إبراهيم عليه السلام كان يتردد على مصر، وربما تعلم من كهان الوثنية هناك شيئًا عن البعث!!

ليس عندي تعليق، ولا أحسب أن عندك تعليقًا، فقط لتعلم أن الرجل لم يكن يرى اتصال أنبياء الله بالسماء عن طريق معلّم من قِبل رب العالمين.

ويلحق بإنكار العقاد للوحي ـ بمعناه المتبادر للذهن، وهو نزول الرسالة على رسول الله ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ـ يلحق بذلك إنكار العقاد لأثر العقيدة في حياة الناس. وهذا ما أتناوله في نماذجه التي قدَّم لها عبقريات، مثل عمر بن الخطاب وغيره.

عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه:

1. أخلاقُ عمر رضي الله عنه:

عندَ عباسِ العقَّادِ أنَّ الصفاتَ الطيبةَ الَّتي ظهرتْ في عمرَ ـ رضي الله عنه ـ مِنْ شخصهِ هو ولا فضلَ للدينِ فيها، فبعدَ ذكرهِ لعددٍ من خصالِ عمر ـ رضي الله عنه ـ الكريمةِ ينفي أنْ يكونَ ذلك بتأثيرِ الوحيِ، ويقولُ: (لا يقال: إنه قد كان يطيع أمرًا سماويًّا تحركت له نفسه)!!

و يَسندُ عدلَ عمرَ إلى الوراثةِ لا للدينِ، ثم يذكرُ قصةَ عمرَ ـ رضيَ الله عنه ـ مع النصراني الَّذي لا يستطيع دُفع الجزية وكيف أنَّهُ رَحِمَهُ، ومع ابنِ الزنا اللقيطِ وقدْ فرَضَ له مُن بيتِ المال كما فرض لمن عرُف أبوهُ، ويَذكرُ رحمةَ عمرَ بالبهائمِ، ثم يقولُ معلقًا: (كانَ عمرُ يرحمُ في أمورٍ يحولُ فيها النفورُ الدينيُّ دونَ الرحمةِ عند كثيرين). وكأنَّ

الرحمةَ بالذميِّ وابنِ الزنا اللقيطِ فضلٌ من عندِ عمرَ لا يقومُ به المتدينونَثم يعلقُ قائلًا: (علمته الرحمة كيف يطيع الدين)[1]!!

تدبر ماذا يقول عباس: الرحمةُ هي التي علمتْ عمرَ ـ رضيَ الله عنه ـ كيف يكـونُ متدينًا!! والعكسُ هو الصحيحُ؛ فالدينُ هو الذي علَّمَ عمرَ الرحمةَ!

نعم لا يرى العقاد أثرًا للوحيِ في أخلاقِ عمرَ، ولا يرى أثرًا للوحي جعـلَ عمـرَ يؤمنُ بالنبيِ ﷺ، بل يصرحُ العقادُ قـائلًا: (كـان عمـر مـستقيم الطبـع مفطـورًا عـلى الإنصاف، فلم يكن رجل مثله ليستريح إلى فساد الجاهلية)[2].

وعندَ العقادِ أنَّ عمرَ آمنَ بالنبيِ ﷺ؛ لأنه كان معجبًا بهِ، (عمر كـان يحـب محمـدًا حب إعجاب، ويؤمن بـه إيـمان إعجـاب)[3]!! تمامًـا كالـذي قالـهُ وهـو يـتكلم عـن الصديق!!

ولستُ بحاجةٍ إلى استحضارِ حالِ عمرَ بن الخطابِ ـ رضي الله عنـه ـ في الجاهليـةِ وهو يشربُ الخمرَ، ويعذبُ المؤمنينَ بالله المتبعـينَ لرسـولِ الله ﷺ، فـأينَ كانـت هـذه الصفاتُ؟! أين كانت الرحمةُ بالمخالفِ؟! وأين كان العدلُ؟!

كلُّ ذلك من فضلِ اللهِ على عمر رضي الله عنه حين أسلمَ، كلُّ ذلك علمتهُ العقيدةُ لعمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، ولكنَّ العقادَ في كلِّ مرةٍ مع كلِّ (عبقري) يصرُّ على أنَّ مكارمَ الأخلاقِ في هذا العبقريِّ من عنده هو؛ ورثها من أمِّهِ وأبيهِ، وظهر شيءٌ منها في

(1) عبقرية عمر ضمن موسوعة العقاد الإسلامية ص329 ـ 340.

(2) عبقرية عمر ص383.

(3) عبقرية عمر ص438.

أختهِ وأخيهِ(1)!! والتالي يزيدُ الأمرَ بيانًا.

2. فراسةُ عمرَ رضي الله عنه:

المؤمنُ يرى بنورِ اللهِ؛ فاللهُ قد جعلَ لعبادهِ المتقينَ نورًا يقذفهُ في قلوبهم، يفرقونَ به بين الحقِّ والباطلِ والصالحِ والفاسدِ(2)، قال اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ:] L M
N O P Q R S T U V W X Y [\ ]
^ _ Z [الأنفال: ٢٩]. وفي الصحيح: **«وَمَا يَزَالُ عبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سألني لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»**.

والفراسةُ من الإيمانِ، والمتفرسونَ في الناسِ هم المتوسمونَ الذين يَعتبرون بآياتِ اللهِ في خلقهِ؛ قالَ اللهُ:] ; < = > ? Z [الحجر: ٧٥]، وفي الحديث: **«إن لله عبادًا يعرفون الناسَ بالتوسمِ»**(3).

---

(1) يستثنى من ذلك فقط غاندي الهندي عابد البقرة، فهو (العبقري) الوحيد ـ عند العقاد ـ الذي شكلته العقيدة مع العوامل الوراثية.

(2) راجعت أقوال عددٍ جمّ من المفسرين يدور المعنى عندهم على هذا، والنص من أيسر التفاسير للجزائري، وحديث الترمذي: **«اتقوا فِراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»**، مع شهرته وانتشاره في المعاجم وكتب أهل العلم، (ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية)، إلا أن أهل الاختصاص على أنه ضعيف. انظر: السلسلة الضعيفة للألباني (4/299) برقم 1821. وتعلمت من ابن عثيمين أن لا حاجة لنا في الضعيف وإن كان في الترغيب والترهيب. وربما انتشر لأن المعنى صحيح بشواهد أخرى.

(3) أورد الحديثَ وغيرَه في معناه مخرّجًا الشيخُ الأمينُ الشنقيطي في أضواء البيان في تفسيره للآية 75=

والنورُ الذي يقذفهُ اللهُ في قلبِ المؤمنِ يفرقُ به بين الحقِ والباطلِ هو (الفراسةُ)، ووجودُ الفراسةِ بالإيمانِ مما اشتهرَ في الدينِ، وتناثرَ ذكرهُ في الكتابِ والسنةِ وكتاباتِ وأحاديثِ فقهاءِ ووعاظِ الأمةِ[1]، ولكنَّ عباسَ العقَّادِ كعادتِه مُعْوَجٌّ يحيدُ عن الحقائقِ البينةِ الظاهرةِ، وكأنَّ الناسَ لا تقرأُ إلاَّ لهُ.

عباسُ يفسرُ فراسةَ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ بأنها (تستند إلى التقدير الصحيح والظن المدعوم بالخبرة).

هكذا يفسرُ عباسُ فراسةَ عمرَ بن الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ يذهبُ بها بعيدًا عن الوحي. ولنا أنْ نسأل: أينَ كانَ هذا التقديرُ الصحيحُ والظنُّ المدعومُ بالخبرةِ في حربهِ للإسلامِ؟!

أكانَ نداؤه على ساريةَ بأنْ يلزمَ الجبلَ، وهو في المدينةِ بالحجازِ وساريةُ في خراسانَ[2] ـ شرق إيران الآن ـ من (التقدير الصحيح والظن المدعوم بالخبرة)[1]؟!

=من سورة الحجر. وانظر: الجامع الكبير للسيوطي برقم 1626، والسلسلة الصحيحة (437/2) برقم 1693.

(1) أكثر ابن القيم من الحديث عن الفراسة وخاصة في رسالة (الطرق الحكمية)، ولولا أن نخرج عن سياق الكلام لأتيت بكلامه عن الفراسة والنماذج التي ذكرها هناك، حتى تعلم أنها حقيقة لا مراء فيها، واضحة بارزة في كل مكان.

(2) خراسان اسم مكان، وهي كلمة فارسية تعني مطلع الشمس أو المشرق، فتحت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على يد حليم العرب الأحنف بن قيس التميمي، وهي الآن من أعمال إيران، وقديمًا كانت عاصمتها (مرو) ـ وهي غير مروالروذ التي ينسب إليها ابن راهويه وغيره ـ وخربت على يد التتار بعد أن أخذوا ما فيها وفتحوا عليها السد الكبير فغرقت ولم تقم لها قائمة إلى يومنا هذا.

أو كان إخباره الرجلَ بأن أهلهَ قد احترقوا بعد أن عرفَ اسمَهُ ومسكنَه من (التقدير الصحيح والظن المدعوم بالخبرة)؟!

أوْ كان إخبارُه مَنْ حولَه بأنَّ هذا القادم عليهم كان كاهنًا في الجاهليةِ من (التقدير الصحيح والظن المدعوم بالخبرة)؟!

ثم لم يكن عمرُ وحدَه، فقد كان لعثمانَ وغيرِه مثلُ هذا[2].

وكانت فراسةُ عمرَ تستندُ للدليلِ أحيانًا، كما في اعتراضِهِ على الصلاةِ على ابن سلول[3]، وكان عمرُ يخطئ أحيانًا كما حدثَ يومَ الحديبيةِ، فأينَ كانتْ الخبرةُ؟!

وقد مرَّ بالتاريخِ عظماءُ كثرٌ لم يكن لهم من الفراسةِ ما كان لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أو لغيرِهِ من صحابةِ رسولِ الله ﷺ.

وعاشَ عمرُ قبلَ الإسلامِ ثلثَ قرنٍ من الزمنِ لم نسمعْ له عن موقفٍ واحدٍ يتفرس فيه. فراسة عُمر مَن إيمانه بالله، والعقادَّ لا يعرفُ ذلك، أو بالأحرى لا يريد أن يُقرَّ بذلك؛ لأن عباسَ العقَّادِ لا يرى أثرًا الوحي، وإن رآه جدَّ واجتهدَ أن يواريه، وموضوعُ الفراسةِ عندَ عمرَ بن الخطابِ شاهدٌ على ذلكَ.

3. أعمالُ عمرَ رضي الله عنه:

ومن الأدلةِ على أنَّ عباسَ العقَّادِ لا يرى أثرًا للوحي في حياةِ الصحابةِ، أنه حينَ

---

(1) الحديث في السلسلة الصحيحة برقم 1110.

(2) ذكر ابن القيم عددًا غير قليل من فراسة عمر في كتابه (الطرق الحكمية) ص40، وما بعدها.

(3) عبد الله بن أبي ابن سلول، زعيم المنافقين، وسلولٌ هذه أمه أو أم أبيه، وهي من خزاعة. وبيان ما ذكرته في النص أعلاه في تفسير الطبري للآية 84 من سورة التوبة.

يتعرضُ لأعمالِ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ يعرضُها وكأنَّه قامَ بها من نفسهِ! ففي عرضِه لمعاهدةِ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ مع نصارى بيت المقدسِ (إيلياء) يقولُ: أعطاهم وأعطاهم[1]، وكأنه يعطي من عنده لا بحكمِ الشريعةِ!!

وحينَ يأتي على أحكامِ أهلِ الذمَّةِ في الإسلامِ يبدي قليلاً ويخفي كثيرًا ثم يتعاطى هذا القليلَ وكأنَّه من عندِ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ.. هو الذي شرعه لهم[2]!!

وكلُّه من تشريعِ ربِّ العالمين، وأحكامُ أهلِ الذمَّةِ لها كتبٌ مستقلةٌ، ولها أبوابٌ مستقلةٌ في كتبِ الفقه يعرفها مَنْ له أدنى درايةٍ بالدينِ ممَن ينتسب إلى العلمِ، ولكنَّ العقاد كَكل مرة يلوي الحقائقَ ويسندَ الفعالَ للعباقرةِ لا للوحي، لأنه ينكرُ الوحيَ، ويرى أن كلَّها من فعالِ العظماءِ العباقرةِ.

عينُه عوراءٌ، وعقلُه شرودٌ، ولسانُه كذوبٌ!!

ويفسرُ سيرةَ عمرَ وعدلَه مع خالدٍ حين قاسمَه مالَه، ومع عمرو بن العاص وهو يراجعه ويحاسبه على أنها ملكةٌ وأسلوبٌ في التفكيرِ عند عمر ـ رضي الله عنه ـ ثبت صحته بعد ذلك، وهو الإسلامُ، وهو العدلُ، وهي خصوصيةُ الشريعةِ الإسلاميةِ التي لا يفهمها العقادُ ولا يفهمها دهاةُ السياسةِ.

وإذا تعرَّضَ لإيمانِ عمرَ يقولُ: (له من قوته ومن إيمانه قدرتان)[3]. يحور ويدور ويروح ويجيء، يكثرُ الحركةَ ويكثرُ من البيانِ حولَ الحقيقةِ ليشغلَ عنها القراءَ أو ليمر

(1) عبقرية عمر من الموسوعة الإسلامية ص393.
(2) عبقرية عمر ص396.
(3) عبقرية عمر ص352.

عليها دون أن يصفها ليضيع الأمرُ على القراء؛ يقول أحيانًا: الإيمان هـو الـضابط، ولا يصف كنْه هذا الإيمان، ويذكر أن الدعوةَ المحمديةَ أثرت في عمر، ولا يتكلم عن مدى هذا التأثير؛ ونسبة الدعوة للنبي ﷺ نوع من إنكار الوحي أيضًا، فكما مر بنا من قبلُ أنه يرى أن النبي ﷺ عبقري تكلم من عند نفسه أو عقل عـن الله بنفـسه، ولا تـرى ذكـرًا لأمين الوحي جبريل.

والعقادُ في كل مرةٍ يرمي ببعض الجملِ التي تصلحُ للاعتذار عنـه إن قطعتَهـا مـن النص، كقوله هنا ـ في عبقرية عمر (الإيمان لَيَقوى في نفوسٍ كثيرات ثـم تختلـف آياتـه وشواهده باختلاف تلك النفوس)[1]، ولا تعرف عن أي إيمان يتكلم الرجل، ولكنك إن تتبعته وسألت عن التوحيد وعن الإيمان وجدت أن الرجل بعيد.. جدّ بعيد.

4. **جندية عمر!!**

يقول: فُطر عمرُ على الجُنديةِ.. هي التـي كانـت تحركـه، فهـي مفتـاح شخـصيته، بزعمه، ثم ينثني إلى كرائم عمرَ كلِّهـا فـلا يـتركُ منهـا شـاردةً ولا واردةً إلا وينـسبها للجنُدية، يقول ـ مما لم أذكره من قبل ـ يسوي الصفوفَ لأنه جنـديٌّ، والجنـديُّ يحـب النظامَ والتسويةَ!!

وهي سنَّةُ النبي ﷺ تعلمها عمرُ من النبي ﷺ ، فقد كان النبيُّ ﷺ يأمر بهـا قبـل الصلاة، ويصر عليها، حتى إنه يسويهم بيده إن لم يكـفِ القـول بلـسانه، كـان يـسوي الصفوفَ حتى كأنه يعدها ليسوي بها كما يقول النعمانُ بن بشير[2]، ولا يرضى فقط أن

---

(1) عبقرية عمر من الموسوعة ص361.

(2) هو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي، ولد بعد الهجـرة بعـامين، عـرف بـالكرم=

يبرز صدر أحدهم من الصف[1].

وكان عمرُ يمشي كمشية الحبيب ﷺ[2]، ويعاقبُ من يعتدي على الطريق.. يحفظُ للطريق حقَّه كما أوصى الحبيب ﷺ، ويعطي للمستحقين من بيت المال كما أمرت الشريعةُ وكما فعل أبو بكر وفعل عثمانُ، ويزهدُ في الدنيا فلا ينفق على مطعمه ومشربه، ودائمُ الفكر والمراقبة لله فلا يمزح إلا قليلاً[3]. والعقاد يجعلها كلَّها من عند عمر ـ رضي الله عنه ـ.. جاءته من صفة الجندية التي طبع عليها، وليست من تعليمٍ تعلمه؛ يقول: (ذلك هو السمت العسكري بالفطرة التي فطر عليها، **وليس هو السمت العسكري بالأسوة والتعليم)**[4]!!

=والشعر والشجاعة، تولى الإمارة لمعاوية ويزيد، ثم بايع ابن الزبير، وخدعه عبيد الله بن زياد حتى قتل بعد معركة (مرج راهط) سنة 64 هجرية، وأبوه ممن بايع العقبة الثانية وشهد المشاهد كلها، وكان أول من بايع أبا بكر يوم السقيفة، وقتل في عين التمر بالعراق في السنة الثانية عشرة من الهجرة. انظر: أسد الغابة (1/122)، والاستيعاب (1/473).

(1) حديث النعمان عند مسلم برقم 660، والأحاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة.

(2) عند أحمد برقم 8948: (مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؛ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؛ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لغيرَ مُكْتَرِثٍ) ﷺ.

(3) العقاد يثبت لعمر الجندية المطلقة، وفي مكان آخر (في عبقرية عمر وعبقرية خالد حال المقارنة بينهما) يثبت أنه كان لعمر دعابة. وهذا صحيح، وفيه دليل على تضارب العقاد. ويستدل العقاد على جندية عمر بشرب عمر للخمر في الجاهلية، وكان أهل الجاهلية كلهم إلا قليلاً جدًا يشربون الخمر. ولكن العقاد ينسى.

(4) عبقرية عمر من الموسوعة الإسلامية ص363.

حتى أدبُ السيدةِ عائشةَ - رضي الله عنها - أم المؤمنين حين تركت التفضُّلَ في ثيابها بعد وفاة أمير المؤمنينَ عمر - رضي الله عنه - ودفنه بجوار رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، يفسره العقَّادُ بأنه من مهابتها لعمر.. خافته بعد أن مات وهو في قبره[1]!!

إيهٍ يا عقاد!! لن ينفعك، ولم ينفعك.

كان عمرُ عبدًا لله، متبعًا لرسوله محمدٍ بن عبد الله ﷺ.

واجلس يا عقّادُ في الظلام حيث شئتَ، وقل ما شئتَ، فيومًا نأتيك ونوقد المصباح عليك ومَن يجلس حواليك، حتى يعرف المخدوعُ أن عقلكَ شرودٌ ولسانكَ كذوبٌ.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخلاق الفروسية:

الفروسية - مفتاحُ شخصية علي رضي الله عنه - بزعم العقاد - (هي التي كانت تمنعه أن يعملَ في السرِّ ما يزري به في العلانية)[2]!!

(كان رضاه من الآداب في الحرب والسلم رضا الفروسية العزيزة من جميع آدابها ومأثوراتها)[3]!!

وكان إسلامُ عليٍّ (إسلام المسلم المطبوع الذي يبتكر دينه لأنه يعتمد فيه على وحي بصيرته وارتجال مزاجه) كما يفتري العقادُ!!

---

(1) عبقرية عمر ص321.

(2) عبقرية علي من موسوعة العقاد الإسلامية ص700.

(3) المصدر السابق ص702.

وعليٌّ (طبع على الإسلام فلم تزده المعرفة إلا ما يزيده التعليم على الطباع.. كان عابدًا يشتهي العبادة كأنها رياضة تريحه وليست أمرًا مكتوبًا عليه)[1] بزعم العقادِ!!

قلتُ: اشتهر عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ بالعلم والزهد والورع، حتى إنك إن أردت أن تستشهد على زهده وورعه وجدت أمثلة في قتاله، كتركه ـ رضي الله عنه ـ جندَ معاوية يشربون من الماء بعد أن غلبهم عليه، وكانوا قد منعوه. وترك لنا الإمامُ عليٌّ ثورةً بلاغيةً ـ يعرفها العقادُ وتكلم عنها ـ تحث على الزهد في الدنيا، وكان في آخر أيامه يرجو الموت، ويناجي ربه: مللتهم وملوني. وقضى علي ـ رضي الله عنه ـ ثلثي عمره تقريبًا لم يحمل سيفًا[2]، وعقلُه ـ علمُه وفطنته ـ هو الأبرز في شخصيته، فكيف يقال: إن الفروسية هي مفتاح شخصيته.. هي التي تأمره وتنهاه؟!

إنما هي محاولة لإيجاد تَعِلَّةٍ تبعد التحليل عن الوحي ليس إلا.. هو العقاد يبحث عن أي شيء يفسر به كرائم الممدوحين من الصحابة الأكرمين بعيدًا عن تأثير الوحي!!

حتى فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ يا عقاد!!

حتى السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ وزوج علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وأم السبطين، حين تكلم عنها العقاد لم ير أثرًا للوحي في شخصها، وإنما: (كانت مفطورة على التدين وراثة وتربية)[3]، ولا تحسب أنه يتكلم عن وراثة السيدة فاطمة ـ

---

(1) المصدر السابق ص706.

(2) لم يقاتل علي ـ رضي الله عنه ـ إلا عشر سنوات مع النبي بعد الهجرة، وقليلاً بعد أن تولى الخلافة.

(3) فاطمة الزهراء ص20.

رضي الله عنها ـ للتدين من أبيها رسول الله ﷺ ولا أنها تربت على التدين من أبيها، بل من أجدادها خويلد، وأقرباء أمها في الجاهلية ورقة بن نوفل[1].

السيدة خديجة كآبائها، متدينة، وبالتالي بثت هذا التدين (الجاهلي الموروث) في بنتها الزهراء فاطمة.

هذا هو العقاد.. حتى فاطمة لا يرى للوحي تأثيرًا فيها، يرى أن مكارمها ممن هم من حصب جهنم خويلد بن عبد العزى وما أشبه.

نعم هذا هو العقاد، فلا ألفينك ثانية تجادلني في إنكار عباس العقاد للوحي، وإن عُدتَ علي بالنكير عدت عليك بمزيد من التفاصيل.

المبحث الرابع: تطاول عباس العقاد على الصحابة:

توطئة:

يعَرف ُ الجميعُ عنِ الصحابةِ ـ رضوانُ اللهِ عليهم ـ أنهم مَنْ صحبوا خيرَ البريةِ ﷺ، وأنهم أفضلُ جيلٍ في حياةِ البشريةِ، حيثما نظرت إليهم أعجبوك؛ وعند رسول الله ﷺ وعندهم وقف التاريخُ ينسب إليه وإليهم الأحداث، فكل ما جاء بعد النبي ﷺ وصحابته مرتبط به وبهم ﷺ ورضي الله عنهم.

هذا ما يعرفه الجميع عن صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.. هذا رصيدهم عند عامةِ المسلمين.. التبجيل والتعظيم جملةً أو تفصيلاً.

والحقيقة أن أمر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أكبر وأخطر من هذا!! فالصحابة ـ

(1) تكلم بهذا في بداية بحثه عن السيدة فاطمة الزهراء، وأعاده في نهاية بحثه.

رضوان الله عليهم ـ هم التطبيق العملي للدين الإسلامي، والطعن فيهم طعن في الدين؛ **فالمنافقون لا يطعنون في الدين، وإنما في المتدينين؛ والشريعةُ تَعُدُّ طعنهم في المتدينين طعنًا في الدين**؛ هذا صريح قول رب العالمين:] S T U V W X Y [\ ] ^ _ ` Z [التوبة: ٦٥]، فهم استهزؤوا بالقرَّاء، قالوا: (أرغبنا بطونًا، وأجبننا عند اللقاء)[1]، فعدَّ الله السخرية من القراء (المتدينين) سخرية من الله ورسوله[2]، مع أنهم لم يعمدوا لسبِّ الدين ولا التطاول على الله ورسوله ﷺ، ولم يكن قولهم جَدًّا، بل كان (حديث الركب) كما قالوا، ولم يكذبهم الله في دعواهم بأنه حديث الركب، بل لم يلتفت إليها، وكأن السب إن حصل يعاقب عليه صاحبه أيًّا كان دافعه[3].

---

(1) انظر: تفسير الطبري للآية 65 من سورة التوبة.

(2) وهذا تفضل من الله ـ سبحانه وتعالى وتقدس ـ علينا، فله الحمد والمنة، جعل نفسه ورسولَه ﷺ والمؤمنين صفًّا واحدًا، كأنّ من يستهزئ بهم يستهزئ به ـ سبحانه وتعالى وتقدس ـ وبرسوله ﷺ، ومثل هذا أيضًا قول الله تعالى:] H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z Z [النساء: ١٤٢]، فهم لا يخادعون الله في الحقيقة، وإنما يخادعون المؤمنين، وعَدَّ الله خداع المؤمنين خداعًا له. فتدبر. وقفت على مثل هذا في كتاب (المنافقون) للشيخ عبد الرحمن الدوسري (مقالات ودروس مجمعة).

(3) وليس كل المتطاولين (الطاعنين) من أهل النفاق الأكبر المخرج من الملة، فقد كان حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ممن تكلموا بالإفك، ولم يرموا بنفاق، فالقصد في مثل هذه الأمور قصدان: قصد للفعل ـ أو القول ـ وقصد لما وراء الفعل أو القول، والعبرة هنا بالثاني، وأيضًا يعرف القول بالنظر فيه وبالنظر في قائله وبالنظر في سياق حاله. وقد شرح هذا وفصل فيه الشيخ رفاعي سرور في تقديمه لكتاب الكذاب اللئيم=

والمقصود: أن السخرية من المتدينين ـ أيًّا كان دافعها ـ سخرية من الدين، والطعن في الصحابة طعن في الدين. والطعنُ في الصحابة هو إحدى وسائل الطاعنين في الدين، أو لا يُطعن في الدين إلا بالطعن في المتدينين عمومًا والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ خصوصًا. فتسمع النسويين يتكلمون بأن بعض الصحابيات كن متبرجات يخرجن مع الرجال للجهاد!! ويخالطن الرجال تعلمًا وتعليمًا!! يستدلون بهذا على ما تراه اليوم من حالهن وقد خرجن عاريات مائلات مميلات يبعثرن السيئات بين المؤمنين والمؤمنات!!

وكذبوا، فقد كنَّ ـ رضي الله عنهن ـ طاهرات عفيفات لا يخرجن من بيوتهن إلا استثناءً، وإن خرجن فعلى الحال التي وصف الله:] t u v w Z [الأحزاب: ٥٩]، لم يكن يُرى منهن شيء.. سوادٌ يمشي على الأرض.. زينتها لزوجها.

وتبصر الداعين إلى تنحية الشريعة وقد أطالوا الكلام على يوم (السقيفة)، وحول اقتتال الصحابة، يقولون: هذا حالنا إذا طبقنا الشريعة!!

وكأننا بالشريعة مقتتلون وبغير الشريعة آمنون مطمئنون، والحال ينبئك بكذبهم؛ فها هي الديمقراطية التي يدعون إليها في اليابان (هيروشيما ونجازاكي) وإفريقيا والأفغان والعراق والصومال والشيشان، ماذا جنينا منها غير القتل والتشريد والسجن والتعذيب؟!

ولَمْ يقتتل الصحابة على دنيا ولم يختلفوا، وإن المنافقين لكاذبون.

والمقصود: كل الطاعنين في الدين تجدهم حول الصحابة الكرام يطعنون فيهم،

=زكريا بطرس. وانظر: (التأويل أنواع)، و(القصد قصدان) للكاتب بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد، وغيرها.

والمقصود أن: الطاعنين في الصحابة رضوان الله عليهم ـ ومنهم عباس العقاد ـ طاعنون في الدين شاؤوا أم أبوا.

تكفي هذه مقدمةً لتعاطي موقف عباس العقاد من الصحابة رضوان الله عليهم، أو لرسم الإطار الصحيح لكتابات العقاد عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقبل أن أنصرف أشير إلى أنني تناولت أهمية الصحابة رضوان الله عليهم ـ من زاوية أخرى ـ لم أجدها عند آخرين ـ في مقالٍ بعنوان (رؤية شاملة لدلالة النص)[1].

العباقرة مِن الصحابةِ عند العقاد:

كأني بالقارئ الكريم يبادرني بأن عباس العقاد يعظم نفرًا من صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين ويخلع عليهم أرفع الألقاب عنده، وهو لقب العبقري، فكتب عن خالد بن الوليد، وعمر وعلي، وكتب عن أبي بكر، وكتب عن عثمان وبنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها وأبنائها الحسن والحسين ـ وكتب عن بلال وعائشة أم المؤمنين وكتب عن آخرين من صحابة الرسول ﷺ، بشيء غير قليل من الاحترام والتقدير.

والحقيقة أن العقَّاد ما كتب عنهم كونهم صحابة للنبي ﷺ، أو ما كتب عنهم كونهم نموذجًا عمليًّا لهذا الدين، وهذا هو دافعنا لتعظيمهم وتوقيرهم، فبصحبتهم للنبي ﷺ ونصرتهم للدين رفع الله ذكرهم في العالمين، وإنما كتب العقاد يؤرخ للعظمة والعظماء، كتب يسند فعالهم لغير الدين، فهو لا يرى أثرًا للعقيدة في حياتهم، وقد

---

(1) منشور بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد، وفي شبكة القلم الفكرية:
http://www.alqlm.com/index.cfm?method=home.con&contentid=255

قدمتُ شيئًا من هذا في مقالٍ مبحث سابق بعنوان (عبقريات العقاد.. ركوب للكذب واستخفاف بالعقول).

والآن أزيد بعض الأشياء التي تكلم بها العقاد عن صحابة رسول الله ﷺ؛ حتى لا يُقال: إن عباس العقَّاد يعظم الصحابة رضوان الله عليهم، وحتى لا يقال: إن عباس العقاد يعظم نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم؛ كونهم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وإنما عظمهم لما أظهره الله على أيديهم.

بعض أوصاف الصحابة عند العقاد:

قد يقع أحدهم في مصدرٍ فاسد؛ فيخطئ مرةً على صحابي بعينه، وهنا نصحح الخطأ ولا نقف طويلاً مع المخطئ، ننصرف عنه بعد وعظه ونحن نردد: الكمال مفقود.. كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ. وقد قرأت ما كتب العقاد عن صحابة رسول الله ﷺ ولم أجده من هؤلاء.

العقاد لا يوقر الصحابة ـ إلا نفرًا قليلاً كما قدمت ـ ويوقرهم من وجهة نظر خاصة بعيدة عن كونهم صحابة النبي ﷺ، وينظر إليهم نظرة في منتهى السوء، وهذا سياق عام، وليس نصًّا أقتطعه من كتابٍ.

وها أنا ذا أعرض عليك ما تكلم به العقاد في صحابة رسول الله ﷺ على هيئة نقطتين هما:

أولاً: لَخْبَطَةٌ وقلة أدب.

ثانيًا: طُلاَّب دنيا!!

أولاً: لخبطة وقلة أدب:

يرسم العقاد ـ بكلماته ـ إحدى المشاهد للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في هذا المشهد:

* أم المؤمنين عائشة[1] ـ رضي الله عنها ـ ترفع نعل رسول الله ﷺ على عثمان، والصحابة يتصايحون ويتقاذفون في المسجد[2].

وأمُّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ بزعم العقَّاد تَذكر عليًّا ـ رضي الله عنه ـ بما لا يصح أن يُذكر به متأففةً[3].

وكأن أم المؤمنين الطاهرة المطهرة حبيبة الحبيب ﷺ بذيئة رديئة تتكلم بالوقح القبيح، وكأن عليًّا ـ رضي الله عنه ـ به ما يتأفف منه ولو ادعاءً.

وأم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ بزعم العقَّاد في حياة عثمان ضده تقف بطريقه وتنصر أعداءه، وبعد وفاته تغير رأيها الأول بلا دليل تقدمه وتقف مع أنصاره ضد قتلته!!

وأم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ بزعم العقَّاد تحرض الناس على عثمان، وتريد البيعة لابن عم أبيها طلحة بن عبيد الله، وتكره بيعة علي بن أبي طالب، ثم هي تحرض

---

(1) لم ألتزم في الترتيب أفضلية الصحابة (أبي بكر، فعمر، فعثمان، فعلي...)، وإنما راعيتُ أشياء أخرى يطول المقام بشرحها ولا أحسبها تفيد القارئ.

(2) الصديقة ص91.

(3) عبقرية علي ص692.

الناس للثأر من دم عثمان[1]!!

كأنَّ أمنا ـ رضي الله عنها ـ خفيفة تتحرك كثيرًا وسريعًا، وكأنها بين الرجال في السياسة، وما كان شيء من هذا، كانت في بيتها ـ رضي الله عنها ـ كما أمر الله، تصوم وتصلي وتعلم الناس ما يتلى في بيت النبي من آيات الله والحكمة ـ السنة ـ كما أمرها الله[2]: [b c d e f g h i j l m n o p q Z [الأحزاب: ٣٤].

* وعبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ يكذب على خالته أم المؤمنين عائشة كي يلقى عليًّا ويقاتله[3].

* وأبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يسبّ المهاجرين لعبد الرحمن بن عوف، ويتهمهم بأنهم أهل دنيا[4]!!

* وعلي ـ رضي الله عنه ـ يقول للأشعث بن قيس بزعم العقاد: (عليك لعنة الله

---

(1) الصديقة بنت الصديق ص96.

(2) الحكمة هي السنة، وكل نبي أرسله الله بكتاب وحكمة ـ سنة ـ شارحة لهذا الكتاب، قال الله: [k l m n o p q r s t Z [آل عمران: ٨١]، وقد يكون للنبي كتاب مستقل كما هو الحال مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ فيما نعلم، وقد يكون النبي شارحًا لكتابِ نبي آخر كما هو الحال مع أنبياء بني إسرائيل، فإنهم كانوا كعلماء الأمة يعلمون الناس دينهم، ولا يستوي نبي وغير نبي أبدًا.

(3) الصديقة بنت الصديق ص97.

(4) عثمان ذو النورين ـ المكتبة العصرية ص102.

ولعنة اللاعنين: حائك بن حائك، منافق ابن كافر)[1].

سبٌّ لا تسمعه إلا في بعض مخافر الشرطة، أو في شجار بين أراذل البغايا!!

* وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عند العقّاد (يحب الغناء جملةً، ويطيل الإصغاء إليه)، وظل يسمع الغناء إلى مطلع الفجر، (ثم قال للقوم: إيه! قد طلع الفجر.. اذكروا الله)[2]. وجيء له برجل يغني في الحج فقال: (دعوه؛ فإن الغناء زاد الراكب)[3]!!

وكان يسمع الغناء ويغني في بعض الأحيان، ولا ينهى عن غناء إلا أن تكون فيه غواية تثير الشهوات)[4].

وعمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ يخرج للحج ومعه من يحسن الغناء[5].

هكذا يتكلم العقاد عن عمر بن الخطاب!!

أنا لا أتكلم إلى من لا يعرف قدرًا للصحابة، ولكنني أتكلم لرفقاء الدرب ممن يوقرون الصحابة رضوان الله عليهم ويعرفون منزلتهم، أقول لهم: هكذا يتكلم العقاد عن صحابة رسول الله ﷺ. ودعني أكمل حتى تعرف حال هذا الرديء مع صحابة رسول الله ﷺ.

---

(1) عبقرية علي ص703.
(2) عبقرية عمر ص371.
(3) عبقرية عمر ص490.
(4) عبقرية عمر ص490.
(5) عبقرية عمر ص490.

ثم إن العقاد في مكانٍ آخر يبني على هذا الباطل الذي يفتريه، فيذكر أن الغناء ما لم يكن مصاحبًا للخلاعة فهو حلال، ويستدل بما افتراه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، ويذكر قصة عن ابن عباس وأبيه ـ رضي الله عنهما ـ دون سند ولا مصدر، فيها عثمان ـ رضي الله عنه ـ يروح ويجيء، ويشكو من سوء خلق علي بن أبي طالب وأنه سبه واتهمه في دينه، ويشكو بني عبد المطلب كلهم، وفيها مروان بن الحكم بالباب يثني عثمان ويأمره وينهاه[2].

ولا تخرج من القصة إلا بأن آل بيت النبي ﷺ قوم فحش اللسان يغلي حب الدنيا في قلوبهم، فهم ينازعون عثمان الإمارة ويحقدون عليه، وأن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ رجل ضعيف يحركه ابن عمه مروان بن الحكم. هذا ما تفهمه من القصة، وتجده مكررًا عند العقاد هنا وهناك.

* ومعاوية يصلي بأهل الشام الجمعة يوم الأربعاء[3]، وهو يضعف الرواية.. ويستدل بها!!

* ويتكلم بكلام قبيح عن بني أمية، وأنهم أولاد حرام.. أو مستلحقون، وينقل عن دغفل البكري النسابة المعروف، ودغفل لم يلق أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وإنما جاء بعده بقرن ونصف من الزمن[4]!!

---

(1) انظر: التفكير فريضة إسلامية ص902 وما بعدها.

(2) عثمان ذو النورين المكتبة العصرية ص63 وما بعدها.

(3) عبقرية علي ص713، وهو ينفي صحة هذه الرواية بعقله، ولكنه يثبت ما تنطوي عليه من أنه يقود قومًا بلا أخلاق أو دين منه ومنهم!!

(4) استدل على ذلك بأن دغفل النسابة المشار إليه، التقى النبي ﷺ في مكة وهو يعرض نفسه على=

* ويذكر العقاد أن خالد بن الوليد كان مشغولاً بالنساء ويعتذر ـ ضمنًا ـ بأن ذلك كان وقت الراحة حين لا تكون حرب!! ثم يقرر بأن حب النساء وحب الغـزل حـالُ بني مخزومٍ كلهم لجمالٍ في نسائهم وشغف بالجمال في رجالهم بزعمه، يستدل على ذلـك بقصة في كتاب الأغاني (لا تصح على حد قوله هو)، ويستدل على شغف خالد وقومـه بني مخزوم بالنساء بكلمة قيلت للسفاح الخليفة العباسي الأول عن جمال في نـساء بنـي مخزوم، ويستدل بأنْ كان في بني مخزوم شاعر اشتهر بالغزل[1]!!

ولا دليل في شيء من هذا.

أوَ جمال النساء ـ إن كان ـ أمارة على الشغف بالأنوثة في إخوانهن وبنـي أعمامهـن وبني عماتهن!!

أوَ زواج المنتصر.. لاحظ زواج.. ممن هزمهم أمارة على حب النساء؟!

أم هي عادة في العرب يتألفون بها خصومهم؛ لما عنـد القـوم للنـسب مـن مكانـة عالية؟! وقد سنها الحبيب ﷺ حين تزوج جويرية فأعتق قومها وصاروا جندًا للإسلام بعد أن كانوا حربًا عليه.

=القبائل، وكان غلامًا صغيرًا لم تكتمل لحيته، وكان مع سادات قومه (بكر بن وائل) وتحـدث مع أبي بكر. والقصة معروفة مشهورة. انظر: دلائل النبوة للبيهقي (2/297). وأميـة لم يلتـقِ عبد المطلب؛ فقد عاصر عبد المطلب ولده حرب بن أمية، ومعروف أن عبد المطلب تجاوز مائـة عام. بمجموع ذلك (عُمْر عبد المطلب وعُمْر النبي ﷺ إلى قبيل الهجرة حين التقاه دغفل) قلت: بينهما قرن ونصف من الزمن، والعقاد لم يتدبر، وكلمة دغفل (علم على ولد الفيل).

(1) عبقرية خالد ص173، 174.

أوَ نشهد على القصة بأنها لا تصح ثم نستدل بها؟!

إنه العقّاد.. على الكذب البيِّن يبني تحليلاته، ويلوي الحقائق ليصور حال هؤلاء الكرام وكأنهم كانوا شهوانيين، فقط لتتم صورة (البطولة) المزعومة التي يرسمها لخالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ.. مقاتل.. محب للنساء.. محب للخضرة والفراش!!

هكذا يتكلم العقاد عن صحابة رسول الله ﷺ، وقومٌ يمرون على هذا ويقولون: ذنبه في الاعتماد على الروايات الفاسدة.. اشتبه عليه الدليل!!

أقول: ما اشتبه عليه الدليل، بل يعرف أنه فاسد ويستدل به، ويعرف أن ثمّ صحيحًا عندنا وفاسدًا، ويعرف أننا ننقد المتن وننقد السند، فليس كل ما أسند وروي قُبِل. وأقول: رأى هذا ولم يرَ الآيات والأحاديث في فضلهم؟!

إنه فاسد يقرأ سيرتهم بخلفيته الفاسدة، فأخرج هذا النَّتن عن الصحابة رضوان الله عليهم.

ثانيا: طُلاَّب دنيا!!

أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يسبّ المهاجرين لعبد الرحمن بن عوف، ويتهمهم بأنهم أهل دنيا[1]، مع أنه في ذات المكان يعترف بزهد أصحاب الثروات من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، ويعترف بأن المال لم يكن مشكلة أبدًا عند الأغنياء أو عند الفقراء. ويروي ـ في ذات المكان ـ عن عبد الرحمن بن عوف أحاديث في زهده.

(1) عثمان ذو النورين ـ المكتبة العصرية ص102.

أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يحذّر عمر الفاروق من الصحابة[1].

وفي أكثر من مكان يذكر أن عمر رأى من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حرصًا سيئًا وخلافًا لا يحسمه رأي واحد عند مماته[2].

يدّعي أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا متنازعين مختلفين، حتى إنهم لا يتفقون[3].

والصحابة منهم من بايع عليًّا ـ رضي الله عنه ـ على أن يكون شريكًا له، ومنهم من خالفه متعللاً بقلة المشورة، ومنهم من كان يحارب عثمان ثم أصبح يحارب عليًّا باسم عثمان، تمحلاً لذرائع الخلاف وكراهة لاستقرار الأمور كما يفتري عباس العقاد[4].

ويفتري العقاد بأن الصحابة الذين خرجوا يوم الجمل ـ طلحة والزبير تحديدًا ـ خرجوا من أجل (المقاسمة في الأمر على وجه من الوجوه التي أشاروا إليها قبل مفارقتهم المدينة، فيتولى بعضهم العراق وبعضهم اليمن، ويصبح الأمر شركة أو [شورى] بينهم وبين الخليفة)[5].

هذا نص كلامه!!

وعند العقاد أن طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ كان ينافس أبا بكر وعمر

---

(1) عبقرية علي ص717.

(2) عبقرية عمر ص457.

(3) عبقرية عمر ص461.

(4) عبقرية علي ص717.

(5) عبقرية عثمان ص100.

ويحقد على عثمان وأعوانه على ذلك الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه[1]!!

وفي (عبقرية عمر) و(عبقرية خالد) كرّر العقاد مرارًا القول بأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يريدون الانقلاب على عمر ولم يستطيعوا.

وجملة ما يقول هذا الرديء: (إذا تركنا الحوادث جانبًا ونظرنا إلى التاريخ في صدر الإسلام على أنه تاريخ قيم ومبادئ، فلنا أن نقول: إننا أمام فواجع مؤلمة، يود الناظر إليها لو يزوي بصره عنها)[2].

بل هو تاريخ مبادئ وقيم لم تشهد البشرية مثله رغم أنفك وأنف من قال بقولك يا عقاد.

ويقول: (ولولا حروب الردة لكان الخلاف بين المهاجرين والأنصار خليقًا أن يتشعب ويستفحل، وكان الأنصار فيما بينهم مختلفين شيعتين كبيرتين ثم شيعًا صغارًا في كل من الشيعتين، وكذلك كان المهاجرين من هاشميين وأمويين ومن سائر بطون قريش؛ فإن بني هاشم على انفرادهم لم يجتمعوا بينهم إلى كلمة، ولم يكن لهم مطمع في الوفاق بينهم وبين بطون قريش الأخرى)[3].

والعقاد يكذب.. يتكلم من عنده، فما ثم خلافٌ بين المهاجرين والأنصار، ولا بين الأنصار ولا بين المهاجرين فضلاً عن بني هاشم ـ وغيرهم ـ فيما بينهم. أين هذا الاختلاف في بطون الكتب الصحيحة؟!!

---

(1) عبقرية عثمان ص34، 35.

(2) عبقرية عثمان ص30.

(3) عبقرية خالد ص82، 83 .

وما حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يشهد التاريخ مثله، خلافة تُحل مشكلتها ببضع كلمات ـ أعني أمر السقيفة ـ وينتهي الأمر بإجماع.. ببضع كلمات؟!

وقوم يهاجرون إلى قومٍ فقراء بين أعدائهم، بل بين أخبث خلق الله.. يهود ومشركين ولا يحدث أي شيء من الشقاق؟!!

في السيرة حادثان للخلاف؛ أحدهما بين المهاجرين والأنصار، وكان بفعل المنافقين، أعني حال العودة من بني المصطلق[1]، والثاني بين الأنصار (الأوس والخزرج) وكان بفعل اليهود[2]، وكلا الحادثين انتهى في دقائق ببضع كلمات.

أفي هذا أمارة على الشقاق أم أمارة على أن الدين غالب على النفوس يوجهها؟!

يا عبَّاس!! الصحابة كرام.. أكرم الناس جملة وتفصيلاً.. وربي يكذبك فيما تفتريه على أوليائه، قال تعالى:] ! " # % & ' ( ) * + Z .
[الفتح: ٢٩]

وقال تعالى:] ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ Z [الحشر: ٩].

وقال تعالى:] / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; <

(1) أعني ما نزلت فيه سورة (المنافقون)، وذكرها أهل التفسير كلهم وأهل الحديث. انظر: البخاري برقم 3257.

(2) أعني ما فعله شاس بن قيس اليهودي، ونزل فيه قول الله تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ à ﴿١٠٠﴾ Z [آل عمران: ١٠٠]. انظر: تفسير الطبري وغيره للآية.

= < ? @ B C D E Z [الأنفال: ٦٣].

وقال: [A B C D E F H I J K L M N O P Q R S T Z [آل عمران: ١٠٣].

فكانوا (رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)، كانوا (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَـيْهِمْ، وَلا يَجِـدُونَ فِي صُـدُورِهِمْ حَاجَةً)، كانوا (إخوانًا)، وليس كما يقول عباس العقاد.

وكذبًا يصور العقاد الصحابة وكأنهم كانوا بالسيوف في الطرقات ينتظر كل واحدٍ منهم الآخر، ولولا حروب الردة ما اتحدوا!!

يقول هذا الشقي: (فلما تحفزت البادية للوثوب على المدينة أحسّ المسلمون جميعًا أنهم فريق واحد، مهدد بخطر واحد، فاتفقوا بوحي البداهة التي لا موضع فيها لتعمل التفكير وحيلة الحض والتحريض، ولبثوا متفقين ما كانوا بحاجة إلى الوفاق، وما كان الشقاق بينهم مرهوب العواقب محذور الأخطار)[1].

هنا كذب على كذب.. ظلمات بعضها فوق بعض، يصور الحال، وكأن حروب الردة كانت حربًا بين أهل البادية وأهل الحضر (مكة والمدينة)، توحدت البادية فتوحد أهل الحضر (مكة والمدينة.. قريش والأنصار).

وهو ينقض هذا الكلام في نفس الكتاب (عبقرية خالد)[2]، وهو يتكلم في ذات السياق؛ إذْ ذكر أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ استنجد بقبائل البادية المجاورة للمدينة في

(1) عبقرية خالد ص82، 83.

(2) انظر: ص86.

قتال المرتدين.

ونقضه أيضًا في مقدمة كتاب (عبقرية خالد) حين ذكر أن مكة كانت وسطًا بين الحاضر والبادية.

وينقض كلامَه التاريخُ والواقعُ؛ إذ كانت جموع من المرتدين من أهل العراق، وهم أهل ريف وزرع وكثير منهم عرف المدنية كما أقر هو في مقدمة الكتاب (عبقرية خالد).

وهذا التصور ـ صراع بين الحضر والبادية ـ قائم في ذهنه وهو يتناول أحداث السيرة كلها تقريبًا، فبه يفسر كثيرًا من الأحداث؛ مثلاً تجده يتكلم عن نقمة البادية على قريش، وعن نظرة قريش العلوية لأهل الباديةِ والسوادِ، ما أدى إلى تمرد البدو وحدوث الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان رضي الله عنه وكثير من صحابة رسول الله ﷺ بعد ذلك[1].

وحين تكلم عن الفتوحات الإسلامية تكلم عن (الفتوحات العربية) لا (الإسلامية). وقد تقدم تفصيل هذا!!

والأحداث في القرون الأولى لم يكن غير العقيدة محركًا لها، فكان الخلاف الأول على الخلافة، وهي قضية عقدية لا قبلية ولا عنصرية (عرب وعجم أو عبيد وأحرار)، والخوارج لم تكن دعوتهم قبلية أو تستبطن القبلية، فقد كانوا من قبائل شتى، وكانوا من

(1) ذكر ذلك في عبقرية علي ، وهو ينقد هذا القول في تحليله للأحداث في (عثمان ذو النورين)؛ إذ إنه هناك يهون من أمر الفتنة ويذكر أنها حالة شغب صغيرة من الدهماء جرأهم سهولة الشكوى وسرعة الاستجابة لها من قبل الخليفة، وسهل مهمتهم أن لم تكن حراسة عند الخليفة تمنعهم، ولم تكن ثورة يتمرد فيها الشعب أو عامة الرعية على الحاكم سخطًا.

العرب وكانوا من العجم (الأمازيغ ـ البربر تحديدًا)[1]، وهكذا، فقول العقاد بعيد جد بعيد، وهو قول المستشرقين تسرب إليه. وإن شاء الله ألقي مزيد بيان على هذا الأمر.

وقد غضضت الطرف ـ طلبًا للاختصار ـ عن كلام العقاد على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وفيه ما فيه من سوء الأدب مع صحابة رسول الله ﷺ، وهو مشهور كلما تكلم أحدهم عن حال العقاد مع صحابة رسول الله ﷺ جاء على قوله في معاوية وعمرو ـ رضي الله عنهما ـ؛ تركته لشهرته ولأقول بأن الأمر لم يكن مع علي ومعاوية فقط وإنما مع الجميع.. كان تصورًا عامًّا عند عباس العقاد عن الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الخامس: أثر العقيدة الإسلامية في صياغة الشخصية:
نموذج توضيحي: خالد بن الوليد رضي الله عنه:

هذا المبحث قراءة لشخصية خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ قراءة شرعية أنقد بها ما ذهب إليه عباس العقاد في تحليله للشخصيات في (عبقرياته)، وأبدأ بعرض مشاهد ثم أعلق عليها مستنبطًا منها.

(خرجت قريش ـ يوم أحد ـ بحدِّها وجدِّها وحديدها وأحابيشها، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة والظعينة)[2] موتورين بآبائهم وإخوانهم، يُجعجع فرسانهم،

---

(1) أحداث الخوارج في المغرب الأوسط (الجزائر) في بداية القرن الثاني الهجري مشهورة جدًّا، وكان من قادتهم هناك في المغرب الأوسط (الجزائر) حفيد رستم القائد الفارسي، فلم تكن أبدًا دعوى قبلية.

(2) من سيرة ابن هشام في ذكر غزوة أحد.

وتضرب بالدف نساؤهم، وينادي بالثارات جميعهم؛ فيهم مائتا فارس على رأسهم خالد بن الوليد يواجهون سبعمائة رجل رجالاً حُسرًا، ولم يغنِ قريشًا أن بها خالد بن الوليد، ولم يستطع شيئًا إلا على غرَّة، وعلى غرَّةٍ والناس منهزمون قد انفضوا من مواقعهم واستدار بعضهم على بعض، ما استطاع خالدٌ بثلاثة آلاف أن يقتل إلا سبعين ـ أو أقل ـ نفرًا!!

وفي يوم الحديبية خرجت قريش كخروجها يوم أحد أو أشد، ووقف خالد بن الوليد على رأس فرسان قريش، وما جرئ على قتال رسول الله ﷺ وصحابته، وهم حُرُمٌ لا يحملون إلا سيف الراحلة، وقف يبحث عن وقت غفلة كي يأخذهم على غِرَّة ـ كما فعل يوم أحد ـ وما استطاع شيئًا[1].

وفي سنة تسع من الهجرة عقدَ رسولُ الله ﷺ لواءً لخالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ بأربعمائة وعشرين فارسًا إلى إحدى قرى الشام (دومة الجندل) كي يغير على مَلِكها أُكَيْدِرِ، فقال خالد: يا رسول الله، كيف لي به وسط بلاد كَلْبٍ وإنما أنا في أناس يسير؟! فقال رسول الله ﷺ: «**ستجده يصيد البقر فتأخذه**»[2]. فتشجع خالد وصار إليه، فوجده على الحال التي وصف رسول الله ﷺ فأخذه.

وبعد عامين فقط تجمعت قبائل كلب ومن جاورها من بني تميم ومعهم أحياء قضاعة عند دومة الجندل، فتحرك إليهم خالد في جيش أقل منهم بكثير جدًّا وذبحهم

---

(1) المغازي (2/582)، وذكره النووي في شرح حديث صالح بن خوّات عن صلاة الخوف في البخاري باب المغازي برقم 3817.

(2) ذكره الواقدي في المغازي (3/1025).

في الحصون وحولها.

وبعد عامين فقط ركب خالد بن الوليد في نفر يسير ـ بالنسبة لقوات العدو ـ لمن ارتد من العرب من غطفان وبني حنيفة، ثم صار إلى أهل العراق والشام فأتى على قوى الكفر كلها من عرب وفرس وروم في هذه البلاد، وما تردد في معركة، وما انهزم.

ما الذي حدث؟! خالد هو خالد، بل كَبُرَ سنه ورقَّ ـ بعض الشيء ـ عظمه، كيف يَهزم كل هذه الجيوش المتماسكة المجتمعة وكيف يقتل كل هذا العدد من البشر؟!

حدث هناك نوع من التغيير في المفاهيم والتصورات الداخلية التي تُحرِّك خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ ومن معه، نوع جديد من المفاهيم عن طبيعة المعركة وأسباب النصر والهزيمة، جعلت خالدًا يُحدث كل هذا الأثر في واقع الناس. وتدبر هذين الموقفين:

يوم اليرموك جاء أحدهم يخوفه من الروم وقد أقبلت كالسحابة السوداء تسد الأفق، تموج بهم الأرض كما يموج البحر، صوتهم كالرعد. كما يصف ابن كثير ـ رحمه الله ـ على لسان من حضر المعركة. والمسلمون قلة، جاء يقول لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟! إنما تكثر الجنود بالنصر [أي من الله][1]، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد.

وحين همَّ بعبور بادية الشام من العراق إلى اليرموك تخوّف من معه واستداروا كأنهم يريدون مراجعته في أمر العبور إلى الشام، فقام فيهم خطيبًا بهذه الكلمات:

(1) ما بين القوسين مني. والنص من ابن كثير رحمه الله في أحداث غزوة اليرموك.

(اعلموا أن المعونة على قدر النية، والأجر على قدر الاحتساب، فأروا الله من أنفسكم خيرًا يمدكم بمدده).

خالد بالأمس القريب، حين أُمِرَ بالتوجه لأُكيدر يحسب للعدد حسابًا وينادي: كيف؟! وإنما أنا في نفر يسير، وهو اليوم يلغي عامل العدد من أسباب النصر والهزيمة.

وخالد يتمنى شفاء فرسه ليكون أنشط في القتال مقابل أن يزيد جيش الروم ضعفًا كاملاً.. أهذا خالد يوم أحد والحديبية؟!

وخالد يُقدم على عبور المفازة سالكًا طريقًا لا يظن عاقل أن جيشًا يسير به وينجو، معتمدًا على أن (المعونة «من الله» على قدر النية)، فهو يتكلم بأن السبب المطلوب بذلـه لعبور هذه المفازة هو صدق اللجوء إلى الله وحسن التوكل عليه، ويُذكِّر من معه بالاحتساب حتى لا يضيع الأجر.

إن العامل الأساس هو العقيدة وليس شخص خالد رضي الله عنه، فكما رأيت حدثت نقلات نوعية في شخصية خالد وما أنجزه بعد الإسلام، وهذا الأثر ازداد تدريجيًّا بثبات الإسلام في صدر أبي سليمان ـ رضي الله عنه ـ، كما علّل هو رضي الله عنه وأرضاه.

يزداد هذا الأمر وضوحًا في ذهنك أخي القارئ حين تتذكر أن الفتوحات الإسلامية لم تتأثر مطلقًا برحيل خالد عن القيادة، وإنما برحيل الجيل الأول من الصحابة ومجيء من كانوا أقلّ شأنًا في أمر الدين.

ويزيد من هذه الفرضية أن النصر والهزيمة وطبيعة المعركة من حيث أطرافها له تصور خاص في الشريعة الإسلامية؛ فالشريعة تتكلم عن حضور الملائكةِ القتالَ تثبِّت

الذين آمنوا وتلقي الرعب في قلوب الذين كفروا:] Y Z [\ ] ^ _
` a b d e f g h i j k l m
n o p q Z [الأنفال: ١٢]. وحضور الملائكة الكرام متوقف على تقوى الله لا على عدد المسلمين وعتادهم، ولا على كونهم منتسبين للإسلام فقط؛ يقول الله:
[I K L M N O P Q R S T U V W
X Y Z [آل عمران: ١٢٥].

وفي التصور الإسلامي عن النصر والهزيمة العدد ليس من الأهمية بمكان؛ فـ] T U V W X Y Z [\ ^ _ ` Z [البقرة: ٢٤٩]، وفي التصور الإسلامي عن النصر والهزيمة أننا ستار لقدر الله سبحانه وتعالى، فالله ينفذ من خلال عباده قدَرَه ويظهر آثار صفاته، فما علينا إلا أن نأخذ بالأسباب المتاحة للنصر والله ينصر من ينصره، وفي الشريعة الإسلامية الهزيمة سببها الذنوب ـ ومنها التقصير في الأخذ بالأسباب المتاحة كما أمر الله ـ قال الله:] أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ à عَلَىٰ â شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ Z [آل عمران: ١٦٥]، [L M N O P Q R T U V
W X Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e
f g h i k l m n p q r t u
v w x y Z [آل عمران: ١٥٢].

والشاهد: أن هذه معارف يكتسبها أحدنا بقراءتها فقط إن صدَّق المخبر بها، أمَّا أن تستيقن منها وتصطبغ بها وتتعامل من خلالها فهذا لا تناله في يـوم وليلـة، فالـشهوات

والشبهات تتصارع مع خطاب الوحي ولا يستقر الإيمان في القلب إلا بعد حين... وبين حين يجد من يناوشه ويريد زحزحته فإن لم ينتبه تزحزح[1].

وحين استقرت هذه المعاني في قلب خالد ورفاقه تغيرت أسباب النصر، لا من خالد ولكن من الصياغة الجديدة التي صاغتها العقيدة لخالد ورفاقه.

وفرض الصورة العكسية يبين لك الأمر أكثر، لو اجتمع ثلاثون ألفًا من مشركي العرب أمام ربع مليون أو يزيد من الروم والعرب هل كانوا ينتصرون؟!

لم يكونوا ليجتمعوا ، وإن اجتمعوا ما كانوا ليفكروا في غزوهم، وإن غزوهم ما ثبتت أقدامهم ساعة.

ولتستبين قولي، ولتعلم أن العقيدة هي المحرك الأساس وهي التي صاغت خالدًا وغير خالد من قادة الأمة، راجع الآيات التي تتكلم عن المنافقين حين القتال مثل قول الله تعالى:] = > ? @ A B C D E F H
I J K L M O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] _
` a b c d e Z [الفتح: ١١]،] k l m n o p

---

(1) وهذا مفهوم من المثل المضروب في سورة الرعد:] ~ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا © وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ ´ µ ¶ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ Z [الرعد: ١٧]، ولابن القيم في مدارك السالكين وفي الداء والدواء كلام طيب عن النفس المطمئنة والنفس الأمارة أو قوة الخير وقوة الشر وكيف الطريق لغلبة الخير على الشر لمن أراد المزيد.

q r s t ı v w x y z { | } ~ Z [الأنفال: ٤٩]، [m n o p q r s t u v w x y z Z. [الأحزاب: ١٢]

من تكلموا في هذه الآيات من المنافقين كانوا من جنس المسلمين لا يختلفون عن بعضهم ، إخوان وأبناء عمومة ، ومتشابهون في الصفات الخارجية، ولكن خُلِعَ قلب هؤلاء حين جاء الخوف لأنهم لم يؤمنوا، ولم تستقر حقائق الإسلام في قلوبهم، لم يستيقنوا أن الفرار لن ينفعهم، وأنه لا عاصم من الله إن أراد بهم ضرًّا أو أراد بهم نفعًا، ولذا راحت جوارحهم تبحث عن مخرج حين جاء الخوف.

أما الصادقون.. المستيقنون.. فأقدموا وصبروا واحتسبوا وعلموا أنه النصر وإن لم يدركوه هم فمَن بعدهم.

إشكال والجواب عليه:

يشكل على بعضهم أنه إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يتساوَ الجميع أو يرتبوا على حسب إيمانهم، هل برز خالد وأبو عبيدة وقتيبة الباهلي كونهم أكثرهم إيمانًا؟!

نقول: ليس الأمر كذلك، فالله سبحانه وتعالى خصَّ بعض الأفراد ببعض الصفات، وفتح على بعضهم من أبواب دون أبواب، فهذا حَبَّبَ إليه الجهاد ورزقه بنية قوية وقوة في قلبه، وهذا حبب الله إليه طلب العلم وتعليمه، ورزقه عقلاً وعزيمة في الطلب، وهذا حبب الله إليه الإنفاق وأمده بالمال... وهكذا.

والعقيدة تصل بالمرء إلى أقصى مستوى؛ بل تصيغه صياغة جديدة بحيث لا يقارن بمثله الذي لم يتأثر بالعقيدة بعد أو ما زال في المراحل الأولى من التفاعل مع مفاهيم

الدين وتصوراته.

تتمة: العقيدة وقوة البدن:

لا يقتصر الأمر فقط على صياغة الشخصية من جديد، بل أستطيع أن أقرر أن التزام الشرع يعطي قوة بدنية، ولهذا الأمر شواهد كثيرة منها هذا الحديث.

عند مسلم من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبي فانطلقت فلم تجده ولقيت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم فقال النبي ﷺ: «**على مكانكما**»، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري ثم قال: «**أَلا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟! إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»[1].

توجيه الدليل:

فاطمة ـ رضي الله عنها ـ تعمل بالرحى حتى أثرت في يدها، ويشهد لهذا ما جاء في سنن الترمذي عن علي رضي الله عنه: (شكت فاطمة إليَّ مَجَلَ يديْها)، ويقال لليد: مَجَلَتْ إذا ثخنَ جلدها وتعجر وظهر فيها ما يشبه البتر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة. ففاطمة رضي الله عنها تشتكي من الجهد المبذول في بيتها وتريد خادمة تحمل عنها، ويكون الجواب وِرْدٌ من الأذكار (يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوةٌ على الخدمةِ أكثرَ مما

(1) متفق عليه.

يَقدرُ الخادم)[1]، أو بعبارة أخرى: (أن الذي يلازم ذكر الله يعطى قوة أعظم من القـوة التي يعملها له الخادم، أو تسهل الأمور عليه بحيث يكون تعاطيه أُمـوره أسـهل مـن تعاطي الخادم لها، هكذا استنبطه بعضهم من الحديث)[2].

---

(1) تحفة الأحوذي لشرح سنن الترمذي في التعليق على الحديث رقم 3330 ـ كتـاب الـدعوات. وهو قول العَيْني، نقله صاحب التحفة.

(2) فتح الباري حديث رقم 4942.

الفصل السادس
التفكير فريضة إسلامية

(التفكير فريضة إسلامية) عنوانُ كتابٍ لعبَّاس العقاد يستدل به قومٌ على أن الرجل كان إسلاميًّا.. بهذا الدين عليم، وعن حماه من المدافعين.. ولقضاياه من الشارحين!!

في هذا الكتاب (التفكير فريضة إسلامية) ثلاث قضايا، قضية (التفكير) أو قل: (إعمال العقل)، والثانية قضية (الجدال)، والثالثة (الفلسفة الإسلامية)[1]، ثلاث قضايا رئيسة في الكتاب وفي رأس عباس العقاد. أناقش كل واحدة منهن وجهدي في إيصال المفاهيم الصحيحة للقارئ، أزيل بذلك تلبيس عباس العقاد وغيره.

أولاً: التفكير أو إعمال العقل:

يذكر عباس العقاد أن (القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه)[2]!!

لاحظ أن العقل عنده (يجب العمل به والرجوع إليه).. يؤكد على هذا الادعاء كثيرًا، فمثلاً يقول: (الواقع المكرر في هذه المسألة بذاتها أن حرية العقل لا يقيدها في الإسلام حكم مأثور على مذهب راجح أو على مذهب مرجوح)[3].

---

(1) تكلم العقاد عن الفلسفة الإسلامية في أكثر من كتاب.

(2) التفكير فريضة شرعية ، ضمن المجلد الخامس من موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ طبعة دار الكتاب لبنان ص829.

(3) التفكير فريضة إسلامية ص870.

ويذكر أن موانع العقل ثلاثة: عبادة السلف[1]، التي تسمى بالعرف والاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية، والخوف المهين لأصحاب السلطة الدنيوية. ويدور حينًا حول التحذير من هؤلاء الثلاث: (الأعراف والسلطة الدينية والسلطة الدنيوية) على العقل ويقرر أن أخطرها اتباع من سلف، ويحكي إجماع من كتبوا في التاريخ على ذلك[2]!!

ثم يقرر أن الإسلام يأمر العقل بأن يستقل في مواجهة السلف ومواجهة الأحبار ومواجهة الاستبداد!!

وهي محاولة صريحة من العقاد لاستقلال العقل في فهم النصوص دون إدراج من سلف.

هذا ما عند العقاد.. يدعي أن العقل حر طليق يعمل كيف يشاء وأين يشاء، وأن العقل مرجع نأوي إليه وجوبًا حال التحدث في القضايا الشرعية!!

وفساد هذه الدعوى من البديهيات؛ إذ لو قلنا بقول عباس لما كانت هناك حقائق أبدًا، فما أَستحسنه أنا وأراه صوابًا يستقبحه غيري ويراه خطأً، والعكس، حتى قيل: إن الحقيقة ثلاثية الأبعاد، لك وجهة نظر، ولمن يخالفك الرأي وجهة نظر أخرى، ولثالث لا يرى رأيكما وجهة نظر تخالفكما[3]!!

---

(1) (عبادة السلف) مصطلح مستعمل عند المنشغلين بالأديان، يسمونه (عبادة الأسلاف)، ويعنون به تعظيم الأولين بنحت الأصنام على هيئتهم أو شد الرحال إلى قبورهم وإقامة الأعياد عليها، وهي إحدى طرق الشيطان في تحريف الأديان.

(2) ص849، وهو إجماع موارب يصدره بكلمة (يكاد).

(3) وهو كلام لا نسلّم به؛ إذ الحقيقة واحدة، والباطل متعدد. واستشهدت بفحواه.

فدعوى إطلاق العقل أو دعوى إعمال العقل في النصوص، والرجوع إليه في فهمها دعوى لا تصح عقلاً.

العقل يعمل في ثلاث مناطق:

ليس بصحيح أن الشرع يأمر بالرجوع للعقل في كل شيء.. إعمال العقل (التفكير) يكون في ثلاث مناطق:

الأولى: حال المخاطبة بالشريعة الإسلامية.. حالَ مخاطبة من لم يؤمن أصلاً، أو من لا يؤمن.

الثانية: في المناط[1].

الثالثة: في الدلالة والاستدلال.

الأولى: حال المخاطبة بالشريعة الإسلامية، نكلم الناس بما يفهمون، ننطق من الثابت المشترك بيننا وبين من نتحدث إليه؛ فأهل الأديان نتكلم معهم في أمارات النبوة، وهي قاسم مشترك متعارف عليه، يُنبئ بغيب ويأتي بمعجزات، أمارة على اتصاله بمن يعلم السر وأخفى ومَن هو على كل شيء قدير. ومع العقلانيين نبدأ من أدلة عقلية.

(1) المناط عند العرب ما نِيطَ ـ تعلق ـ به الشيء، يقال: هذا مَنوط به أي مُعلق به، والأنواط المعاليق. (القاموس المحيط ، ط2ـ 1997 بيروت ـ مؤسسة الرسالة، ص892). وعند علماء الشريعة هو (العلة التي نيط [تعلق] الحكم بها)، أو (العلة التي رتب الحكم عليها). شرح مختصر الروضة (233/3). والحكم الشرعي (التكييف الشرعي للفعل) يتعدد في ذات الشيء، فمثلاً النفاق ليس كل أفعال النفاق وليست كل أحوال المنافقين كفر بالله، وإنما بعضها معصية، وبعضها كبيرة، وبعضها كفر أكبر مخرج من الملة، هذه أحكام متعددة تتعلق بمناطات متعددة، إلغائي منها هو أقصاها وهو هنا الكفر الأكبر المخرج من الملة.

والجميع نحدثهم عن الله وعما أعد للمتقين وما توعد به العاصين[1].

ولذا تجد أن التوحيد قسمان: قسم مقدمة لقسم، أو سبب ونتيجة.

والتسمية تدل على ذلك.. (علمي خبري وقصدي طلبي)، فعلم وخبر (قول القلب وهو المعرفة أو التصديق الخبري)، يعقبه ولابد قصد (وهذا من عمل القلب)، وطلب (وهذا من عمل الجوارح). أو يقال: (توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية).

لاحظ توحيد الربوبية يأخذ حيّز المعرفة التي هي قول القلب في مصطلح أهل الاعتقاد، ويأخذ توحيد الألوهية عمل القلب ـ الناشئ من المعرفة التي هي قول القلب ـ وعمل الجوارح؛ إذ هما مرتبطان معًا وجودًا وعدمًا، قوة وضعفًا.

فجُعل توحيد الربوبية والأسماء والصفات كالسبب لتوحيد الألوهية، أو كالمقدمة له. وهذا كثير في القرآن الكريم؛ من ذلك قول الله تعالى:] s t u v w x y
} | { ~ نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ
µ ¶ خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ
وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ Z [البقرة: ٢٥٥]. بدأت الآية الكريمة بجملة خبرية تقريرية (الله لا إله إلا هو)... لا معبود بحق إلا الله، أو لا يستحق العبادة إلا الله، ثم تبعت هذه الجملة بعدة جمل تعليلية، تبين سبب أحقية الله سبحانه وتعالى للتفرد

(1) يرتكز الخطاب الدعوي على تعريف الناس بربهم، وما أعده لهم من ثواب وعقاب (اليوم الآخر). وقد فصلت ذلك في معالجتي للسيرة النبوية مستقرئًا الآيات ومطبقًا على أحداث السيرة.

بالعبادة، وكأنه سأل سائل: لماذا؟! فأتت الآية بعدها تعلل هذا الخبر (الحي القيوم) (لا تأخذه سنة ولا نوم)، (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)، (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)، (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما)، (وهو العلي العظيم).

ومن ذلك قول الله تعالى: [p q r s t u v w x y z | | { ~ ﴿٩﴾ Z [فصلت: ٩]، والمعنى أن من خلق السموات والأرض في يومين لا يُكفر به ولا ينبغي أن يُجعل له أنداد.

ومثله قول الله تعالى:] ¶ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا Z [الكهف: ١٤]، والمعنى لأنه ربنا رب السموات والأرض؛ لذلك لن ندعو من دونه إلهًا.

في هذه المنطقة (الخطاب بالتوحيد).. (مخاطبة من لا يؤمن أو من لم يؤمن).. يعمل العقل.

الثانية: في المناط، والمناط غير الحكم الشرعي.. المناط هو المحل الذي يتنزل عليه الحكم الشرعي أو العلة المؤثرة في الحكم.

مثلاً: الحركة الكثيرة تبطل الصلاة.. هذا حكمٌ شرعي لا يعمل فيه العقل، لا يقال: لماذا الحركة الكثيرة تبطل الصلاة؟!

وإنما يعمل العقل في (المناط).. في كون الحركة كثيرة أم لا؟! هل تحركتُ كثيرًا، أم لم أتحرك كثيرًا؟! وبالتالي تبطل صلاتي أم لا؟!

ومثلاً: خروج شيء من أحد السبيلين ينقض الوضوء.. هذا حكم شرعي لا يعمل العقل فيه، وإنما يعمل العقل في تحقيق المناط: هل خرج شيء من السبيلين أم لا؟! وبالتالي ينقض الوضوء أم لا؟!

ومثله: كل مسكر خمر، وكل خمر حرام[1].. هذا حكم شرعي لا دخل للعقل فيه، وإنما يعمل العقل في تحقيق المناط: هل شرب خمرًا أم لا؟!

ومثله: حين نقول: حرم الله الزنا وأوجب الحد على من زنا.. هذا حكم شرعي لا يعمل العقل فيه. وإنما يعمل العقل في الحادث محل النظر ليتبين أهو زنا أم دون ذلك!! وبالتالي هل يُحد أم لا؟! وما نوع الحد؟! رجم أم جلد وتغريب؟!

ما يتكلم عنه العقاد وما يحدث الآن من (العلمانيين) و(المفكرين) و(الليبراليين) و(العصرانيين)... إلى آخر هذه الأسماء ممن يناقشون (التعدد.. تعدد الزوجات)، و(الميراث) و (تحكيم الشريعة) و(الجهاد) و(الحجاب) و(حجية السنة النبوية)... إلخ، شيء آخر؛ فهم يناقشون الأحكام، ومناقشة الحكم تشكيك في المُشَرِّع، ومن يناقش الحكم نخاطبه بالتوحيد من جديد.. نبين له أن الله هو (العليم) (الحكيم) (الخالق) (الرازق) (القدير)، ومن خلق ورزق وعلم كل شيء وقدر على كل شيء قوله الحق وله الحكم.

ونبين له أن الله أرسل إلينا رسولاً بلسانا ليبين لنا ما أراده منا، وقد كان، نبين له أن العقل عاجز، وأنه إذا تعارض العقل والشرع فالله أعلم وأحكم:] µ ¶ ﮊ أَمِ ٱللَّهُ Z [البقرة: ١٤٠]؟!

(1) جزء من حديث عند مسلم برقم 3733.

ومناقشة الحكم من جنس مناقشة إبليس لأمر الله تعالى لـه بالـسجود، ولا يجـدي التأويل في هذا.. نعم لا يجدي التأويل في هذا؛ فإبليس كـان متـأولاً:] ! " # $ % & ' | ( ) * + , - . / 0 1 2 Z [الأعـراف: ١٢]، [^ _ ` a Z [الإسراء: ٦١].

عرضَ الحكم على عقله فما استقام عنده، لم ير أن الحكـم منـصف؛ لـذا ردَّه وأبـى الامتثال له، وكان متأولاً.. كانت له وجهة نظر ـ بلغة القوم ـ ومـا صرَّح إبلـيس بأنـه يريد الكفر، بل رد الأمر بتأويل[1].

ولا يتعارض العقل الصحيح مع النص الصريح، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله (درء تعارض العقل والنقل)، وهو كتاب مشهور.

الثالثة: في الدليل والاستدلال؛ حيث يعمل العقل في طلب الدليل على الحكم، أو في الحكم على الدليل: هل هو صحيح أم غير صحيح إن كان من أهل العلم، ويعمل في دلالة الدليل على المراد منه، وفي الاستدلال به هل هو صحيح أم لا؟!

تقول: الحركة الكثيرة تبطل الصلاة. فيجيب: ما دليلك؟! فتقول كـذا. فيجيبـك معارضًا بدليل آخر، أو ناقضًا للدلالة، أو ناقضًا لاستدلالك بالحديث معرضًا بعقلك أو بعلمك، أو معرضًا عنك ذاكرًا لما يريد.

وهنا ما ورد من خلاف بين أهل الفقه في تحقيق المناط، في فهم الـدليل في مراتـب الأدلة.

(1) انظر للكاتب: (التأويل أنواع) ـ مقال ـ بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام.

وعباس العقاد بعيد عن هذا كله، الذي يتكلم عنه العقاد هو الهوى، الذي يعمل في الدليل ليأتي به على هواه.

العقل الذي يتكلم عنه عباس وغيره هو الهوى، يقول الله تعالى:] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ Z [الزمر: ١٨]، (فأصحاب العقول هم أهل الدين الصحيح، وأهل الدين هم أصحاب العقول، ولهذا كان السلف لا يسمون المخالفين بالعقلانيين، بل كانوا يسمونهم بأهل الأهواء)[1].

وإن تتبعت هؤلاء العقلانيين.. المفكرين.. المستعظمين لعقولهم، ومنهم عباس العقاد، تجد أنهم يملكون ثوابت ويأتون للدليل فقط ليحملوه على القول بما يذهبون إليه، فهم يعتقدون ثم يستدلون، وهذا مذهب أهل الهوى، أما أهل الحق فإنهم ينظرون للدليل بتجرد.. ثم هم مع ما يمليه عليهم[2]. وقد رأينا عباس العقاد كيف يستدل بالضعيف ويترك الصحيح، وكيف يركب الكذب وصولاً إلى ما يريد، وكيف أنه يأخذ النصارى بقولهم وهو شاهد على باطله، وهو يعلم أن القرآن الكريم يخطّئهم في قولهم. وكيف يعرض عن قول من نصحوه بل ويُعرِّض بهم؛ إنه هوى في النفوس يسير صاحبه بين الأدلة يمنة ويسرة.. يحتال حتى يصل لمراده.. وهؤلاء هم أهل الهوى.

الانفراد بالنص:

يؤكد العقاد على الثورة على الأسلاف، وعلى الاستقلال عنهم، وما كان لنا أن نقول بهذا، وما كان له أن يقول بأن تعظيم السلف نوع من العبادة والتقديس لهم، أو

---

(1) من مقال للشيخ جعفر شيخ إدريس منشور بموقعه الخاص.

(2) انظر للكاتب: (ثم يستدلون).

نوع من الخطر الداهم الذي يأكل الدين!! بل هو الدين.

وكلام العقاد عامّ عائم، وظني أن القضية مشوشة عنده، والثابت فقط هو أن الرجل يبحث عن استقلالية العقل ـ كل عقل ـ في فهمه لنصوص الشريعة دون الخضوع لفهم الجيل الأول أو غيره.

وهذه قضية محورية عند الجميع يصلون إليها من عدة طرق، بعضهم عن طريق التشكيك في السنة النبوية، وبعضهم عن طريق تقسيم السنة النبوية إلى تشريعية وغير تشريعية، وبعضهم عن طريق ذم الصحابة والتابعين ومن حمى الله بهم هذا الدين.. المهم أنها قضية محورية، يمكن التعبير عنها بـ(الانفراد بالنص).

وأريد معالجة هذا الأمر تحت العنوان التالي:

دلالة أخرى لمعنى النص:

اصطلح على أن تطلق لفظة (النّص) على منطوق الوحيين الكتاب والسنة الصحيحة. وهذا الأمر فيه نظر؛ إذ إن منطوق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا يمكن بحال أن ينفصل عن سياق عام يشمل فعل النبي ﷺ وفعل الصحابة رضوان الله عليهم، أو قل: سبب نزول (النص) وكيفية امتثال النبي ﷺ وصحابته (للنص).

فالرسول ﷺ لم يبلغنا فقط منطوق القرآن الكريم ـ الذي يقال عنه: النص، في عرف القوم ـ وإنما بلغنا القرآن ومراد الله من كلامه، وهذا هو معنى البلاغ المبين المذكور في سبعة مواضع من كتاب الله؛ قال تعالى: [G H I J K M N O P Q R S T U Z [المائدة: ٩٢]، وقال تعالى: [A B

C D F G H I J K L M Z [التغابن: ١٢]، وقال تعالى:] ! " # $ % ' ( ) * + , - . / 1 2 3 5 6 7 8 9 : ; Z [النور: ٥٤]، وقال تعالى:] U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a b c Z [العنكبوت: ١٨]، وقال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; = > ? @ A B C Z [النحل: ٣٥]، وقال تعالى:] W X Y Z [\ ] Z [النحل: ٨٢]، وقال تعالى:] M N O P Q R Z [يس: ١٧].

والبلاغ المبين هو: الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها[1]، أو هو الَّـذِي يُبِين عن معناه لمن أَبْلَغَهُ[2]، ويفهمه من أُرْسِلَ إليه[3].

فالرسول ﷺ لم يأتنا فقط بألفاظ القرآن، بل بألفاظ القـرآن وبمـراد الله مـن هـذه الألفاظ.

والصحابة رضوان الله عليهم لم يتلقوا من النبي ﷺ فقـط منطـوق آيـات القـرآن الكريم ثم ذهبوا يفهمونها كما شاؤوا.. كلا، بل كانوا يتعلمون الإيمان ثم يضبطون مـا فهموه بالقرآن الكريم كما جاء في الحديث عن جُنْدُبِ بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به

(1) السعدي عند تفسير الآية 17 من سورة يس.

(2) الطبري عند تفسير الآية 35 من سورة النحل.

(3) راجع ـ إن شئت ـ تفسير الطبري للآية 35 من سورة النحل.

إيمانًا[1].

وجاء في مسند الإمام أحمد من حديث أَبِي عبد الرحمن[2] قال: حدثنا من كان يُقْرِئُنَا من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقترِئُونَ من رسول الله ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ.

والمراد: أن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا (نصًّا) ـ منطوقًا ـ وتلقوا معنى، وهذا كله هو ما نحن ملزمون به ـ كوننا تابعين لهؤلاء الكرام ـ قال تعالى:] < ?

@ A B C D E F G H I J K L M N O

Q R S Z [النساء: ١١٥].

وقال تعالى:] S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a

c d f g h i Z [البقرة: ١٣٧].

فالصحابة هم من أراد الله بوصف المؤمنين في هذه الآيات؛ ذلك أن الله عز وجل شهد لهم بالإيمان في آيات أخرى من كتابه[3]؛ قال تعالى:] ! " #

(1) الحديث في سنن ابن ماجه ـ المقدمة ـ حديث رقم 60، والحديث صحيح رجالة ثقات كما جاء في شرح السندي لسنن ابن ماجه. والفتيان الحزاورة هم من قاربوا البلوغ.

(2) هو زيد بن خالد الجهني، توفي بالمدينة عام 68هـ. والحديث في مسند الإمام أحمد برقم 22384. ولأبي عبد الرحمن السلمي التابعي المشهور حديث بنفس المعنى أحفظه ولكني لم أستطع تخريجه لذا أمسكت عنه.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية (3/4).

0 / . - , + *) (' & % $

1 2 3 4 5 6 8 9 : ; Z [التوبة: ١٠٠].

وَقَـالَ تَعَـالَى:] _ ` a b c d e f g h i j

k l m n o p q r Z [الفتح: ١٨].

والخلاصة أنه لا بد ـ من وجهة نظري ـ من إعادة تعريف النص الشرعي على أنه: منطوق القرآن كما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم وأقرهم عليـه الرسـول ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يأخذ آية من كتاب الله ثم بعد ذلك يفهمها ويطبقها بغير الفهم والتطبيق الذي كان عليه صحابة النبي محمد ﷺ؛ إذ إنه من المعروف أن (العمل المتوارث المستمر من عصر الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم حجة شرعيـة يجـب اتباعهـا، وتلقيهـا بالقبول)[1].

فمن أراد أن يناقش النص فليناقشه في سياقه الكامل الذي يشمل دلالته الـشرعية المأخوذة من فعل الصحابة رضوان الله عليهم.

أما القفز إلى النص ـ منطوق القرآن أو السنة ـ مباشرة وفهمه بمقدمات عقلية أو لغوية أو عرفية خاصة ببيئة المتكلم فهذا مما لا يقبل بحال.

ومن فعلَ هذا نرده بأننا تلقينا وحيين؛ كتابًا وسنة، وقد كان هناك قوم شاهدوا رسول الله ﷺ وسمعوا منه ورأوا من أحواله وأفعاله ما يجعلهم أكثر الناس دراية بمراد

---

(1) حراسة الفضيلة للشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد عند الكلام على (المسألة الثالثـة: أدلـة فرض الحجاب على نساء المؤمنين).

الله من خطابه؛ فليس السامع الغائب كالسامع الشاهد، ومات رسوله ﷺ وهو راض عنهم وزكاهم ربهم وأمرنا باتباع سبيلهم؛ قال الله:] S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a c d f g h i Z [البقرة: ١٣٧]. وقال الله:] < > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S Z [النساء: ١١٥].

فنحن نرفض تمامًا التعامل مع منطوق القرآن والسنة بغير السياق العام الذي نزل فيه، أعني التطبيق العملي المتمثل في فعل الصحابة رضوان الله عليهم ومعهم إمامهم محمد ﷺ.

وأضرب مثالاً أبين به قولي:

آيات الحجاب ـ وهي مما يكثر حولها دندنة القوم ــ أعني قول الله تعالى:] ...وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ ´ µ ¶ ...Z [الأحزاب: ٥٣]، وقول الله تعالى:] m n o p q r s t u v w y z { | } ~ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ Z [الأحزاب: ٥٩]، وقول الله تعالى:] F G H I J K L M Z [الأحزاب: ٣٣]، وقول الله تعالى:] ` a b c d e f g h i j k l m o p q r Z [النور: ٣١].

هذه الآيات لها سياق نزلت فيه وتفهم دلالتها من خلاله.. المنافقون على نواصي الطرقات وبالأزقة يتحرشون بالسافرات من النساء حين يخرجن ليلاً لقضاء الحاجة،

وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يطالب بضرب الستر بين الرجال والنساء كي لا يرى الرجال أبدانهن ـ وهن العفيفات الطاهرات أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن أجمعين ـ ولا يرى النساء أشخاص الرجال ـ وهم صحابة النبي الكرام ـ ونزلت الآيات فشق النساء مروطهن وتخمرن بها[1]، وأصبحن كالغرابيب لا يُعرفن ولا يرى منهن شيء لا بوصف ولا بكشف، ولا تطمع فيهن عين لزينة في الثياب أو زينة تسمع أو ترى من تحت الثياب، وقد فارقن بهذا الثياب الكافرات، فلم يكن الأمر اقتباسًا من عادات الجاهلية كما يدعي الجهلة من المثقفين اليوم، ولا سرقة من ثقافة اليهود، بل تشريع من رب العالمين للصادق الأمين وصحابته الأكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أقول: من المعلوم أن التشريع في الإسلام ارتبط بالحركة؛ وأن الوحي كان يتنزل بناءً على الأحداث لتوجيهها أو لتصحيحها، ولم ينزل القرآن مرة واحدة، ولم يكن المراد من الوحي هو مجرد التلاوة والإقرار بما يحمله من أحكام دون الامتثال العملي، فكيف ـ مع هذا كله ـ يؤخذ منطوق القرآن والسنة النبوية بمعزل عن ملابسات أسباب النزول، وامتثال الصحابة للأمر والنهي؟!

كيف مع هذا كله نسمع لعباس العقاد ونقف بعيدًا عن سلفنا الصالح نناطحهم أو نخالفهم بأي دعوى!! إن العقاد بعيد..

---

(1) في ذلك عدة أحاديث عن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ في البخاري ومسلم وفي سنن أبي داود وغيرهم. وانظر سبب نزول الآيات في ابن كثير والطبري والقرطبي ـ هذا ما اطلعت عليه ـ. وانظر ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد ـ رحمه الله ـ فيما أورده من أدلة على الحجاب في كتابه القيم (حراسة الفضيلة).

الجدال والمراء:

أَتى العقاد على السفسطة، والفلسفة في الحضارة اليونانية القديمة، وكيف أنها صارت إلى جدالٍ يضيع الوقت والجهد، ثم انثنى على الإسلام يبين أن الشريعة لم تُحرم سوى الجدل العقام ـ على تعبيره ـ الذي لا يهدف لشيءٍ، يقول: (وكل ما ورد عن علماء الإسلام الذين حرموا الجدل فإنما ينصرف إلى منع هذه اللجاجة التي لمسوا شرورها وتحققوا من جريرتها ولم يلمسوا معها منفعة)[1]، ويقول: (وعلى كثرة الفقهاء الذين عرضوا لهذا الموضوع لا تجد واحدًا منهم قصد بالمنع أو التحريم شيئًا غير هذا الجدل العقام، الذي يمزق وحدة الجماعة، ويصرف العقل عن الفهم، ويأتي إلى المعنى الواضح فيغمضه، ولا يتفق له يومًا أن يأتي للغامض فيجلوه ويقربه لمن خفي عليه)[2].

ثم يمارس نوعًا من الحصر للقارئ؛ فيذكر أن اثنين من العلماء (الغزالي وابن تيمية) هما من تعرضا لقضية المنطق (المجادلة بالعقل)، وأنهما تعرضا لها للتصحيح والتنقيح وليس للرد[3].

يدعم بذلك فكرته الأولى، (إعمال العقل)، فيقول ضمنًا ـ بل يصرح ـ بأن الشريعة لا تمنع إعمال العقل والمناقشة من أجل الوصول للحقيقة، وأن هذا حال المنتسبين للشريعة.

عباس العقاد يتعرض لقضية (الجدال) لأمر آخر، وهو الدلالة على تعظيم العقل،

---

(1) موسوعة عباس العقاد الإسلام ـ دار الكتاب ـ المجلد الخامس ـ بيروت ط. 1971 ص857 ـ 859.

(2) التفكير فريضة إسلامية ص858.

(3) ص 858، 859.

وقد بينت أمر العقل وأننا لا نفرده ولا نطرده، وإنما له مسار محدود يسير فيه، على اعتبار أن العقل محدود الإمكانات. والآن أبين قضية الجدال.

طرفان ووسط:

يوجد ثلاث حالات لتناول المسائل العلمية (النظرية تحديدًا): مراء، وجدال، وترك للحوار بالكلية.

المراء إفراط، وترك الحوار بالكلية تفريط، والوسط هو جِدالٌ مشروط.. جدالٌ بالتي هي أحسن:] ~ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ Z [النحل: ١٢٥].

المراءُ نوعٌ خاص من الجدال، يزيد على طلب الحق فيه مشاحنة ومخاصمة بين الطرفين، كل واحد منهما ينزع ما بيد صاحبه[1].

المراء حالة لا يراد فيها الحق، وإنما يراد فيها الغلبة على الخصم، تكون هناك نتائج (مفاهيم) مسبقة يُقرأ النص من أجل الدلالة عليها.. أو يقرأ النص ليؤتى به شاهدًا عليها، وقد نهينا عن المراء: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**»[2].

والحق واضح أبلج، ولا سبيل للمراء إلا باتباع المتشابه أو بافتعاله؛ إذ إن الكلام في المتشابه لا ينضبط، وخاصة إن قل علم الخصم.

---

(1) يذكر صاحب مقاييس اللغة أن المراء يدور على أمرين: (مسح شيءٍ واستدرار)، و(على صلابة في شيء). انظر: مقاييس اللغة، مادة مرى (5/252).

(2) أبو داود برقم 4802، وانظر: السلسلة الصحيحة (1/272). وربض الجنة: أطرافها.

المحكم والمتشابه[1]:

نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من حيث الإحكام وعدمه على ثلاثة أقسام: منها ما هو محكم حقيقي، ومنها ما هو متشابه حقيقي، ومنها ما هو محكم إضافي.. ويقال له أيضًا متشابه إضافي.

المحكم الحقيقي: هو الذي لا يحتاج لغيره لبيان معناه، وهو الغالب الأعم.. هو أم الكتاب كما قال منزل الكتاب، ولله الحمد.

والمتشابه الحقيقي: هو الذي لا يتضح معناه ولا بغيره، وهو قليل جدًّا في القرآن الكريم، ولا ينبني عليه حكم شرعي. فقط يُطلب فيه التسليم بأنه من عند الله.

والمتشابه الإضافي أو المحكم الإضافي: هو الذي يحتاج لغيره لبيان معناه، مثل المطلق مع مقيده، والعام مع مخصصه، والمنسوخ مع ناسخه، وهكذا؛ فهو وحده متشابه، وحين ينضم إليه غيره يصير محكمًا.

يقول الله تعالى:] g h i j k l m n o p q r
s u v w x y z { | } ~ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا
يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ¶ إِلَّآ أُوْلُواْ
ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ Z [آل عمران: ٧].

والمقصود أن الذين يمارون هم الذين يقفون في المتشابه الذي لا يتضح معناه، أو

(1) من أفضل من يقرأ له في المحكم والمتشابه هو الشيخ الدكتور عابد السفياني، وله أطروحات على الشبكة العنكبوتية، وأكتب من حفظي، وما منعي من التوثيق كسل، وأعلاه من الموافقات للشاطبي، وإعلام الموقعين، والقواعد الفقهية لابن عثيمين.

يفتعلونه من خلال المتشابه الإضافي، أو ما يقال له: المحكم الإضافي، أو من خلال البتر للنص من سياقه القولي أو الفعلي، أو من خلال تحريف المعنى، كما يفعل النصارى[1].

والمقصود أن من يفعل هذا هم الذين في قلوبهم مرض، هم الذين في قلوبهم زيغ، كما وصفهم ربهم سبحانه وتعالى. ويفعلون ذلك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

والـذين يتركـون النقـاش بالكليـة هـم أصـحاب البـدع العمليـة في الغالـب، كالمتصوفة[2]، لا يناقش.. يلوذ بالفرار من النقاش ويرمي في وجه كل من يتحدث إليه بجزء من حديث وابصة ـ رضي الله عنه ـ: «**استفت قلبك وإن أفتوك**».

فالشريعة تقف للمراء، وتسمح لجدالٍ بالتي هي أحسن، وتستدعي أهل العزلة إلى النقاش والحوار ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عـن بينـة، والـشريعة تعـرف الدعوة إلى الله، مجادلةً لدعوة الناس إلى الله، لا مصالحة مع الباطـل والتقـاءٍ معـه عـلى المشترك.

والعقاد بعيد عن هذا؛ العقاد في وادٍ آخر، يتكلم عن أن المراء ممنوع ليقفز مبـاشرة إلى أن كل من كان ذا هدفٍ له أن يتكلم كيفما شاء، وأن يعمل عقله حيث شاء، يوطـد لإباحة ما حرم الله بدعوى أنه الجدال المشروع، وإعمال العقل المشروع في الشريعة.

---

(1) في كتاب (الكذاب اللئيم زكريا بطرس، وهو من جزأين) أكثر من مائة صفحة فيها بيان كيـف تتكون شبهات النصارى، وأمثلة من كذبهم، وهي تصلح للاستشهاد هنا. وهذا كله من المحكم الإضافي.

(2) احتار العقاد في تأصيل معنى الصوفية في كتابه هذا (التفكير فريضة إسلامية)، وأتى على صوفة الذي كان يجيز الناس بعرفة ومنى في الجاهلية، وكلامه متخبط، ولو يسع المقام أفردت له نقاشًا خاصًّا، وخير منه في هذه النقطة جواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

الاستدلال بالتاريخ:

قبل المناقشة أريد أن ألفت نظرك ـ أخي القارئ ـ إلى طريقة الاستدلال التي ينتهجها عباس العقاد.

يعتمد في استدلاله على التاريخ، وليس الكتاب والسنة، يأتي بها في التاريخ ويدّعي أن ذلك لابد أنه هو حقائق الكتاب والسنة؛ يقول: (ولم يكن هذا الدليل الواقعي من روح الإسلام مقصورًا على وطن أو سلالة، فيقال: إنه مستمد من تراث ذلك الوطن أو تلك السلالة، ولكنه عمَّ بلاد المسلمين جميعًا في عصور كثيرة، فلا يرجع به المؤرخ المنصف إلى وحي غير وحي الكتاب الكريم)[1].

ماذا يفعل العقاد؟!

يستدل بالتاريخ، وليس فقط، بل ويدّعي أن التاريخ هو الكتاب والسنة!!

قلتُ: والاستدلال بالتاريخ من المكر الكبّار الذي يمارسه المستشرقون وإخوانهم (المستغربون) من بني جلدتنا، والاستدلال بالتاريخ إحدى الركائز الكبرى التي يعتمد عليها المحاربون للشريعة الإسلامية (من الكافرين والمنافقين).

كتبوا التاريخ بطريقة فاسدة، عن طريق إظهار الشواذ في الفكر والسلوك من أمثال حركات التمرد على الخلافة الإسلامية، والملحدين من زنادقة القرون الأولى ومن الفلاسفة بعد ذلك، أو استغلوا أن مَنْ دونوا التاريخ سجلوا فقط الأحداث، ثم راحوا بعد ذلك يقرؤونها بخلفياتهم الفاسدة، ويستدلون بها على ما يحدث اليوم.

---

(1) التفكير فريضة إسلامية ص876.

ومن المسلّم به أن أحداث التاريخ تُحاكَم إلى الشريعة الإسلامية لا أنها يؤخذ منها الأحكام الشرعية، أو تحاكَم إليها الأحكام الشرعية.

وشيء آخر يفعله العقاد هنا حال الاستدلال على ما يذهب إليه في قضية (الجدال): يأتي بأقوال نفر يسير من أهل العلم مدّعيًا أن لم يتكلم في القضية إلا هؤلاء، ولا يناقش إلا يسيرًا جدًّا.. فقط يعرض بعضًا مما عندهم ويدور حوله موهمًا القارئ أنهم لم يخالفوه وأنه لا يخالفهم في شيء، ثم بعد ذلك يستنبط على هذه المقدمات الفاسدة أشياء أفسد منها!!

طريقهُ مغلوطٌ.. معوجٌ.. مظلمٌ.. سكنته الهوام.. فاعرفه ولا تسر فيه. وإن نادى عليك.. ونادى عليك، أو نادى عليك أتباعه.

أخطأ في التصور، وأخطأ في الاستدلال، وبالتالي خرجت النتيجة خاطئة آثمة لا يرضى بها شريف.

ما لم تأتِ به الأوائل:

كان العقاد ـ ولا يزال ـ منفردًا، يحب التميز ويبحث عنه، وقد رأينا أنَّ الرجل متفرد في كل شيء، رأى الناس تسير في طريق سهلٍ ذلول فارتقى صعبًا وأقسم أن يسير فيه، ولذا ما سار إلى غير بعيد، ولن يسير إلى غير بعيد!!

رأيناه وهو يدافع عن (بولس ـ شاؤول)، ورأيناه وهو يدافع عن كتاب النصارى، ويمتدح غاندي الهندي عابد البقرة، ورأيناه وهو يتطاول على الكرام صحابة خير الأنام ﷺ، ورأيناه.. ورأيناه.. دائمًا بعيد.. غريب.. وحيد .

وفي هذا الكتاب أتى العقاد بما لم تأت به الأوائل من الحاملين للـواء الـدين ـ ولـو ادعاءً كما العقاد ـ عَقَدَ العقَّـاد فـصولاً عـن (الفلـسفة) و(العلـم الحـديث.. التقنـي) و(الفنـون الجميلـة) و(المعجـزة) و(الأديـان) و(الاجتهـاد في الـدين) و(التـصوف) و(المذاهب الاجتماعية والفكرية كنظرية التطور والوجودية) و(العرف والعادات).

القاسم المشترك بينها أنها قضايا كانت ثائرة في واقع العقاد، كانت قريبة من العقاد وهو يكتب، نشرها المستشرقون، وأوقعوا أهل (الفكر الإسـلامي) في حـصر وهمـي، دفعوهم لمناقشتها والموافقة عليها حتـى لا يُرمَـوا بـالتخلف والرجعيـة... إلـخ، وقـد استجاب نفر، منهم عباس العقاد، أقنع الناس بأن العقل هو المركوب الوحيد للوصول إلى حقائق الدين، ثم ركب عقله وانتهى إلى أن كل واحدةٍ من هذه لها من الدين مظلة، أو لها مكان تحت مظلة الدين!!

ويستدل بالتاريخ؛ فـ(دولة الإسلام كانت أرحب الدول صدرًا وأسـمحها فكـرًا مع الفلسفة على عمومها والفلسفة اليونانية في جملتها)(1)، (ومـن أصـيب مـنهم يومًـا بمكروه فإنما كان مصابه من كيد السياسة ولم يكن مـن حـرج الفلـسفة أو حجـر عـلى الأفكار)(2).

وهذا الكلام باطل، ولا يحتاج لمن يشهد على بطلانه، فمن قلة العقل أن يقـال: إن وجود الخارجين على الشريعة في التاريخ دليل على صحة مذاهبهم.. أليس كذلك؟!

فمن يقرأ التاريخ لا يجد هذه المذاهب ولا الداعين إليها محـل ترحيـب مـن عـوام

(1) ص873.
(2) ص874.

المسلمين وخواصهم، فمما يعرفه الجميع أن رؤوس أصحاب الفرق والمذاهب أصيبت ديانةً لا سياسةً، كالجهم بن صفوان، والجعد بن درهم والحلاج؛ ومما يعرفه الجميع أن نفرًا غير قليل من الشعراء والأدباء قتلوا بتهمة الزندقة، كبشار بن برد وابن المقفع، بل إن من أشهر ما يمكن رصده في أحداث القرن الثاني الهجري هو (الزندقة).. الاتهام بها وقتلُ نفرٍ بتهمتها.

والمستشرقون معوجُّون في حديثهم عن الزندقة، فمرةً يقولون بأنها كانت تصفيات سياسية باسم الدين، وما كانت كذلك، فما قتل الجعد سياسيًّا، ولا الجهم، ولا بشار بن برد، ولا ابن المقفع.

ومرةً يستدلون بهؤلاء على وجود المذاهب المنحرفة في العصور الأولى، كما يفعل العقاد هنا وهو يدلل على شرعية الفلسفة بوجودها في أحداث التاريخ.

والحقيقة غير ذلك.

الحقيقة أن المنحرفين لم يلقوا ترحيبًا من أحد، ودعوى أن تصفيتهم كانت سياسية دعوى خاطئة لا تنهض بنفسها ولا بغيرها.

والحقيقة أن فصل الدين عن السياسة لم يكن موجودًا في هذه الأيام، كانت كلها شرعية، ولم يكن مصطلح السياسة قد ظهر بلفظه أو بمعناه[1].

بل إن العكس هو الصحيح، فقد كان هناك تآمر على الشريعة الإسلامية، حتى إن

(1) السياسة من (ياسة.. كتاب التتار)، أضيف إليها حرف السين ثم (أل) التعريف، وظهرت بعد التتار.

كل المذاهب التي ظهرت في الملة أصولها من الكافرين، وإن رحت تستقصي الأفكار الهدامة التي دخلت الإسلام تجد أن أصلها من الكافرين.. يهود وغيرِ يهود، أثَّر اليهود ـ أو الكافرون عمومًا ـ في نفرٍ من الكارهين لبعض ما أنزل الله أو بعض المغرضين أو مرضى النفوس الذين يبحثون عن ذواتهم من خلال الدعوة إلى الله (المنافقين).

مثلاً: بدعة القدرية (أن الإنسان حر في اختياره) أَوَّلُ من تكلم بها سَوْسن في العراق، وهو نصراني عراقي أسلم ثم ارتد ثانية إلى الكفر، هذا الكافر المرتد تكلم بالقدر، وأخذ عنه معبد الجهني[1]، ثم جاء بعده غيلان القدري وكان بليغًا فتكلم وأكثر، وناظر الضعفاء؛ وعاند العلماء.

والشيعة بدأها ابن سبأ اليهودي، بعد أن دخل في الإسلام وتقمص دور (المؤمنين) وتعامل مع مرضى النفوس (المنافقين) والغافلين المتحمسين، فكان ما كان.

وبدعة الجبر (أن الإنسان مجبور) والإرجاء في الإيمان[2]، والتعطيل في الأسماء والصفات ظهرت على يد الجهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم، كانت أسانيدهم (ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة)[3]، حتى الفلسفة والعلوم الأخرى التي دخلت للإسلام وأظهرت في المذاهب الفكرية المنحرفة، كان للآخر علاقة بها، متعاونًا مع الذين في قلوبهم مرض، وهذا يظهر أثر مخالطة المبتدعة.. والضالين.

---

(1) ذكر ذلك الحافظ الذهبي في ترجمة معبد الجهني في سير أعلام النبلاء (4/187).

(2) ذكر الدكتور سفر الحوالي في كتاب (الإرجاء) أن إرجاء الفقهاء ظهر قبل الجعد بن درهم والجهم بن صفوان. وإنما عنيت هنا البدعة التي يفسق صاحبها أو يكفر في الإيمان وفي الأسماء والصفات، والتي تسللت للدين عن طريق الجهم والجعد.

(3) الفتاوى (5/6).

فهناك نفوس تشرب البدعة وتأبى إلا ذلك. هذه نفوسُ المنافقين، ويتصل بها (الآخر) بقصد ـ وهو الغالب ـ أو دون قصد، ويقوم بتفعيلها لتحدث الفتنة في صفوف المؤمنين.

ولهذا السبب تأثر الفكر الإسلامي بالأفكار الأخرى مع أننا كنَّا الغالبين، والغالبُ في الغالبِ لا يتأثر بالمغلوب، وإنما أُتينا من قبل المنافقين ـ مرضى القلوب ـ اتصل (الآخر) بمرضى القلوب أو اتصلت بهم القلوب المريضة فشربت من حياضهم ثم عادت إلينا، تروي المهزومين والمتطفلين بما ارتوت به.

وعلى عجالة أضرب لك بعض الأمثال، ولا تعجل؛ فهذا من صلب ما تكلم فيه العقاد.. إنه الفكر الخبيث في جملته يتسلل من كل طريق:

ابن المقفع، كان (أحد البلغاء والفصحاء، ورأس الكتّاب)، وكان الخلفاء يبحثون عن المتميزين، ويغضون الطرف قليلاً وكثيرًا عن خلفياتهم العقدية، فأسلم هذا الفصيح البليغ الماهر كبيرًا، وقام بترجمة كليلة ودمنة، وكان هذا الرجل أصل كل زندقة في هذا العصر، يقول الخليفة محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور: (ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع)[1].

وكان خلفاء الدولة العباسية ـ المنصور والذين جاؤوا من بعده ـ يتخذون أطباء من النصارى، وكان الطب يومها مقترنًا بالفلسفة وبعلم الكواكب (الفلك)، وكان هؤلاء الأطباء يترجمون بأمر الخلفاء الكتب إلى العربية للإفادة منها ـ بزعمهم ـ ولم يكن

(1) يروي هذا الحافظ الذهبي في ترجمة ابن المقفع في سير أعلام النبلاء (412/9). وأخبار ابن المقفع مشهورة.

هؤلاء الأطباء فقط أطباء بل وفلاسفة ولهم مجالس عامرة، ولهم حظوة عند الخلفاء[1]، ومن هنا تسللت الانحرافات الفكرية إلى المسلمين، عن طريق الآخر الذي كان يترجم كتب قومه، وعن طريق من أعجب بقوله من المنهزمين، ومن المنصرفين عن دينهم، المنافقين. والآخر يبحث عن هذه النوعية دائمًا.. يبحث عمن لهم ولاءات متعددة داخل المجتمعات الإسلامية، سواء أكانت هذه الولاءات عرقية (كرديًّا) (بخاريًّا) (تركيًّا).. أو ولاءات (تربوية) (فكرية).. مبتعث تأثر بالغرب مثلاً.

وإن تدبرت في الذين قاموا بالتحولات الفكرية في مصر وجدت جلهم ممن لهم ولاءات أخرى يناهضون بها الأنظمة أو المجتمع أو الدين.

كان بعضهم من أصولٍ أجنبية مثل (قاسم أمين) على فصاحته وحسن بيانه، (المازني) (جمال الدين الإيراني) (عباس العقاد، وكان كردي الأصل يفاخر بأصله الكردي).

وكان بعضهم لهم ولاءات دينية دخلوا بدعوى (الانفتاح) و(الحرية) و(الأدب)، كـ(مي زيادة) و(سلامة موسى) و(مرقص فهمي) وهو صاحب كتاب قاسم أمين على الحقيقة هو والدوق الفرنسي، ومثل (جوزيف قذى) و(شيخو).

ذلك، وليست هذه دعوة للتعصب لجنس معين.. أبدًا، وإنما: إشارة إلى ذوي الولاءات المتعددة، حتى لا نكثرهم بالبعثات، وفتح الأبواب لهم، فديننا لا يعرف الجنسية، والوزن بالتقوى:] Q R S T U Z [الحجرات: ١٣]، وعلماء السلف جلهم من غير العرب، وحماة الدين بعد جيل الصحابة والتابعين من غير

(1) انظر: ترجمة يوحنا بن ماسويه في الأعلام للزركلي (8/210،211).

العرب؛ فليست عربية وإنما إسلامية تشير إلى ذوي الولاءات المتعددة كي نحذر منهم كان عربًا أو كانوا عجمًا.

والمقصود هو بيان أن هؤلاء الخارجين على الدين، رؤوس المذاهب، لم يكونوا محل ترحيب، ولم يكونوا ممن يريدون الخير، بل يريدون هدم الملة.

والعجيب أن عباس محمود العقاد يعرف هذا الأمر ويشير إليه، يقول: (وربما كمنت السياسة وراء دعوات المتفلسفين كما كانت وراء المصادرة من جانب الدولة وحكامها؛ لأن الزندقة التي كانت تتستر بستار الفلسفة إنما كانت في ناحية من نواحيها ثورة مجوسية ترمي إلى هدم الدولة الإسلامية وإقامة الدولة الفارسية في مكانها)[1].

الذي حصل: أنه بعد ضعف الدولة الإسلامية، وتسرب فكر علماء الكلام إلى الخلفاء (كالمأمون على سبيل المثال)، وجد هؤلاء متنفسًا، وصار لهم نوع من (الشرعية) المستمدة من السلطان، وليس من الشريعة الإسلامية.

الذي حصل أن عامة المثقفين مَلُّوا الخلاف والجدال فمالوا إلى الوسط بين الحق والباطل، فجاءنا باطل جديد انتشر بدعوى الوسطية.

الذي حصل أن نفوسًا مريضة تحب التطفل، وتحب الغريب وغير المألوف، ذهبت إلى القوم بلا أي دافع سوى تعلم الغريب الشاذ، فحملت منهم وجاءت عندنا وباضت وفقس بيضها وشب فراخها.

هذا الذي حصل.. واضح جلي في كل صفحات التاريخ.

---

(1) التفكير فريضة إسلامية ص875.

وجاء عباس العقاد من بعدهم يقول: لو لم يكن وجودهم هو صريح القرآن لما وجدوا!! كعادته يستخف بعقل من يقرأ!!

وقد أطال ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من علماء الإسلام في التصدي لأهل الفلسفة وأهل الفرق.. ولا أطيق حمل كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والغزالي ـ رحمهم الله ـ وغيرهم، ووضعها هنا ملخصة في هذا البحث، ولا يطيقه القارئ، ولكن من شاء فليرجع إلى (درء تعارض العقل والنقل).

وما لي بمناقشة وضع الفلسفة في الفكر الإسلامي من حاجة ها هنا، ولا كان للعقاد بها حاجة حين تناولها في كتابه (التفكير فريضة شرعية) غير التدليل على أن وجودها في التاريخ الإسلامي أمارة على حرية التفكير في الإسلام، وهو كلام باطل كما مضى.

العلم التقني الحديث:

توطئة:

علاقة الإسلام بالعلم التقني الحديث، أو طلب العلم التقني الحديث من عند الغرب، قضية ثائرة منذ اتصل الشرق بالغرب في القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، والحديث في علاقة الشريعة بالعلوم التقنية الحديثة أو طلب العلوم التقنية الحديثة من الغرب، حديثٌ لا يراد لذاته وإنما يراد لأشياء أخرى، يتضح ذلك بالنظر في حال المتحدث ـ في هذه القضية أعني ـ وبالنظر في سياق الحال الذي تعرض فيه هذه القضية.

عامةُ المنادين بالتقدم تقنيًّا كما تقدم الغرب ليسوا من المنشغلين بالتقنية الحديثة،

وليسوا من القائمين على تطوير المجتمعات الإسلامية تَقَنِيًّا، وإنما من المنشغلين (بالفكر).. من المنشغلين بـ(الفن) و(الأدب)، أو من الشرعيين المنشغلين (بتحسين) صورة الإسلام أمام الغرب والشرق.

هذا ملحظ لابد من الانتباه إليه!!

والسياق العملي الذي يطرح فيه الحديث عن (تخلفنا التقني)، أو طلب ما عند الغرب والشرق من (تقدم تقني) هو القول بأن (التقدم) و(التطور) و(الرقي)، و(التحضر) لا يكون مع سيطرة المتدينين على عباد الله، كانوا مسلمين أم كانوا كافرين، وبالتالي على من يريد أن (يتقدم) و(يرتقي) و(يتحضر) أن ينبذ الدين وراء ظهره، تمامًا كما فعلت أوروبا مع النصرانية.

هذا إن كان المتكلم علمانيًّا لا يؤمن بما أنزل على محمد وهو الحق من ربه.

وإن كان المتكلم من (الشرعيين) فإن الحديث يأخذ طريقًا ملتويًا إلا أنه يصل إلى ذات النتيجة أو قريبًا منها!!

فتجد هؤلاء (الشرعيين) أو (الصحويين) يتحدثون عن (الانغلاق) و(التشدد) و(الكهنوت)، و(احتكار تفسير النص)، وكل هذا إزاحة للدين عن طريق التطاول على المتدينين. وليس ثَمَّ مَنْ يَطْعَنُ مباشرة في الدين، وإنما يطعنون في المتدينين؛ كل الطاعنين في الدين يأتونه من قبل الطعن في المتدينين!!

الدعوة إلى التقدم التقني وما يتبعه من رقي مادي وحضاري ورفاهية في المعيشة... إلخ، هي النقطة التي انطلق منها دعاة التغريب بالأمس؛ إذ كان الهدف المُعلن من الاتصال بالغرب عند من اتصل بهم وزيَّن للناس الاتصال بهم هو التقدم كما تقدموا،

وغني عن الذكر أننا لم نحصل على شيء مما تكلموا به، وصار حالنا اليوم على هذه الحالة من التخلف المادي والعلمي، مع أننا امتثلنا أمرهم، وسرنا في دربهم واقتفينا آثارهم!!

ما شأن هذا بعبَّاس العقاد؟!

أو ما شأن عبّاس العقاد بهذا؟!

عبّاس العقاد كان يكتب في كل شيء، بدعوى الثورة على التخصصية، وبدعوى أنه موسوعي يفهم في كل شيء!!

وفي كتابه (التفكير فريضة إسلامية) تحدث باسم الشريعة لعامة المسلمين بأن يخرجوا ويتعلموا العلوم التقنية كي نتقدم كما تقدم القوم.. ينادي في الناس بأن ليس ثَم ما يمنع من تعاطي ما يأتي من الغرب.. كل ما يأتي من الغرب..(العلوم التقنية الحديثة) و(الموسيقى) و(الغناء) و(التمثيل) و(التماثيل) و(الفنون الجميلة).. وليس فقط (العلوم التقنية الحديثة).

وقف يقول: كل ذلك حلال.

عبّاس في هذا الكتاب يتسلل من أن العقل محل احترامٍ في الإسلام، وأن (التفكير فريضة إسلامية) إلى القول بأن نُعمل التفكير فيما يأتينا من الغرب.. ثم يُعْمِلْ هو التفكير ويقول: لا شيء حرام.

ييبح التمثيل والتماثيل:

(العلوم التقنية) و(الموسيقى) و(الغناء) و(التمثيل) و(التماثيل) و(الفنون الجميلة) ليست حرامًا عند عباس العقاد. في هذا يتكلم عباس العقاد في كتابه التفكير فريضة

إسلامية.

ويستدل بأن لا تحريم مع انتفاء الضرر، وأن الزينة مباحة في الإسلام، وأن الصحابة كانوا يسمعون الغناء!!

وهذا ينقله عن أستاذه محمد عبده، وعما تسرب من دراسات الاستشراق، وبرز هذا الكلام بشكل موسع في تلك الأيام، وكان الإطار العام هو التحدث للغرب بأننا مثلكم، لا (خير) عندكم لا يمكن لنا أن يكون عندنا مثله، وإن كان (رقصًا) وإن كان (تمثيلاً) أو (تماثيل)، فلم يكن العقاد وحده من تكلم بهذا، وإنما نفر قبله ونفر بعده.

وكل الضرر في التماثيل، فثلثا بني آدم ممن يعبدون الأحجار في شرق المعمورة، بل تسعة أعشارهم (إذا اعتبرنا أن النصارى وثنيون بتقديسهم للصور والأيقونات، بل إن النصرانية انحراف وثني لم يخرج عن الوثنية كثيرًا، هي الحقيقة وإن أنكروها)، وقد حدثنا الصادق الأمين بأن الناس سيعبدون ثانية اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ومن له معرفة بعقلية إبليس، وكيف يفكر، يعلم أن الأصنام.. أو الصور.. أو الأوثان.. أو المشاهد هي محور أساس في عقلية إبليس. وقد شرحت هذا وبينته في مكانٍ آخر[1]. فكيف يقول عباس وغيره بأن لا ضرر مع التماثيل؟!

والصحابة لم يسمعوا الغناء، بل حرّموه والعقاد يكذب عليهم[2].

ولا أحد يقول بأن ما يعرضه أهل التمثيل مباح؟! لا أحد يقول بهذا. وقد كان

(1) انظر للكاتب: (قراءة في عقلية إبليس)، و(دور الشيطان في تحريف الأديان) بالصفحة الخاصة في صيد الفوائد وطريق الإسلام.

(2) قدمت مبحثاً كاملا أبين فيه تطاول عباس العقاد على صحابة رسول الله ﷺ

حال التمثيل والممثلين في زمن العقاد أسوأ بكثير من حالهم اليوم، حتى لا يبادرني أحدهم بالقول بأن الرجل رأى أطهارًا على الشاشات فتكلم بتلك الكلمات.

فالتمثيل و(الفنون الجميلة) ليست أبدًا من المباح، وعمليًّا لا تنهض بالمباح[1]، فلم يقل أحد: إن النظر للساقطين والساقطات في شاشات السينما والتلفاز مباح أبدًا، إلا عباس العقاد ومن قال بقوله.

قلتُ: أكثر الرجل من غزو النساء، وكانت كتاباته (الإسلامية) حال عشقه لإحدى الممثلات (الفنانات) الصغيرات، ومعلوم أنها رفضته مع إعجابها بشخصه لكبر سنه ربما؛ إذ قد تجاوز الخمسين، فلربما حاول أن يركب حمارًا من (الحلال) ليتفيأ ظلالها.. ربما، وقد سبقه نموذج شهير، انحرف حين أعجب بإحداهن، وما وجد سبيلاً غير محاولة تحريف الملة لينال من قدِّ حبيبته، أعني ابن عربي.

فقط أبين لحضراتكم فيما يتكلم العقاد في كتابه (التفكير فريضة إسلامية)، ذاك الكتاب الذي ذاع صيته في كل مكان، وأبين لحضراتكم إلى أين ينتهي العقاد حين بدأ الحديث عن (التفكير)، أو عن احترام الإسلام للعقل.. إلى حيث طه حسين، وقف بجواره يدعو بدعوته!!

العقاد في هذه الجزئية مثل طه حسين ـ في هذه الجزئية أعني ـ فطه حسين (وهو

---

(1) عبارة عباس العقاد ملتوية؛ يقول: (وليس من الحق أن فن التمثيل يضيق بالمباح المقبول من الشريعة الإسلامية). ص905 من موسوعة دار الكتاب. ومفاد كلامه وكلام من ينقل عنه ومن يتكلمون بجواره في ذات الموضوع، أن التمثيل مباح، ولا داعي لاستحضار صورة ذهنية ليست موجودة اليوم ولم تكن موجودة في زمن العقاد لنتكلم عنها، فتلك من حيل من لا خلاق لهم.

صديق العقاد) قال: نأخذ منهم كل شيء، فثارت الدنيا عليه، وعباس العقاد عاد إلينا وسنَّ قلمه وراح يقول لنا: ليس في ديننا ما يمنع ما يأتينا من الغرب من فنون وتمثيلٍ وتماثيل... إلخ. فما الفرق؟! أثَمّ فرق؟! الفرق فقط في الأسلوب، بل حين تدقق النظر تجد أن العقاد أشد وطأة علينا من طه حسين.

فلا داعي ثانية أن نحفل بالعقاد، ونقول: مفكر إسلامي يدافع عن الدين وسيد المرسلين ﷺ، ولا داعي أن نحفل بكتابه (التفكير فريضة إسلامية).

تخلفنا التقني.. من السبب؟!

التحدث عن (التطور) و(الرقي) و(تعلم العلم الحديث) ذر رمادٍ في العيون، الحقيقة أننا حين اتصلنا بالغرب ذهبنا إليهم لنتعلم منهم ما نهدم به ديننا، كانت البعثات أدبية.. عقدية.. تتعلم ما يضاد العقيدة، ولم تكن البعثات علمية تقنية كبعثات اليابان؛ فقد كان المتحدثون عن ضرورة أخذ ما عند الغرب من علوم حديثة في وادٍ، وما يحدث على أرض الواقع في وادٍ آخر، والحقيقة أننا لم نحصل على شيء مما تكلموا به، وصار حالنا اليوم على هذه الحالة من التخلف التقني، مع أننا امتثلنا أمرهم، وسرنا في دربهم واقتفينا آثارهم!!

والعجيب أنه إلى اليوم تجد بعض الشرعيين ممن يجنح للعقلانية في تناول المسائل الشرعية يتكلم من وقت لآخر عن التقدم التقني وأنه ضرورة، ويظنون أن سبب تخلفنا التقني ـ وبالتالي الحضاري كما يحلو لبعضهم تسميته ـ هو وجود النظرة المتشائمة للعلوم التقنية عند الإسلاميين، أو أننا بعد لم نأخذ بالأسباب اللازمة لذلك، ولم نحاول تلك المحاولة الجادة، وعلينا المحاولة من جديد وبذل الأسباب المادية وتيسير

الفتاوى الشرعية المؤدية لذلك، فنشجع الموهوبين ونبرز مدى اهتمام الشرع بعلوم الطبيعة وتحريضه على عمارة الأرض.

وهذا الكلام منقوص ـ أقول: منقوص ـ لا يمكن أن يُقبل وحده، بل يحتاج لكلامٍ قبله وكلامٍ بعده، وهذه بعض الملحوظات تزيل الغبش وتجلي الحقائق في هذه القضية التي تتجدد من وقت لآخر.

أولاً: من البديهي أن نتاج التقدم التقني في شتى المجالات عبارة عن وسائل تخضع لمن يتعامل بها، فهي في ذات نفسها لا توصف لا بحلال ولا بحرام، وإنما على حسب من يستخدمها، فمثلاً الحاسوب (الكومبيوتر) والتلفاز، والأسلحة المتطورة، وفن العمارة، قد يستخدم في النافع وقد يستخدم في الضار، وذلك تبعًا لمن يستخدمه.

وقد رأينا الكيميائي حين تَفْسد أخلاقة ينتج المواد المتفجرة، والسموم المخدرة، ورأينا الطبيب حين تفسد أخلاقه يتاجر بالطب ويبتز المريض وقد يتعدى على الحرمات حال التشخيص. وجملةً.. لم تستفد البشرية كثيرًا من الرقي المادي الذي جاءها على يد من لا خلاق لهم من العلمانيين، وتحولت المعمورة لساحة من الصراع والاقتتال، والمتاجرة بأرواح الناس وأموالهم، وفسد الجو والبر والبحر بل والطعام والشراب من نتاج الحضارة والرقي؛ كونها وسائل يتحكم فيها مَن لا خلاق لهم.

فالقضية الأولى التي لا بد من حسمها أولاً هي ضبط الأخلاق.. ضبط القيم قبل التقدم التقني حتى لا يعود علينا شرًّا ونجني منه حنظلاً. وذلك عند الأفراد الذين يعملون في هذا المجال وعند الأمة التي تستعمل نتاج هذه العقول. والتقدم التقني بلا قيم صحيحة لا يأتي أبدًا بخير؛ لذا إصلاح العقيدة أولاً، وهي قضية لا نتحرك إلى

غيرها قبلها، أو معها، بل هي أولاً، ثـم نتحـرك منهـا إلى غيرهـا، أو نتحـرك لغيرهـا مستوثقين بوثاق منها.. هي الثابت ندور في فلكه بما يسمح لنا.

ثانيًا: في الشرع ربطٌ واضح بين الإيمان بالله والرقي المادي والحضاري، أو بتعبيرٍ أدق جُعِلَ الرقي الحضاري والمادي إحدى ثمار الاستقامة على شرع الله؛ قال الله:] !
" # $ % & ' ( ) * + , - . / 0
1 2 3 Z [الأعراف: ٩٦]، والمصائب والفساد في البر والبحر كله بسبب البعد عن طاعة الله عز وجل؛ قال الله:] ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ Z [الروم: ٤١]، وقال الله:] وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ Z [الشورى: ٣٠].

فبغير الإيمان بالله تنقلب وسائل التقدم على البشر ولا يستفيدون منها كما هو حاصل اليوم. ولهذا الأمر تنظير عقلي وتاريخي أوضحه في النقطة التالية.

ثالثًا: لَمْ يتقدم العلم التقني مع اليونانيين والإغريقيين وتقدم مع العرب البدو الأميين ـ وهم أجدادي يرحمهم الله ـ كيف حدث ذلك؟!

في جملة واحدة: حدث ببركة الامتثال لأمر الله.

وتدبر.. جاء في القرآن الكريم الحديث عن النظر في الأرض والتدبر في مخلوقات الله، مرة بصيغة الأمر بأن يسيروا في الأرض من أجل النظر وتدبر آيات الله في خلقه، ومرة بأسلوب الحض، ومرة بصيغة التراخي (ثم) تنادي على من ضرب في الأرض غازيًا أو تاجرًا أو زائرًا أو مهاجرًا أن ينظر حال السير.

ففهم العربي البدوي الأمي ـ جدِّي يرحمه الله ـ المحب لله ورسوله ﷺ أنه مأمور بتدبر آيات الله الكونية، فعاد من الغزو ومن الترحال يتكلم عن أنواع الجبال (صخرية ورملية... إلخ) وعن أنواع الصخور، ويصف بعض الظواهر الغريبة، وبالتالي يبحث لها عن تفسير، كأن يرى بحيرة ملحاء في وسط الصحراء فيقول: إن البحر كان ها هنا يومًا ما ثم انحسر بفعل الريح التي حملت الرمل... وانتهى الأمر بعلم الجيولوجيا، وعاد بعضهم يصف النباتات وخرجوا علينا بعلم (المورفولوجي Morphology)، وقل مثل ذلك في نظريات الفلك والهندسة والطب... إلخ. تحول العلم من نظري إلى تجريبي فحدثت النقلة النوعية في العلم التقني. كل هذا ببركة الامتثال لأمر الله.

رابعًا: الخطاب الشرعي أخروي، معنيٌّ بالآخرة، وصلاح الدنيا يكون إحدى ثمار طاعة الله، بكلمات أوضح أتت الشريعة لتعبيد الناس لله، وعمارة الأرض يأتي في سياق مستلزمات تعبيد الناس لله، والعدل بين الناس يأتي كثمرة من ثمار عبادة الله في الأرض؛ فالخطاب الشرعي أخروي في جميع مفرداته، وقضايا الدنيا تكون تبعًا لقضايا الآخرة، مثلاً الصلاة تعبُّد في جوهرها، إلا أنها تثمر إصلاحًا في واقع الناس:] ´ µ ¶ ¸ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ Z [العنكبوت: ٤٥]، ولكنها ما شرعت أساسًا للنهي عن الفحشاء والمنكر، بل النهي عن الفحشاء والمنكر أحد أهدافها الفرعية، والزكاة فيها تكافل اجتماعي، ولكن التكافل الاجتماعي وسدِّ حاجة الفقراء ليس هو الأساس من فرض الزكاة وتشريع الصدقة، وإنما:] j k l m n o p q r t u v w y z { | Z [التوبة: ١٠٣]،] ¶ ¸ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ

كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ Z [الحج: ٣٧]، فتزكية النفس وتطهيرها لتنال رضوان الله والفوز في الآخرة هو المقصد الأول، وغيره فرغ عليه ولا يقبل بدونه، وفي موسم الحج:] f g h Z [الحج: ٢٨]، ولكن الحج لم يشرع أساسًا لأغراض اقتصادية، وإنما تأتي الأغراض الاقتصادية إحدى الأهداف الجانبية، وكذا الصوم:] 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A Z [البقرة: ١٨٣]، هذا هو هدفه الرئيس تحقيق التقوى، وتأتي أهداف جانبية للصوم منبثقة من هدفه الرئيس مثل صلاح الفرد (الصائم) في بيئته: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(1)، فخطاب الشرع في الأساس لم يَفْصل الدنيا عن الآخرة، بل رتبهما فجعل هذا من ذاك، الأخروي يتحكم في الدنيوي والأخروي هو الأساس.

وفائدة هذا الكلام هو أننا لسنا معنيين بتقدم تقني وحضاري دون أن ننطلق من أساس شرعي، دون بناء قاعدة صلبة على مستوى الأمة والجماهير والأفراد المعنية بالبحث في هذا المجال. والنقطة التالية تزيد هذا الكلام وضوحًا.

خامسًا: إبراز التقدم التقني على أنه مطلب أساسي وملحّ ـ وخاصة حين يتكلم بهذا الكلام الشرعيون ـ أدى إلى أن توجه طاقات الأمة إلى هذا المجال، وانفضوا عن العلم الشرعي، فنحن نرى اليوم المتفوقين من أبنائنا يتجهون للكليات الخدمية مثل

---

(1) جزء من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند البخاري ـ كتاب الصوم برقم 1771، ومسلم ـ كتاب الصوم برقم 1944.

الطب بفروعه، وبالتالي توجَّه إلى العلم الشرعي من لا يرغبه.. مَنْ حَمَلَهُ (المجموع) على دخول الكليات الشرعية، وانعكس ذلك على مستوى الدعاة في المساجد، فقد اعتلى المنابر قوم مكرهون وتجرأ عليهم العامة وصاروا يتندرون بفعالهم، وهي صورة واضحة جدًّا في مصر.

وبما قدمت من أنه لابد أولاً من ضبط القاعدة الشرعية عند الجماهير وعند من يتوجهون للمجال التقني، يلزم علينا أن نوجِّه طاقتنا الفاعلة للمجال الشرعي والتربوي حتى نفرغ من ضبط القيم، فهذه المرحلة ليست مرحلة التوجه للمجال التقني تحديدًا. وقد قدمت أسباب ذلك.

سادسًا: المساحة التقنية التي نتحرك فيها ـ نحن المسلمين ـ محدودة جدًّا، وهذا الكلام يفهمه كل ذي عقل، فالعقول تُستقطب لصالح الغرب الكافر أو الشرق الملحد، ولا يسمح لها أن تثمر في بلدها، ووسائل التقدم الحديثة بيد غيرنا، ونحن ـ المسلمين ـ في البلاد الإسلامية سوق استهلاكية لما تنتجه عقول هؤلاء أو عقول أبنائنا عندهم ممن يحملون جنسيتهم.

في إحدى حلقات برنامج ساعة حوار بإذاعة (BBC) سأل مقدم البرنامج أحد أساتذة الاقتصاد في جامعة القاهرة: لماذا لم تتقدم مصر مع أنها تمتلك كل إمكانات التقدم من عقول وأرض وثروات... إلخ؟!

فأجاب بجملة واحدة: لأن التقدم قرار سياسي في الأساس.

وهو والله الرأي؛ خريجو العلوم والهندسة والصيدلة ـ وهي الكليات المعنية بالتقدم التقني ـ مطحون بين الناس بحثًا عن رزقه، وحاملو الدراسات العليا بالكاد يجدون

قوت يومهم، وبعد أن يتخرجوا يتحولون إلى أدوات لابتزاز الناس من أجل الحصول على لقمة عيشهم، وسلوا المستوصفات والمستشفيات الخاصة، ومصانع الأدوية وشركات الدعاية الدوائية.

إنه سياج غليظ مرتفع من حديد مطلي بالقطران لا تكاد تبصر آخره.. أزيحوا هذه السدود ولن تجدوا حاجة للكلام على التقدم التقني؛ فهؤلاء هم السبب الرئيس في تخلفنا التقني، أبعدونا عن شرع ربنا، وفرطوا في ثرواتنا الفكرية والمادية، فهل يعقل قومنا؟!

سابعًا: التكلمُ في التقدم التقني من قبل الشرعيين في القديم، محمد عبده، وعباس العقاد، ومَن يتكلمون اليوم، توريطةٌ من الخبثاء المكّارين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ هدفها الرئيس هو تقديم بعض التنازلات الشرعية، ويتضح هذا حين يوضع أصحاب العمائم أمام أصحاب الكرافتات ويتصبب الشرعيون عرقًا حين تتكلم هذه الذئاب البشرية بأنها أنطقت الحديد، وركبت الجو والبحر ونقلت بالصوت والصورة كل شيء من كل مكان، وماذا قدم العمائم للناس؟! اللهم هذا حلال وهذا حرام، أو كما يعبر بعضهم بسخرية أحيانًا: (هذا حرام وهذا حرام)؟!

وينقلب هؤلاء على الشريعة ليفكوا حالة الحرج والضيق هذه فيقولون: الشرع لا يعارض العقل، والشرع مع التقدم التقني، والله أمرنا بعمارة الأرض، ويبترون النصوص من سياقها الفعلي والقولي لتنطق بمراد هذه الذئاب البشرية وينتهي الأمر بانحراف جديد في مفاهيم الشرع وليس بتقدم تقني كما أراد المشايخ ـ وفقهم الله[1] ـ.

(1) ولمزيد بيان راجع (محمد عبده.. من زرعه ومن حصده) للكاتب، بالصفحة الخاصة في موقع=

ثامنًا: والعلوم التطبيقية بوضعها الحالي تحتاج لمراجعة شرعية أيضًا، فهي تُدَرَّس بخلفيات علمانية، فآيات الله في كونه تفسر على أنها ظواهر طبيعية، والأمراض في مناهجنا نتيجة اختلال فسيولوجي (وظيفي) في جسم الإنسان، والعلاج بالدواء، والدواء هو المؤثر في المرض، وحين لا يؤثر العلاج فذلك إنما لأسباب تتعلق بكذا أو كذا، ودارسو هذه العلوم ومدرسوها بهم حالة من الاستعلاء على العلوم الشرعية وطالبي العلم الشرعي بل ومفاهيم الشريعة ـ أتكلم عن المجموع لا الجميع ـ.

وبهذا تضيع الفائدة الشرعية التي يستند إليها الشرعيون في تدريس هذه المواد، فإن كنتم لابد متكلمين ومزينين للناس تعلم هذه الأشياء، فراجعوا هذه العلوم أولاً من ناحية شرعية حتى لا تُخرج لكم تقنيين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

=صيد الفوائد، وشبكة القلم الفكرية، وموقع المختار الإسلامي.

الخاتمة

هذا هو عباس العقاد.. لم يستقم يومًا مع الجادِّين دفاعًا عن حمى الدين ونصرة للمتدينين.. نشأ وعاش بين المحادِّين لله ورسوله، يرى الديمقراطية هي أفضل النظم التشريعية، ولا يرى حرجًا في شيء يأتينا من عند الكافرين، فكله ـ بزعمه ـ مفيد، وكله ـ بزعمه ـ (حلال)!!

هذا هو عباس العقاد لم يكن يومًا أديبًا، بل كان مفكرًا، يُعمل عقله في كليات الشريعة، ولم يترك لنا تراثًا أدبيًّا، بل قراءة جديدة للشريعة!!

قراءة جديدة تحمل على ظهرها (الآخر).. مبادئه وأفكاره..

قراءة جديدة لم نستفد منها سوى مزيد من التبعية، ومزيد من الانشغال.

هذا هو عباس العقاد شاهدُ عيانٍ على أننا مازلنا خلف الحدث نحكيه ونحلله، أما صناعة الحدث.. أما صناعة الرموز، فمازالت منا ببعيد.

هذا هو عباس العقاد شاهد عيان على أن المكر كُبّار، وأن علينا أن نعد العدة ونشتد.

هذا هو عباس العقاد.. ما كان له أن يأخذ كل هذا الحجم في حسّ أحدٍ من المثقفين، فضلاً عن الطيبين، لولا أن الناس فقدت المناعة الفكرية التي تميز بها بين ما يقبل وما يرفض.

أسأل الله العظيم أن ينفع ويرفع، وأن يبارك، بفضله وكرمه ومنته.

محمد بن جلال القصاص

أهم المراجع

1. القرآن الكريم.
2. كتب السنة، وشروحاتها.
3. تفسير ابن كثير.
4. تفسير الطبري.
5. تفسير القرطبي.
6. تفسير السعدي.
7. أيسر التفاسير للجزائري.
8. السلسلة الصحيحة للألباني.
9. الرحيق المختوم.
10. مقاييس اللغة لابن فارس.
11. الموافقات للشاطبي.
12. إعلام الموقعين.
13. القواعد الفقهية لابن عثيمين (سلسلة دروس).
14. الكذاب اللئيم زكريا بطرس، لمحمد جلال القصاص.
15. المفصل في تاريخ العرب لجواد علي.

16. المستدرك على الصحيحين ـ محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 1411هـ ـ 1990م.

17. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الخامسة.

18. معجم البلدان.

19. الطرق الحكمية لابن القيم.

20. أسد الغابة.

21. الاستيعاب.

22. المنافقون ـ عبد الرحمن الدوسري.

23. دلائل النبوة للبيهقي.

24. المغازي للواقدي.

25. حراسة الفضيلة.

26. كتاب الله ـ عباس العقاد ـ طبعة نهضة مصر.

27. عبقرية محمد ﷺ ـ المجموعة الكاملة للعقاد ـ طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت.

28. حياة المسيح ـ موسوعة العقاد الإسلامية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ المجلد الأول.

29. إبراهيم أبو الأنبياء ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

30. عبقرية الصديق ـ المجموعة الكاملة للعقاد ـ طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

31. عبقرية عمر ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ المجلد الثاني ـ دار الكتاب العربي ـ لبنان ـ الطبعة الأولى 1391هـ ـ 1971م.

32. عبقرية علي ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الثاني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

33. عثمان ذو النورين ـ المكتبة العصرية.

34. فاطمة الزهراء ـ الموسوعة الإسلامية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ المجلد الثالث.

35. الصديقة بنت الصديق ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية عشرة.

36. عبقرية خالد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

37. معاوية بن أبي سفيان ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الثالث ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

38. عمرو بن العاص ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الثالث ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

39. بلال بن رباح ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الثالث ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

40. إبليس ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ ط 1985م.

41. بنيامين فرانكلين ـ طبعة دار النهضة المصرية ـ 1955م.

42. الحكم المطلق في القرن العشرين ـ مطبعة البلاغ الأسبوعي.

43. الديمقراطية في الإسلام ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الرابع ـ دار الكتاب العربي بيروت.

44. التفكير فريضة إسلامية ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ المجلد الخامس ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

45. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ المجلد الخامس.

46. الشيوعية والإنسانية ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ دار الكتاب العربي ـ المجلد الخامس.

47. ما يقال عن الإسلام ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ دار الكتاب ـ المجلد الخامس ـ دار الكتاب ـ بيروت.

48. الشيوعية والإنسانية ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ـ دار الكتاب ـ المجلد الخامس ـ دار الكتاب ـ بيروت.

49. ساعات بين الكتب ـ دار الكتاب اللبناني ـ طبعة 1984م.

50. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ عباس العقاد ـ ضمن المجلد الخامس لموسوعة العقاد الإسلامية ـ ط. دار الكتاب بيروت الطبعة الأولى 1971م.

51. الفلسفة القرآنية ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الرابع ـ دار الكتاب العربي بيروت.

52. الإنسان في القرآن ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الرابع ـ دار الكتاب العربي بيروت.

53. المرأة في القرآن ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الرابع ـ دار الكتاب العربي بيروت.

54. الإسلام في القرن العشرين ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الرابع ـ دار الكتاب العربي بيروت.

55. الديمقراطية في الإسلام ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الرابع ـ دار الكتاب العربي بيروت.

56. مهاتما الهند (الروح العظيم) غاندي ـ شركة فن الطباعة ـ شبرا ـ القاهرة.

57. تذكار جيتي ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد التاسع ـ دار الكتاب ـ بيروت.

58. التعريف بشكسبير ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد التاسع ـ دار الكتاب ـ بيروت.

59. فرنسيس باكون ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد التاسع ـ دار الكتاب ـ بيروت.

60. برنارد شو ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد التاسع ـ دار الكتاب ـ بيروت.

61. ماهية النفس، أحمد كرار الشنقيطي ـ الطبعة الأولى ـ دار همر للطباعة والنشر السودان ـ 2004م.

62. الفكر الإسلامي المعاصر ـ دراسة وتقويم ـ غازي التوبة ـ الطابعة الثانية ـ دار القلم ـ بيروت 1977م.

63. المفكرون والسياسة في مصر المعاصرة ـ دراسة في مواقف محمود عباس العقاد ـ الدكتور محمد صابر عرب ـ مكتبة الأسرة 2008م.

64. تحريف أقوال المسيح ـ إيرمان ـ ترجمة فريق حراس العقيدة.

65. ساعات بين الكتب ـ دار الكتاب لبنان ـ الطبعة الأولى 1984م.

66. كتاب (الله) ـ عباس العقاد ـ طبعة نهضة مصر.

67. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ـ محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 1407هـ ـ 1987م.

68. أسد الغابة ـ ابن الأثير ـ موقع الوراق.

69. السيرة النبوية لابن هشام ـ موقع الإسلام ـ إشراف وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

70. تاريخ الخلفاء ـ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ دار السعادة ـ مصر ـ الطبعة الأولى 1371هـ ـ 1952م.

71. الصهيونية العالمية ـ دار المعارف.

72. أدباء ومواقف ـ رجاء النقاش ـ طبعة دار النهضة المصرية.

73. عباقرة ومجانين ـ رجاء النقاش ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر.

74. عصر ورجال ـ فتحي رضوان.

75. في صالون العقاد ـ أنيس منصور.

76. المجموعة الكاملة لعباس العقاد الجزء 21 ـ دار الكتاب لبنان.

77. الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم ـ غازي التوبة ـ دار القلم ـ بـيروت ـ الطبعة الثانية 1977م.

78. ما يقال عن الإسلام ـ موسوعة عباس العقاد ـ المجلد الخامس ـ دار الكتاب ـ بيروت.

79. الشيخ الرئيس ابن سيناء ـ دار المعارف.

80. ابن رشد ـ دار المعارف.

81. عبقري الإصلاح ـ محمد عبده.

82. سعد زغلول زعيم الثورة ـ دار الهلال.

83. على السفود ـ مصطفى صادق الرافعي.

84. الديوان ـ عباس العقاد وعبد القادر المازني ـ دار الشعب.

85. الأعلام للزركلي.

86. سير أعلام النبلاء.

87. الفتاوى ـ شيخ الإسلام ابن تيمية.

88. ظاهرة الإرجاء ـ سفر الحوالي.

89. دفع الشبهات عن عصمة النبي ﷺ ـ عماد الشربيني.

90. النبأ العظيم ـ محمد عبد الله دراز.

91. زاد المعاد لابن قيم الجوزية.

92. السيرة النبوية لابن هشام.

93. نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات ـ صالح سعد اللحيدان.

94. حلقات أسئلة عن الإيمان ـ زكريا بطرس.

95. شعراء النصرانية ـ لويس شيخو.

96. التوحيد في تطوره التاريخي ـ ثريا منقوش.

97. كتاب النصارى بعهديه.

98. المخلصون من «الخطيئة الأولى» الستة عشر الذين ماتوا على الصليب في العالم The World's Sixteen Crucified Saviors ـ كيرسي جريفز.

99. (يسوع النصراني الجني الذي صحب بولس) ـ جمال الدين شرقاوي ـ دار النافذة.

دروس صوتية:

1. دروس القضاء والقدر (ضمن سلسلة: جبريل يسأل والنبي يجيب)، للشيخ: محمد حسان.

المحتويات

الإخراج الفني -
مركز مرام
مصر ـ هاتف: 0105391012ـ 010567987

دعوة للتواصل

أخي القارئ ..

إذا كنت من المهتمين بالقراءة في مجال مقارنة الأديان ..

إذا كنت من المهتمين بدعوة أهل الكتاب ..

إذا كنت من المهتمين برد شبهات المنصرين والمستشرقين ..

إذا كنت من المهتمين بنقد عقيدة النصارى ..

فيسرنا أن تنضم إلينا

أسرة قراء دار الإسلام

ما عليك سوى التواصل معنا والاشتراك :

عبر الهاتف الجوال : 0103363246

أو البريد الإلكتروني : **dar_alislam@yahoo.com**

dar_alislam@maktoob.com

وسوف نخبرك بكل ما هو جديد من منشورات الدار

بالاتصال الهاتفي أو بالبريد الإلكتروني

إن شاء الله تعالى